الشيخ علي أحمد القطان

تاريخ داعية
وحاضر دعوة
وقدوة للدعاة

تأليف
د. عادل الخنساء

جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية
الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة

رجال وتاريخ

سيرة

الشيخ علي أحمد القطان

تاريخ داعية وحاضر دعوة وقدوة للدعاة

دراسة علمية موضوعية تتناول بالتحليل السيرة العطرة
للشيخ المصلح علي أحمد القطان ومنهجه الدعوي في الإصلاح
الاجتماعي في موطنه الأول بلاد الشام وموطنه الثاني الكويت

(من مولده في سوريا عام 1922م إلى وفاته في الكويت في 2003/1/11م)

رحمه الله وأفسح له واسع جناته

تأليف: د.عادل الخنساء

الناشر

القادسية - قطعة ١ - شارع ١٠
منزل ٥ - ت : ٢٥٤٠٢٧٠
٢٥٤٠٢٨٠
فاكس : ٢٥٤٠٢٦٠
ص.ب : ٢٦٨٥١ الصفاة
الرمز البريدي ١٣١٢٩

Qadsiyah, Block 1 - St. 10
House 5 - Tel.: 2540280
2540270
Fax: 2540260
P.O. Box 26851 Safat
Pin Code 13129

http://www.alnoori.net
E-mail: alnourijam@hotmail.com

توزيع

دار اقـــرأ للنشر والتوزيع

الكويت - حولي - شارع المثنى - ص.ب: 1937 حولي - الرمز البريدي: 32020
هاتف: 2655340 - 2655350 - فاكس: 2655350

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم
مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٢٣)

الشيخ علي القطان في رحاب الكويت

بقلم د. عبد المحسن الخرافي

كلامي في الكويت مجروح . . . وحبي لها مفضوح .

بيد أن كل منصف يذكر للكويت احتضانها للعرب . . كل العرب ، والمسلمين كل المسلمين ، والبشر . . كل البشر .

كانت ولا تزال المرفأ الآمن لكل باحث عن الرزق الحلال الذي قد يحصل عليه في أكثر من دولة في المنطقة ، ولكنه لا يجده مشفوعاً بالحرية بشتى أشكالها : حرية القول والعمل معاً مثل ما يجدهما في الكويت .

قبل الاستقلال بعقد من الزمان (الخمسينات) وفدت إلى الكويت كوكبة من الأساتذة العرب الذين أفادوا واستفادوا ، حيث كان شعار كل واحد منهم : «إقالة العثرات» ، حيث السعي الدؤوب في إغاثة الملهوف ، وتفريج الكربة ، ومعونة اليتيم ، وتفقد ذوي العسرة والسؤال عن المحتاج ، والمشي مع طالب العمل ، واستضافة عابر السبيل أو غريب الديار .

كان في مقدمة تلك الثلة الدكتور سعيد النجار (من مصر) جاء إلى الكويت في الخمسينات وكان له فضل إنشاء الصحة الوقائية ، لقد كان هذا الرجل أنموذجاً فريداً في قضاء الحاجات لكل محتاج بلا استثناء . . وكان توفيق الرب تعالى ثم صلته بأصحاب القرار يساعدانه على تلبية كل من طرق بابه ، وهم كثر من إخوانه العرب والمسلمين .

ثم سار على دربه الحاج رسلان الخالد (من سوريا) الذي قدم الكويت في أواخر

مقدمة

الخمسينات ، وكان رجلاً يتحرك في الليل والناس نيام ويقدم العون بعيداً عن مظنة الرياء . . ويسعى دائماً لإخوانه المسلمين مهما كانت الأقاليم التي أتوا منها .

وكان أيضاً من هذه الثلة «محمد عبدالحليم الشيخ» الذي أسس توجيه التربية الإسلامية وكان من أركان وزارة التربية ، والمهندس «محمد حلمي الكاشف» ، وكلاهما من الكنانة . . والشيخ «بكور» من سوريا .

لقد كان الكرام من أهل الكويت في تعاون وثيق مع هذه الثلة التي أفرغت طاقاتها لخدمة ذوي الحاجات وتطبيق معاني الأخوة الإسلامية بحق . . ويجدر بنا هنا ذكر بعض أسماء هؤلاء الكرام الذين دعموا من أزر هذه الثلة بعد أن رأوا فيهم الصدق والتجرد وإنكار الذات .

ومن أولئك الذين نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر المرحوم عبدالعزيز علي المطوع ، ويوسف جاسم الحجي والمرحوم حسن الجار الله وأحمد بزيع الياسين والسيد يوسف الرفاعي والمرحوم عبدالله العلي المطوع ومحمد العدساني ومحمد بودي والمرحوم عبدالله سلطان الكليب وكثيرون غيرهم .

ويأتي الحديث عن أحد أولئك الراحلين العرب الذين تركوا في الكويت وقلوب أهلها بصمة طيبة ، حيث رحل عنا فضيلة الشيخ علي أحمد القطان يوم السبت الحادي عشر من يناير الجاري ، وهو إمام وخطيب مسجد المحسن سليمان محمد اللهيب ، رحمه الله ، في ميدان حولي وضواحيها ، وكانت له مشاركات في الحركة الكشفية ، إلى جانب تعاونه مع جمعية الأنصار ذات التوجه السلفي ، وكذلك جمعية النهضة الاسلامية ، تلك الجمعية الخيرية المباركة التي استطاعت أن تقضي على ظاهرة التسول في المدينة في سنوات وجيزة كما عالجت حاجة الفقراء والأيتام والأرامل والعجزة

والمعوقين بطرق ناجحة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ العمل الخيري المنظم .

وتشهد له مساجد الكويت بعد استقراره بها ، وعمله إماماً وخطيباً في وزارة الأوقاف بتفانيه في العمل وإخلاصه وصدقه ، فكم من شباب وأطفال وطلبة علم درسوا وتعلموا في الحلقات العلمية والجلسات القرآنية التي كان يديرها في مسجد ابن سلامة في الرميثية ، ومسجد الشيخة بدرية في السالمية ، وأخيراً في مسجد اللهيب في السالمية (ميدان حولي) ، الذي لم ينقطع عنه حتى إبان مرضه الأخير الذي توفي به ، وكان يستضيف العلماء من أهل الاختصاص والدعاة من أهل الخبرة لتعليم الشباب العقيدة والسيرة والتفسير والفقه ، فكان المسجد الذي يحل فيه أشبه بمدرسة شرعية ، ولم ينقطع قط عن حلقة القرآن اليومية ما بين صلاة الفجر وصلاة الضحى ، إلى جانب حرصه الشديد على تعليم رواد المسجد وتعويدهم ومتابعتهم على الالتزام بالسنن والإكثار من النوافل ، والمحافظة على أدعية وأذكار اليوم والليلة ، وتلاوة الورد القرآني اليومي لما في ذلك من البركة ودواعي التوفيق والفلاح والنجاح .

وقد اكتسب -رحمه الله تعالى- بهذا العمل الدؤوب والعطاء المتواصل والمتجدد مكانة مرموقة وجاهاً رفيعاً عند الكثير من الخيرين من أهل الكويت وأصحاب المكانة والقرار ، ولما لم يكن من أصحاب المال والسلطان فإنه كان يتصدق بهذا الجاه على من لا جاه له ، كما علمنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكنت تراه رغم كبر سنه ، وابيضاض لحيته ، وانحناء ظهره ، برفقة ضعفاء ومساكين وذوي حاجات في أروقة الوزارات ، وفي صالات كثيرة من المؤسسات والهيئات يسعى لقضاء حاجاتهم وتيسير أمورهم . . يقول الشيخ أحمد غيث - حفظه الله تعالى- المدير المساعد لإدارة

المساجد سابقاً : «ما جاءني - رحمه الله تعالى- ، مرة رغم كثرة مجيئه وتردده عليَّ طالباً حاجة لنفسه ، أو لأمر يخصه ، وإنما كان دائم التردد من أجل الآخرين وخاصة ممن لا جاه له ولا وجاهة عند الناس» .

لقد انتقل إلى رحمة الله تعالى وترك الكثيرين ممن كانوا يجدون فيه الأب الرحيم ، والأخ الكبير ، والسند بعد الله تعالى ، كما ترك من قبله أخوه في الله ، ورفيق دربه في شبابه وشيبته في سوريا والكويت الحاج رسلان الخالد طائفة من الأيتام والأرامل والمتعففين ممن لا يعلمهم إلا الله تعالى .

عرف - رحمه الله تعالى - منذ بداية شبابه بنشاطه الإسلامي ، وحبه للعلماء ومداومته على حضور مجالسهم ، والمواظبة على دروسهم وحلقاتهم ، إلى جانب علاقته القوية بشباب الدعوة ، وأبناء الحركة الإسلامية على اختلاف مشاربهم وتنوع مدارسهم وأنشطتهم ، مع حرص شديد على المشاركة في الأعمال الخيرية وجمعيات النفع العام .

وفضيلة الشيخ -رحمه الله تعالى- وإن لم يتخرج من كلية جامعية ، ولم يلتزم الدراسة في مدرسة شرعية إلا أنه تعرف منذ بداية حياته على الشيخ العلامة محمد سليم المراد ، الجد الأكبر لأسرة العلم والعلماء الشهيرة في حماة والمعروفة باسم «آل الشيخ سليم» والتي احتفظت بمنصب الفتوى أو أمانة الفتوى حتى استشهاد آخر مفت من هذه العائلة الكريمة ، كما أخذ العلم كذلك من بعده عن والده الشيخ أحمد المراد .

وقد استفاد من الشيخ سعيد الجابي وطريقته في مخاطبة الناس والدخول عليهم ومباشرة الدعوة معهم وإسداء النصيحة لهم لا في المسجد فقط ، بل في كل مكان حتى الأسواق والمقاهي والمجالس العامة ، ويبقى بعد هذا أن أكثر أخذه وجُلّ تعلمه كان في مجالسته للعالم العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد في دروسه اليومية التي ألقاها ،

ومجالسه التي عقدها في كل من جامع السلطان والجامع الجديد وجامع الأحدب .

كما استفاد من فضيلته - رحمهما الله تعالى - إلى جانب العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، الجرأة في الحق ، والحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والالتزام بالسنة والعناية بالشباب والناشئة ، والبعد عن تجريح الأفراد والجماعات والاهتمام بالضعفاء من أصحاب الحاجات وتقدير أهل المروءات .

وبعد هذا الاستعداد المبارك ، والنشأة الطيبة ، والتربية الدينية الصالحة فإنه شارك في معارك تحرير سوريا من المستعمرين الفرنسيين ، مع إخوانه الثوار في مدينة حماة .

وجهوده في موضوع بناء المساجد أو القيام بتجديدها أو توسيعها أو صيانتها في بقاع العالم الإسلامي ، فهي باب تضيق الصفحات عن استيعابه سواء في سوريا قبل مغادرتها أو في الكويت بعد مجيئه إليها ، ولعل من المناسب هنا أن نذكر أحد أصدقائه المشهورين في النشاط في هذا المجال وهو الحاج بكور - رحمه الله تعالى - الذي أفنى عمره المديد في بناء المساجد وصيانتها وخاصة في القرى النائية والنواحي المنقطعة في الريف السوري وخاصة في محافظتي حمص وحماة اللتين لم يترك فيهما تجمعاً سكانياً مهما صغر إلا زينه بمسجد يرفع فيه الأذان وتقام فيه الصلاة لأنهما شعار الدين وعماده .

ولعل في ذاكرة العم الفاضل أبي بدر عبد الله العلي العبد الوهاب المطوع - رحمه الله تعالى - عشرات الصور بل قل المئات التي لن ينساها عن الحاج علي القطان وهو يطرق بابه أو يدخل عليه مكتبه أو يفاجئه في مسجده بعد صلاة الفجر وبرفقته مندوبون عن لجان بناء المساجد في كثير من بقاع العالم الإسلامي .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

ثناء وشكر

إلى السادة / جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية

– والتي هي صاحبة الفضل بعد الله عز وجل في الدعم الكامل لطباعة هذا الكتاب وحرصها على ظهوره بهذا الشكل الرائع والجميل.

– ومن محاسن هذه الجمعية المباركه أنها تطرق جميع أبواب الخير في شتى المجالات ولا تقتصر على مجال معين ، فمن بناء للمساجد وحفر للآبار والسدود وبناء للمدارس وبناء دور القرآن ، وانشاء مكتبات كاملة للمدارس والجامعات في شتى العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة .

– بالإضافة إلى المشروع الضخم وهو وقف الرحماء .

– نسأل الله عز وجل أن يبارك في جهود القائمين عليها وأن يتقبل منهم أعمالهم جميعاً ، وأن يجعلها في ميزان حسناتهم يوم القيامة . إنه سميع مجيب.

برقيـــة ... ورسالة !!

يا شيخي الكريم، أنت في الملأ الأعلى :

أبداً، وبإذن الله، لن تذهب صرخاتك في واد !!

و لاتزال كما هي تشتعل بنور المحبة والخير في قلوب العباد !!!

والسلام عليك يوم ولدت،

ويوم مت ،

ويوم تبعث حيا ...

المحب تلميذك البار

د/ عادل الخنساء

١١/ ١/ ٢٠٠٣م

الإهـــداء

■ إلى السادة آل القطان الكرام في بلاد الشام والكويت ، وإلى جميع أنسبائهم وأحبائهم على مستوى العالم العربي و الإسلامي والعالم .

■ إلى العم الجليل الشيخ عبد الله علي المطوع ، رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي ، صاحب المآثر ، الذي يشجع كل عمل علمي وثقافي واجتماعي وأخلاقي يرجع بالخير على الكويت والخليج والأمة العربية والإسلامية .

■ وإلى الكويت ، بلد المحبة والتسامح ، والأمان والسلام والاعتدال التي انتهجت بالفعل احترام حرية التعبير عن الرأي ، وفتحت قلبها لكل حُر وكانت بالفعل موطناً ثانياً للشيخ علي القطان و أمثاله الذين أحبتهم وأحبوها .

■ وإلى الأمة الإسلامية التي هي في أمس الحاجة إلى أمثال الشيخ الداعية لتبدأ بالفعل مرحلة جديدة من الحضارة والتحضر والمستقبل المشرق لها وللإنسانية جمعاء باعتبارها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحمل الرحمة إلى العالمين جميعاً دون استثناء .

■ وإلى زملاء الشيخ وتلاميذه وجميع محبيه ومنتهجي طريقه كالشيخ رسلان الخالد والشيخ خالد حسون وما أكثرهم في بلاد الشام ومصر والكويت ومختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي .

■ وإلى كل إنسان يدعو إلى العمل الصالح والمصداقية وحماية الكرامة وحقوق الإنسان في كل زمان وفي كل مكان .

إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذا العمل العلمي الهادف والمتواضع .

د.عادل الخنساء

أبا أحمـــد

ما هذه النفسُ الزكية، أبا أحمد
وما هذا القلبُ الذي حباك به اللهْ

***

وما الهمة هذي وقد صرتَ لها رمزاً
عصاميٌ جوادٌ ذو همةٍ أُقسم باللهْ

***

مُحب وفيٌّ عطوفٌ حنونٌ ساعٍ !!
على البائس واليائس من عباد اللهْ

***

دؤوبٌ تعجز اللُسن عن وصفه
مخلصٌ، يحبه الناس يحبه اللهْ

***

فاسكن قرير العين في جنةٍ
مع من أنعم عليهم حبيبهم اللهْ

شكر واعتراف بالفضل
من لم يشكر الناس لم يشكر الله

انطلاقاً من ذلك أوجه كامل شكري وخالص ثنائي إلى كل مؤسسة أو جماعة أو شخص ساهم معي بطريق مباشر أو غير مباشر ، في كتابة هذا المؤلَّف ، أو ساعدني في معلومة أو فكرة أو كلمة أو قول أو وثيقة ترتبط بموضوع الدراسة ، وتدعم البحث العلمي المنهجي الموضوعي في السيرة العطرة للشيخ علي أحمد القطان الذي كان بحق وصدق مصباحاً في أمته ومنارة في أخلاقه ، وقمة في أقواله وأعماله ، وكانت سيرته بالفعل هي من سير الصالحين العاملين والعلماء الزاهدين المؤمنين بقوله سبحانه وتعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (سورة البقرة ٢٨٢) .

وإذا كان لي أن اذكر بعض الشخصيات الهامة التي كان لها دور كبير في تشجيعي في كتابة هذا الكتاب عن الشيخ الراحل علي القطان ، فإن أول من يستحق شكري وثنائي واعترافي بالفضل هو الأخ الموقر الشيخ «عبد الله علي المطوع» رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي ، وصهر المرحوم الشيخ علي القطان ، وذلك لدعمه المادي والمعنوي بغير حساب . مثلما يستحق الثناء نفسه الشيخ الجليل السيد يوسف الرفاعي عضو مجلس الأمة ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء في الكويت سابقاً ، لدعمه وتأكيده على أهمية تأريخ رجال الدعوة والخير . وكذلك الشيخ أحمد باقر الكندري مدير لجنة زكاة العثمان وأعضاء مجلس الأمة وغيرهم .

كما أن ممن يستحقون مثل هذا الثناء الأخ الحبيب أحمد علي القطان الإمام والخطيب بمساجد وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت ، وهو النجل

الأكبر للمرحوم الشيخ علي القطان ، وذلك لما زودني به من وثائق كثيرة وعديدة حول والده ، نشأة ودعوة وجهاداً وهجرة في سبيل الله ، وبهذا المستوى يستحق الشكر أيضاً الأخ العزيز محمد رشيد العويد مدير تحرير مجلة النور الكويتية ، وصهر المرحوم ، نظراً لاهتمامه بنشر ملف عن الشيخ علي القطان ، ولتسهيل مهمتي في الحصول على المعلومات الخاصة بالشيخ علي رحمه الله تعالى .

ويبقى الشكر والثناء ، لكل إنسان ساهم بكلمة طيبة أو تحفيز أو تشجيع أو ابتسامة تدل على رضى أو نية في الكتابة أو دعوة في جوف الليل ، أما من لم يساهم وكان يستطيع أن يساهم لكنه عجز ، فإني أيضاً أوجه له فائق شكري وثنائي ، عسى أن يكون ذلك دافعاً له لأن يساهم في سيرة شخصية أخرى ، أو عالم عامل ، وأن يأجره الله على نواياه ، أو يعفو عنه على تقصيره ، ويضفي عليه وعلينا وعلى الجميع مزيداً من رحمته سبحانه وتعالى .

أما بالنسبة للمساعدة في مخطوط الكتاب وطباعته على الحاسب الآلي ، وغير ذلك من أعمال الطباعة والنشر والتوزيع ، فالشكر موصول إلى كل شخص ساهم في ذلك سواء بأجر أو بدون أجر ، مثلما الشكر موصول لمن يشتري هذا الكتاب أو يقتنيه أو يقرؤه ، أو ينقده أو يؤلف أفضل منه أو يهديه أو ينشر أفكاره أو يعتمد عليه كمصدر علمي خلال إلقاء محاضرة أو إعداد أطروحة علمية على مستوى الدبلوم والماجستير والدكتوراه وغير ذلك .

ويبقى الشكر لله . . في البداية والنهاية ، فهو الذي أمدنا بالقوة والعلم وهيأ لنا سبل المعرفة وأفاض علينا من نعمائه وشملنا برحمته . . وكان لنا خير رفيق .

وبالله التوفيق .

الشيخ رحمه الله في غرفته الخاصة في مسجد « اللهيب » بميدان حولي - الكويت

واحدة من الولائم التي كان يقيمها في مسجده

قصيدة فاجعة

للشيخ فيروز أحمد مسرور رئيس الجامعة الملية العزيزية في بنغلاديش

في رثاء صدر العلماء وبدر الفضلاء ، ملجأ الأيتام والأرامل ، معدن البركات والفضائل ، مأوى أهل الدين والإيمان سماحة الشيخ/ علي القطان - رحمه الله تعالى - وتغمّده بالغفران وأسكنه بحبوحة الجنان وسلّى قلوبنا لرحيله وقلوب آله وأولاده وأحبابه أحسن السلوان . آمين يا رب العالمين .

ألا هذه الدنيا كبيت العناكب ... وتلك لأهلها كظل لراكب
زيارة حب للحبيب عزيزة ... لقاءكم لله خير المطالب
نجحت بحفظ الله خير حفيظنا ... فلا حزن إن ترضى بأبهى المناصب
وفُزت من الله العزيز برحمة ... رقيت من الجنات أعلى المراتب
بكتك السماء والأراضي ومن بها ... بأعمالك الحسنى كصوت الكواكب
وفُقْتَ البرايا في الزمان مزية ... كما فاق شمس بين كل الكواكب
كبحر المحيط أنت عذب الموارد ... وشمس علوم الفقه عذب المشارب
فيا حسرتا قد غاب عنا مشيرنا ... وبستان يبكيه بكاء النوادب
ونحن قد صرنا يتامى بغتة من فقده ... ويبكيه ما بين المشارق والمغارب
ويا رب إغفر له ذنبه مغفرة ... وأسكنه في الفردوس حسن العواقب
فيا ربنا رحّب روحه في قبره ... وارفعها في المأوى رفيع المراتب

***

بلوغ إلى المولى لخير المآرب ... لعبدٍ علي (القطان) جامع للمناقب
هو الشيخ جوّاد كريم الشمائل ... ومن فوقه أهل التقى في الكرائب
لقاء الحبيب للحبيب غنيمة ... فإنه فاز فوزه بالمطالب
ظفرت بجار الله خير مجيرنا ... فلا تكتئب قد نلت خير العواقب
وبالعيش نم بالجدث[1] لست بغربة ... فإن لك الأعمال خير الأقارب
دنوت من الرحمان[2] فزت بمقصدٍ ... وتُعطى من الفردوس أعلى المراتب
لفُقت الورى فضلاً وجوداً ورتبةً ... كبدر منير في سماء الكواكب
«ففيروز»[3] يدعو الله في كل حينه ... تجاوزْ إلهي عن جميع المثالب

---

(١) القبر (٢) الرحمن (٣) رئيس الجامعة الملية في بنغلاديش

الإطار المنهجي للكتاب

* موضوع الكتاب .
* تساؤلات الكتاب .
* منهج الكتاب .
* أهداف الكتاب .
* أهمية الكتاب .
* ما يثيره البحث من تساؤلات مستقبلية .
* تقسيم الكتاب وخطته العامة .

الإطار المنهجي لهذا الكتاب:

انطلاقاً من أن هذا الكتاب أشبه بدراسة علمية متكاملة تتناسب مع مقام الموضوع الذي تعالجه وتبحث فيه ، والمتمثل في السيرة العطرة للشيخ علي القطان ، فإن من الضروري توضيح الإطار المنهجي للكتاب كي يتعرف القارئ عامة ، والباحثون والمؤرخون خاصة على حقيقة الموضوع المدروس وأهداف وأهمية الدراسة ، فضلاً عن أسلوبها وتساؤلاتها وتنظيمها وغير ذلك من الإجراءات المنهجية المعتمدة في علم البحث العلمي ومناهجه وطرقه .

موضوع الكتاب:

يدور موضوع الكتاب حول سيرة الشيخ الراحل علي أحمد القطان المولود في بلاد الشام في مدينة حماه ١٩٢٢ ، والمهاجر إلى الكويت حيث توفاه الله فيها في يناير ٢٠٠٣م ، وتتمثل سيرته خاصة في عمله الدعوى منذ أن بدأ الدعوة من مسقط رأسه حاملاً إياها إلى ديار الهجرة ، ومستمراً في حملها إلى أن صعدت روحه إلى بارئها .

وإذا كان التركيز في الكتاب سينصب على هذه السيرة وما يرتبط بها من أعمال دعوية وتطوعية وخيرية فضلاً عن الأعمال التعبدية من صلاة وتهجد ودروس ومواعظ وما في حكمها ، فإن الدراسة سوف تتطرق إلى حياة الشيخ علي القطان من حيث ولادته ونشأته ومن حيث نسبه وعلاقات القرابة والمصاهرة ، ونشاطه التجاري السابق ، وعن وظيفته الجديدة كإمام وخطيب بمساجد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت .

وبذلك تكتمل نسبياً الصورة الحقيقية عن سيرة هذا الرجل الكريم .

كما أن الدراسة ابتدأت بإهداءات وكلمات وحكم ثم بمقدمة وإطار منهجي وانتهت بخلاصة وخاتمة وملاحق احتوت على الكثير من آثار وأعمال الشيخ علي القطان ، وكذلك أقوال وآراء من أحبه من الناس .

التساؤلات :

انطلاقاً من موضوع الكتاب الذي يدرس حياة الشيخ علي القطان كداعية بلغ القمة في العمل الدعوي التطبيقي وخدمة الناس فإن الدراسة سوف تطرح عدداً من التساؤلات الهامة مع العمل الجاد للإجابة عنها ، وهذه التساؤلات هي :

من هو الشيخ علي أحمد القطان وكيف استطاع أن يكون الشخص العصامي الذي اجتهد في استثمار قدراته الذاتية حتى وصل إلى القمة في الدعوة إلى الله؟

ما المدرسة الدعوية التي أعاد إحياءها ، والمتمثلة في علم العمل ، وإعطاء العمل مفهوماً شاملاً بعيداً عن التنظير ؟ ! حتى بلغ فيه ما بلغ !!

كيف استطاع الشيخ علي القطان أن يجمع بين استمرار الشمولية في التعبد ، والشمولية في خدمة الناس وذوي الحاجات والإصلاح بين المتنازعين ، والسعي اليومي الدائم على الأسر الفقيرة ، وإغاثة الملهوف وغير ذلك من العمل الخيري الاجتماعي والاقتصادي المستمر والدؤوب؟

ماذا يعني مفهوم الدعوة ، ومفهوم الهمة ، ومفهوم الزهد ، ومفهوم الكرم ، ومفهوم الاعتدال وغير ذلك من المفاهيم المرتبطة بالعمل الدعوي ، في نظر الشيخ علي القطان منذ أن بدأ مسيرته الدعوية؟

مهارة إدارة الوقت ، ومهارة التعامل مع الناس ، ومهارة إدارة الذات ، ومهارة اتخاذ

القرار ومهارة حل المشكلات وغيرها من المهارات ، كيف استطاع الشيخ علي إدراكها وتطبيقها بدقة منقطعة النظير؟

هل يمكن اعتبار مدرسة الشيخ علي القطان في الدعوة هي المدرسة الوسطية العلمية التي تولي العمل أهمية خاصة مثلما تولي الاعتدال والتعايش بين مختلف الاتجاهات الإسلامية ذات الأهمية ، كي يحقق العمل الإسلامي الدعوي أهدافه ويتجاوز أخطاءه وهزائمه ؟ !!

تساؤلات وتساؤلات تتولد عنها تساؤلات لأن شخصية الشيخ فعلاً مثيرة للجدل والتساؤل الذي يطلب إجابة علمية شافية .

منهج الكتاب:

انتهجت الدراسة الأسلوب أو المنهج الوصفي إلى جانب الأسلوب أو المنهج الميداني المسحي ، وإذا كان المنهج الوصفي يقوم على أساس جمع البيانات والمعلومات عن موضوع الكتاب من خلال الوثائق والمقالات وما في حكمها مما تمت كتابته عن الشيخ الراحل ، فإن المنهج الميداني المسحي يقوم على أساس القيام بعدد من المقابلات للحصول على منظومة من المعلومات والبيانات من خلال الآراء التي يقدمها أصحابها عن الشيخ علي القطان ، وما حدث لهم من وقائع معه ، سواء في وجوده في الكويت أو خلال السفر أثناء الحج أو خلال الخروج مع جماعة التبليغ أو غير ذلك من الرحلات وأوقات السفر .

وبذلك تكون الدراسة قد جمعت بين منهجين حققا لها شمولاً في البيانات والمعلومات مما يجعل الدراسة أكثر علمية وموضوعية .

وقد آثرنا أن يكون أسلوب الدراسة وسطاً بين الأسلوب الأدبي والأسلوب

العلمي متحاشين الأساليب المعقدة والصعبة أو الأساليب العامية ، فقد كانت اللغة العربية المبسطة والصحيحة والتي كان يعشقها الشيخ الراحل هي أداتنا وطريقتنا في الكتابة والتدوين حرصاً منا على إشباع فهم القارئ المتخصص والقارئ العادي في المعرفة الواضحة والصحيحة عن الشيخ علي القطان رحمه الله .

وعلى هذا الأساس فإننا نكتب هذا الكتاب بطريقة قد تختلف عن الكتابات التقليدية حيث بدأنا الكتاب بالسيرة الذاتية والجوانب الشخصية ، منطلقين نحو الجوانب الاجتماعية والدعوية متأثرين بالطريقة المعاصرة التي تتسم بمواصفات تختلف عن أساليب العصور السابقة . . وإذا كان لكل زمان دولة ورجال ، فلكل زمان أيضاً مؤلفون وكتابات !!

أهداف الكتاب:

يسعى هذا الكتاب إلى تحقيق عدد من الأهداف الهامة الأساسية والجزئية وهي :

١ - التعرف على سيرة الشيخ علي القطان باعتبارها من أهم السير في وقتنا الحاضر .

٢ - التاريخ الدقيق لهذه المسيرة كي لايتم تحريفها إذا ابتعدت الأيام وكر الزمان .

٣ - الكشف عن حقيقة المدرسة الدعوية التي أحياها الشيخ علي القطان وهي مدرسة العمل ، بعيداً عن الأقوال والتنظير .

٤ - إيجاد كتاب شامل عن الشيخ علي القطان يكون نبراساً للأجيال الحاضرة وأجيال المستقبل .

٥ - استثمار سيرة الشيخ علي القطان القائمة على العمل الدؤوب الشامل ، والاعتدال والتسامح والتعايش ، وذلك لمصلحة الجماعات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة

كي تتوحد كلمتها وتتعرف على الطريق الصحيح لتحقيق أهدافها .

٦ - إضافة لبنة علمية جديدة في إطار البحث العلمي والثقافة الإسلامية المنهجية .

أهمية الكتاب :

انطلاقاً من تلك الأهداف فضلاً عن طريقة البحث ومنهجه الذي اتسم بالسمة الأكاديمية والعلمية ، تكتسي الدراسة أهمية خاصة ، يضاف إلى ذلك أن المدرسة التي سار عليها الشيخ علي القطان سواء في التعبد والتهجد وقراءة القرآن والإكثار من الصلاة والصوم والصدقات والعمرة والحج ، وسواء في خدمة الناس والسعي في حاجاتهم ، هي مدرسة العمل التي بدأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث كانت أفعاله وأعماله هي التي تحدد سيرته وأقواله ، مما يضفي على هذا الكتاب أهمية كبيرة ليكون بالفعل زاداً للأجيال الحاضرة والمستقبلية ولتكون سيرة الشيخ علي القطان أسوة حسنة وقدوة صالحة لمن أراد الاقتداء من الدعاة والمتدينين وعموم الناس .

ما يثيره البحث من تساؤلات مستقبلية :

عندما شاء الله وبدأت في دراسة مسيرة المرحوم علي القطان أخذت على عاتقي أن أكتب بإخلاص مبتغياً مرضاة الله سبحانه وتعالى ، منتهجاً الحق والصواب والنزاهة والكفاءة والموضوعية ، مفسحاً المجال لجميع الباحثين والمؤلفين أن يكتبوا في سيرة الرجال الأفذاذ في الأمة ، وأن يبحثوا في تاريخ المخلصين من العلماء العاملين ، لأن هؤلاء الرجال والعلماء هم ورثة الأنبياء بالعلم والعمل ، وهم بحق النماذج الحية التي يقتدي بها الناس وأبناء المجتمع على اختلاف شرائحهم ونوعياتهم وأنسابهم وأحسابهم ، بل وقبل ذلك أن يختلطوا بهؤلاء الرجال والعلماء العاملين ،

ويراقبوهم وبذلك يجتمع في هذه المعادلة عنصر الإخلاص وعنصر الصواب وهي المعادلة الأساسية في كل عمل علمي صحيح ومفيد ونافع للأمة والإنسانية .

تقسيم الكتاب والخطة العامة:

آثرت أن أقسم دراستي هذه إلى فصول عديدة ، احتوى كل فصل على موضوع قائم بذاته ، وتضمن كل فصل عدداً من التفريعات والجزئيات المرتبطة بموضوع الفصل وهكذا .

هذا نمط من الدعاة، أقدمه للدعاة!
وهذا نمط من المتدينين، أقدمه للمتدينين!
وهذا نمط من الناس، أقدمه للناس!

كي يعرف الدعاة ، والمتدينون ، والناس ، أنه بالإمكان وجود شخص في وقتنا المعاصر يمكن أن يكون بعمله وفعله وتضحيته وهمته ، حجة على الدعاة ، وعلى المتدينين وعلى الناس !!!

والناس مهما اختلفوا لا يمكن أن يكونوا إلا أحد ثلاثة : دعاة ، ومتدينين ، وناس !!

فالانتماء والانتساب للدين ، دين الله الذي ارتضاه ، ليس بالأمر البسيط !!

والانتماء والانتساب للإنسانية باعتبار الإنسان خليفة الله في الأرض ، خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه ، وكلفه بالأمانة ، ليس بالأمر القليل !!

وبذلك يكون الشيخ علي القطان بسيرته العطرة التي امتدت حوالي ثمانية عقود من العشرينات في القرن العشرين حتى بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، وبعمله الدؤوب وتضحيته المستمرة التي لا تضاهيها تضحية في تاريخنا المعاصر ، في خدمة الناس ، والسعي في قضاء حاجاتهم ، وفي مقدرته على إعادة إحياء مدرسة العمل التي بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن همته العالية واشتغاله بمعالي الأمور من تعبد لله وتهجد مستمر ، وذكر ودعاء وتسبيح واستغفار وغير ذلك حجة على الدعاة والمتدينين والناس أجمعين في تاريخنا المعاصر .

نعم . . . هذا نمط جديد من الرجال المجتهدين لم يعرفه الكثير من الرجال المجتهدين . . .

وهذا نمط جديد من الدعاة لم يألفه الكثير من الدعاة إلى الله .

رجل اجتهد في العمل اجتهاداً قلما اجتهد أحد في عصرنا إلا ما ندر ! !

رجل لم يكن لديه بالفعل وقت فراغ فقد كان وقته كله لله من صباحه إلى مسائه ، ومن نهاره إلى ليله ، ومن بدايته إلى نهايته ساعياً على الناس ومتعبداً متهجداً لا يقف لسانه عن ذكر الله ، ولا ينبض قلبه إلا بحب الله ولا تتحرك حواسه إلا في طاعة الله .

رجل كل لسان حاله يردد يا ليت اليوم يطول ويطول حتى يصير يومين أو أسبوعاً أو شهراً أو شهرين كي أستطيع من خلاله أن أستمع لهموم الناس وأحل مشكلاتهم وأسعى في حاجاتهم وأزداد تعبداً لله وتقرباً إليه .

فإليك أيها القارئ أكتب هذا الكتاب .

إليك في كل مكان وفي كل زمان . . . سواء كنت داعية أو كنت مسلماً عادياً . . كي تدرك معي ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من علو في حاضره وما يتركه من أثر عظيم في تاريخه بعد رحيله ، فالإنسان خليفة الله في الأرض ، وهذه وظيفة لم يمنحها الله جل جلاله إلا للإنسان .

وإليك أيها القارئ أكتب هذا الكتاب حتى وإن كنت غير مسلم كي تعلم علم اليقين كيف يصنع الإسلام رجاله ، وكيف يربيهم على الطهر في أعمق معانيه ، وعلى العطاء والخير في اسمي مراميه وعلى العمل الصالح بكل أبعاده وأنواعه وشموليته بالنية الصادقة ، واستهداف خير الإنسان ، دون حساب لمصلحة شخصية أو مغنم أو مطمع !!

إليك أيها القارئ أكتب هذا الكتاب ، شاباً كنت أم شيخاً ، كبيراً كنت أم صغيراً ، رجلاً كنت أم امرأة ، فالكل يخاطبه هذا الكتاب عسى أن يقتدي أحد بهذا المعلم والداعية والشيخ الذي ضرب المثل في خدمة الناس والدعوة إلى الله .

الوقت يمر أيها القارئ والزمن يمضي ، والعامل العاقل من يعرف كيف يخرج من التاريخ بأرقى حصيلة علمية أو عملية ، وأفضل ثروة أخلاقية تمتلئ أعمالاً صالحة وأفعالاً عالية وعبادة صادقة ، وخدمة مستمرة للآخرين وبالخصوص من الضعفاء وذوي الحاجات .

اقرأ أيها القارئ هذا الكتاب فأنت في أمس الحاجة كي تستنسخ من الشيخ علي القطان مئات الآلاف وقد تكون أنت نسخة منه إذا قرأت وعملت بما قرأت .

خذ مكانه أيها القارئ !! فأنت الأجدر أن تأخذ مكانه ، فإن لم تفعل ، فمن سيأخذ مكانه؟ !!

وبالله التوفيق .

الفصل الأول

السيرة الذاتية
للشيخ علي القطان

السيرة الذاتية

أولاً: الشيخ علي القطان في وطنه الأول بلاد الشام:

١- لمحة عامة عن سيرته الذاتية وعلاقاته من الولادة حتى الوفاة

٢- نشأته على مستوى البيت والعائلة الكريمة

٣- علاقاته على مستوى الحي والصحبة الصالحة الأولية وتتلمذه على يد العلماء

٤- علاقاته على مستوى مدينة حماه المجاهدة واستمراره في مجالسة العلماء والصالحين

٥- علاقاته على مستوى الوطنية وحب الوطن

٦- علاقاته على مستوى العمل والتجارة المشروعة

٧- علاقاته على مستوى العمل الإسلامي في بلاد الشام

ثانياً: الشيخ علي القطان في وطنه الثاني مهاجراً إلى الكويت:

١- الكويت بلد أمن وأمان

٢- العمل والدعوة خلال إقامته في الكويت

أولاً: الشيخ علي القطان في وطنه الأول بلاد الشام:

١) لمحة عامة عن سيرته الذاتية وعلاقاته من الولادة حتى الوفاة:

هو العبد الصالح والداعية الناجح أبو أحمد علي بن أحمد بن يوسف قطان الحموي مولداً، الشافعي مذهباً، الكويتي وفاة، ولد عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٢م) في مدينة حماه، في بيت فضل وصلاح، تربى فيه على محبة الدين وأهل العلم والصالحين، وكان البيت الذي ولد فيه مجاوراً لجامع المسعود، فكان يسعى إليه حبواً، وإذا فقده أهله التمسوه في المسجد فوجدوه.

توفي أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلم، فتولى شأنه وشأن أمه وأخته خاله الحاج محمد الأمين الصباغ رحمه الله، المعروف بتقواه وصلاحه، ولضيق ذات اليد اضطر أهله إلى إخراجه من المدرسة بعد أن بلغ الصف الرابع الابتدائي، فعمل أجيراً لدى تجار مدينة حماه، ولما رأى أحدهم منه النجابة والفطنة والأمانة أشركه في تجاراته، وكان مازال شاباً لم يبلغ العشرين من العمر.

كان خاله يختلف إلى مجالس علماء مدينة حماه، وكان يصطحب معه الشيخ علي، وهو مازال يافعاً، فتشربت روح علي القطان حب الدين وأهل العلم والصالحين، فنشأ على ذلك، واستمر على هذا المنهج في مختلف مراحل حياته، وكان هذا من أكبر الحظوظ التي نالها في دنياه، فأخذ العلم عن خيرة علماء حماه، أمثال ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ سعيد الجابي وتلميذه الشيخ محمد الحامد، أشهر علماء المدينة من بعده، والشيخ عبد الله الحلاق، ناظر المدرسة الشرعية بحماه، والمقرئ الشيخ سعيد عبد الله، ومفتي مدينة حماه الشيخ صالح النعمان، والشيخ بدر الفتوى، والشيخ عبد الحميد طهماز وغيرهم، وعليهم جميعاً رحمة الله تعالى. فتلقى عنهم الشيخ علي مختلف علوم الدين وتخلق بأخلاقهم، ولم يكن يعلم رحمه الله أن هذه الملازمة هي التي ستجعله يوماً من الأيام رمزاً من رموز الدعوة إلى الله، وقد أخذ من أخلاقه الحاج رسلان الخالد والحاج خالد حسون الخنساء وهم من رجال الدعوة وأهل الخير من محافظة حماه

وغيرهم كثير في بلاد الشام وفي الكويت. وسع الله عليه في الرزق والمال في تلك الفترة، فأنفق ما أنفق في سبيل الله، ووسع على نفسه فتزوج أربعاً من النساء وأنجب ٢٢ ولداً : ثمانية من البنين (أحمد،محمود جمال، محمد أمين، محمد الهادي، مصطفى نبيل، عبد الرزاق، عبد الستار، عماد) وأربع عشرة من البنات، فصار صاحب عائلة كبيرة بالإضافة إلى رعاية أخته وأبنائها والتي توفى زوجها.

ومارس الشيخ رحمه الله عمله التجاري متخلقاً بأخلاق الإسلام ومتأدباً بتعاليم الدين، ففتح الله عليه وبارك له فيما أعطاه حتى غدا من أشهر التجار، وبات متجره في السوق الطويل (أحد أسواق حماه) من أشهر المتاجر، وعرفه الناس في تلك الفترة نموذجاً للتاجر المسلم الشهم الصدوق الذي يخرج من متجره إلى المسجد، ومن حلق الأسواق إلى حلق العلماء، فكان مثالاً لحسن المعاملة وطيب المعشر، يغيث الملهوف ويحمل الكل ويكرم الضيف، ويكسب المعدوم، ويعين على نوائب الحق، كيف لا وهو التاجر الذي وسع الله عليه في الرزق وتربى في كنف العلماء الصالحين، وكان ضمن أعمال البر التي أكثر منها، كفالة المدينين والمعسرين، حتى قدر الله عليه الغرم من جراء ذلك، وتعثرت تجارته، وعندها توجه عام ١٣٨٦ هجرياً (١٩٦٦م) إلى دولة الكويت طلباً للرزق وسعياً على العيال، وجهه الله أن يعمل إماماً وخطيباً ومعلماً وداعية إلى الله تعالى، فمن مسجد المقوع طريق المطار أول مسجد أم الناس فيه إلى مسجد صيهد العوازم في السالمية، فإلى مسجد الشيخ فهد السالم بمنطقة السالمية (١٩٧١-١٩٧٣) ثم إلى مسجد ابن سلامة في منطقة الرميثية والذي رعى فيه عدداً من شباب الدعوة في الكويت (١٩٧١- ١٩٨١)، ثم استقر في مسجد اللهيب بميدان حولي (١٩٨١-٢٠٠٣) فصاحب أهل العلم والدعاة إلى الله، فكان لا يتخلف عن مجالس العلم والذكر كمجالس الشيخ حسن أيوب والشيخ حسن طنون رحمه الله، والشيخ عبدالله بن عقيل والشيخ يوسف الرفاعي، وديوان الدكتور إبراهيم الرفاعي، والشيخ محمد حرب رحمه الله، وديوانية لجنة زكاة العثمان، ومسجد الدعوة في صبحان وغيرها من المجالس المباركة.

وإلى جانب ذلك انتسب إلى عدد من المعاهد الشرعية في الكويت مدة بلغت ١٢ عاماً فأتم فيها حفظ القرآن كاملاً، وهو صاحب العائلة الكبيرة والأشغال الكثيرة في خدمة الناس ومساعدتهم، والسعي في قضاء حوائجهم، لكن كل ذلك يتلاشى مع همته العالية وإرادته السامية وذكائه الوقاد ونفسيته الأبية.

اشتهر الشيخ علي بالمحافظة على عقد حلقة يومية لتلاوة وتعليم القرآن الكريم، من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، يحضرها عدد من المهتمين من موظفين وطلبة ورجال أعمال وتجار وعمال زامنهم مؤلف هذا الكتاب، فضلاً عن الحضور المستمر لمؤذن المسجد أبو معاذ[١] وهو فلسطيني الجنسية. وبذلك انتفع من هذه الحلقة العديد من الخلق وأقام منهم أمثالها في مساجد أخرى، حتى عمت ما يقارب عشرة مساجد في منطقة السالمية وحدها، كما نقلت إلى بلاد أخرى كمصر والأردن وسُميت هنالك باسم حلقة الشيخ علي القطان للقرآن الكريم.

(١) ومازالت الحلقة مستمرة حتى اليوم يديرها المؤذن

كما كان رحمه الله معروفاً بشدة حبه للسنة والتزامه بها وعدم التفريط بأحكامها مهما كانت الأسباب، فكان يكثر من صوم النافلة ويحافظ على صوم الأيام المسنونة، ومن مناقبه رحمه الله أنه كان كثير التعظيم لشعائر الدين، وكأنه يعيش من أجلها ولسبيلها.

كان الشيخ علي رحمه الله ذا مروءة قل مثيلها في الناس قاطبة، جعلته لا يرد سائلاً، فكان يمشي في حاجة الرجل وإن كان لا يعرفه، ويسعى على الأرامل والأيتام، ويفك غرم المدينين والمعسرين بماله أولاً ثم بمن يستجيب له من أهل الخير في الكويت، وهم كثر ولله الحمد، ويقضي يومه كاملاً في قضاء حوائج الناس دون ملل أو كلل، وهو يردد (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته).

جال الشيخ في عدد من بلاد المسلمين، فجاب بلاد الشام، وشرفه الله بصلاة في القدس الشريف، وزار مصر ولبنان والأردن، وعدداً من دول الخليج والهند وباكستان وبنغلادش، وكان أغلب هذه الزيارات في سبيل الله تعالى، وأسس الشيخ علي عدداً من المدارس الإسلامية لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية للأيتام والفقراء في بنغلادش، واستمر داعياً إلى الله في كل مكان نزل فيه بكل همة ونشاط، وتربى على يديه أجيال من الدعاة في الكويت، غرس فيهم العقيدة الصحيحة والسلوك الحسن ومحاربة المنكرات والمفاسد، ومواجهة الغزو الفكري الذي اجتاح بلاد المسلمين.

وفي رجب ١٤٢٣ هـ (٢٠٠٢م) اكتشف الأطباء أن الشيخ مريض بمرض عضال فأدخل المستشفى الأميري لإجراء عملية، فمكث فيه إلى منتصف شعبان، ثم خرج متحاملاً وصام مع الناس، أحيا العشر الأواخر كذلك، وحضر العيد، ومع انتصاف شهر شوال عاد إلى المستشفى من جديد، فالآلام كانت أشد من أن تحتمل، وهنا ضج الناس وشعروا بقرب منيته، فالتفوا من حوله وتقاطر أحبته عليه، فكان يصبرهم ويواسيهم ويقضي حوائج قاصديه، وهو على سرير موته في المستشفى. إلى أن وافته المنية يوم السبت الثامن من شهر ذي القعدة عام ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠٠٣/١/١١م، ففاضت روحه إلى بارئها وحوله ستة من أبنائه وعدد من أحفاده، يتلون القرآن وسورة يس التي طالما

طلب قراءتها عليه أثناء مرضه شعوراً منه بدنو المنية، وكان دفنه عصر يوم الأحد، فشهدت مقبرة الصليبخات في الكويت جمعاً لم تشهده من قبل، في حق رجل مغترب، فقد قدم إليها وقد جاوز الأربعين من عمره ومات فيها وقد قارب الثمانين، فكأنه قسم عمره بالعدل بين سوريا والكويت، فعرفته سوريا رجل البر والخير، وعرفته الكويت رجل الدعوة إلى الله والمعروف و الإحسان، وتزاحم الناس في الجنازة حتى بلغ مشيعوه إلى قبره الآلاف، ومشى في جنازته العلماء والدعاة والأئمة والخطباء وطلاب العلم، والأغنياء والفقراء والكبار والصغار، وتناقل الناس الخبر فعزى به القاصي والداني من شتى الأقطار، رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.

٢) نشأته على مستوى البيت والعائلة الكريمة:

من الطبيعي أن يكون بيت الشيخ علي القطان الذي ولد فيه وترعرع بيتاً كريماً، وأن تكون العائلة التي عاش في ظلالها منذ ولادته حتى رشده هي عائلة فاضلة، كيف لا؟! فالاستنتاج في حال مثل حال الشيخ علي القطان ليس صعباً، والاستقراء ليس معجزة!! فمن يصاحب المرحوم الشيخ علي القطان بل ويقترب منه أكثر فأكثر، منذ بداية انطلاقه إلى الحياة تلميذاً فتاجراً فإماماً وخطيباً وعالماً حتى وفاته، فسوف يدرك أن الشيخ كان فعلاً ينتمي لعائلة فاضلة وبيت كريم، دون أن يرى تلك العائلة الفاضلة والبيت الكريم.

لقد كانت ولادة الشيخ علي القطان، في بيت أبيه المعروف الحاج أحمد القطان في مدينة حماه، الذي اشتهر بالشجاعة والكرم ومحبته لركوب الخيل والفروسية، إلى جانب المحافظة الشديدة على أفكار الإسلام وأخلاق الشريعة السمحة، وإعلاء شأن القيم، فكان لهذه الصفات البيتية والسمات المنزلية، دور كبير في التنشئة الاجتماعية والدينية والأخلاقية للشيخ علي القطان رحمه الله، فإذا أُضيف إلى ذلك ما كانت تتحلى به عائلة آل القطان عامة على اختلاف أصولها، وفروعها، فهذا يعني أن الله قد أحاط الشيخ بمناخ بيتي وعائلي، ساهم فعلاً في تبلور شخصيته ونضوج أفكاره ودخوله التاريخ من أوسع أبوابه وهو فعلاً يستحق ذلك. وللعلم كان الحاج أحمد القطان، والد

المرحوم الشيخ علي القطان مشهوراً بتجارة الخيول، وهي تجارة تتطلب قوة وصبراً وتمنح صاحبها قوة وفروسية ورجولة، فالخيل في نواصيها الخير كما رُوي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أما والدة الشيخ علي القطان فهي السيدة الفاضلة والشيخة الكريمة فوزية بنت محمد الصباغ الأمين، والتي توفيت في الكويت عام ١٩٨٣م، وكان لها الأثر الواضح في تربية ولدها الشيخ علي تربية صالحة، رحمها الله وأسكنها فسيح جناته.

وإلى جانب حرص والده الكريم على أن يكون الشيخ محافظاً على الصلوات، متحلياً بفضائل الأخلاق من أدب وتهذيب وصدق وأمانة، وعطف وحنان وشجاعة وجرأة، وجود وكرم وغير ذلك، فإن الوالد أحمد القطان كان حريصاً على أن يعلم ابنه الفروسية وركوب الخيل تطبيقاً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وابتغاء تكوين عادات الرجولة والشجاعة في شخصية الفتى الشاب علي القطان الذي كان يتدرب على ركوب الخيل منذ صغره، فضلاً عن قيامه على إطعامها وترتيب أمورها وشؤون تنظيمها، مما أوجد نوعاً من الصداقة بين الفرس والفارس، فالخيل دليل خير، وصداقتها والتعامل معها والتعود على ركوبها منذ الصغر هو مؤشر خيرٍ أيضاً، وهذا ما تراه فعلاً في شخصية المرحوم حيث كان وحتى قبيل وفاته قوياً وشجاعاً ونشيطاً، لا يقبل أبداً أن يمشي مشية الكسالى والعاجزين، فقد كانت مشيته تنم فعلاً عن فارس وفروسية، وعن رجولة ومصداقية، خطواته خطوات الأقوياء الثابتين، حتى وهو يقف على قمة الثمانين.

وقد شاء الله للشيخ علي القطان أن ينجب من الأولاد والبنات، الذين واللائي، خصهم وخصهن بالتربية الحسنة والأخلاق الحميدة والتنشئة الصالحة، مثلما فعل والده الكريم في تربيته وتنشئته التي تعتبر مضرب الأمثال للشباب والرجال.

وكان من نعم الله على الشيخ علي القطان، بل وعلى العالم الإسلامي، أن هيأ الله له أسباب الزواج بأربع نساء صالحات نقيات طاهرات عفيفات مؤمنات، ساعدنه على الحياة، وكن معه في ديار الغربة خير سند، وأعطينه من الأولاد والبنات ما يفتخر الإنسان بهم وبهن.

شباب ورجال اختار بعضهم الإمامة والخطابة كوسيلة للدعوة إلى الله، واختار آخرون وظائف أخرى أو تخصصات علمية أعلى كالدكتوراه كوسيلة ثانية للدعوة إلى الله، فهم كلهم دعاة، إن لم يدعوا بأقوالهم، دعوا بسلوكهم وأفعالهم.

وكما أشرنا فقد بلغ عدد أبنائه الذكور ثمانية أما الإناث فهم أربع عشرة بنتاً، أما الأحفاد فحدث ولا حرج، حيث شاء الله أن يكون له عدد كبير بحيث قد يصل عدد الأبناء والبنات و الأحفاد من بنين وبنات بل وأحفاد الأحفاد إلى ما يربو إلى ١٠٠، ولله الحمد، كلهم من الصالحين، بإذن الله ولا نزكي على الله أحداً.

وهذا العدد الكريم من زوجاته الأربع الصالحات أم أحمد وأم مهدي وأم نبيل وأم عماد، وكلهن من خيرة العائلات نسباً وحسباً.

٣) علاقاته على مستوى الحي والصحبة الصالحة الأولية وتتلمذه على يد العلماء:

من نعم الله على مدينة حماه أن أحياءها متشابهة في أخلاقها، ومحافظتها على دينها وتقاليدها الإيجابية العريقة، وإذا كان حي الحاضر مشهوراً بالرجولة والشجاعة من جانب، والتدين والغيرة على الأعراض والتشدد في التقاليد والعادات الدينية الإيجابية من جانب آخر، فإن حي السوق على سبيل المثال وغيره من الأحياء الفرعية الصغيرة لا يقل عن حي الحاضر محافظة على القيم و التشدد وغيرة على العرض، وارتباطاً بأخلاق الإسلام وأحكام الشريعة، هكذا أحياء حماه من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها.

في هذا المناخ الاجتماعي الذي يهيئ على الأغلب والأعم صحبة ومحبة صالحة، نشأ وترعرع المرحوم الشيخ علي القطان، فالشباب كلهم حتى الفتيان والأطفال يتوجهون إلى المسجد لأداء الصلوات، فإذا انقضت الصلاة تجمعوا على شكل مجموعات تلهو وتلعب ببراءة، لكنه ليس اللهو الفارغ، واللعب الفاسد، إنما هو اللهب الذي يربي القيم وينمي المروءات ويحفز على الشجاعة والجرأة، فالغالب على القصص التي يحكيها الفتيان إلى بعضهم بعضاً هي قصص تدل على الشجاعة، وتغرس في المستمعين قيم الشجاعة،

وهي أيضاً حكايات توحي بالمروءات وفعل الخير والتعاون والنجدة وتغرس في المستمعين قيم المروءة والخير والتعاون والنجدة، فإذا انتهى اللعب، وجاء وقت الدرس هب الشباب إلى المساجد للاستفادة من دروس خيرة العلماء الصالحين، وأفضل المدرسين الصالحين مثل الشيخ المرحوم سعيد الجابي والشيخ محمد الحامد، والشيخ أحمد سليم المراد، والشيخ محمد علي المراد، والشيخ صالح النعمان، والشيخ سعيد عبدالله، والشيخ محمد سعيد النعساني، والشيخ محمود الشقفة، والشيخ محمود سلورة، وبذلك تلتقي تعاليم الصلاة مع دروس العلماء ومع مجموعات اللعب المفيد وأخلاق المنزل والتربية العائلية في منظومة رائعة تضفي بظلالها على الحي الذي نشأ فيه المرحوم الشيخ علي القطان، لينشأ فعلاً على محبة القيم والتحلي بالشمائل والقيم، وما أعظمها من قيم وشمائل، وأخلاق وفضائل، تزرع في الفتى والشاب معاني المروءة وسمات الرجال وصفات الفروسية ومواصفات الأبطال حتى ليتخرج الفتى من ذلك الحي، وبالخصوص إذا أضفنا إلى ذلك، المناخ المدرسي القائم على العلم والمعرفة، والتنافس في الأخلاق العالية والصالحة، والاقتداء بالعديد من المدرسين والأساتذة، فإن ذلك يعني أن الحي ومؤسساته قد ساهم فعلاً في تخرج رجال أمثال المرحوم الشيخ علي القطان.

٤) علاقاته على مستوى مدينة حماه المجاهدة واستمراره في مجالسة العلماء والصالحين:

شاء الله للشيخ علي القطان أن يولد في مدينة حماه، وما أدراك ما مدينة حماه؟! إنها المدينة التي عرف أهلها بالشجاعة والجرأة والغيرة على العرض، والمحافظة على الدين والأخلاق، فضلاً عن الجود والكرم وإغاثة الملهوف، والتعاون في السراء والضراء، فإذا سألت عن عاصمة بلاد الشام عامة قيل لك دمشق وإذا سألت عن عاصمتها الأخلاقية و الدينية قيل لك حماه، مدينة أبي الفداء، المدينة التي كانت حتى عهد قريب لا تسمح بمهرجانات الأغاني المائعة، ولا دور للملاهي الفاسدة فيها، ولا غير ذلك من الانحرافات التي تتعارض مع الدين القويم.

كان الرجل من حماه يساوي عشرة رجال في القوة والشجاعة، وفي الجرأة

والحماسة! فإذا قيل واحد كألف، فاعلم أن هذا الواحد هو من حماه وأن الألف من غير مدينة حماه، وإذا أردنا التخصيص فقد يكون هذا الواحد هو الشيخ سعيد الجابي أو محمد الحامد أو الشيخ علي القطان أو غيرهم ممن تشربوا قيم الإسلام الخالد، وامتزجت مع دمائهم وأرواحهم أخلاق الإسلام العظيم، الذي ارتضاه الله ديناً للبشرية جمعاء، وتفاعلت مع نفوسهم أحكام الشريعة السمحة، فكانوا بحق رجالاً مخلصين لهذا الدين، وكانت بحق مدينة حماه هي موطنهم ومسقط رأسهم، وهي المختبر الذي كانوا يمارسون فيه جميع سلوكياتهم الإيجابية الرائدة والمتميزة.

وإذا كانت بلاد الشام تفتخر بولادة الشيخ فيها وانتمائه إليها، وهي البلاد التي زكاها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي التي تشرفت أن تكون عاصمتها دمشق عاصمة العالم خلال فترة الحكم الأموي، فإن مدينة حماه ليشرفها أن تفتخر بولادة الشيخ علي القطان بين ربوعها، وانتمائه الخاص إليها، فهو أي الشيخ علي القطان حمويٌّ أباً عن جد، لأنه من حماه، وتحت رعاية رجال حماه المخلصين المؤمنين استقى مبادئه وقيمه، وتشرب أخلاقه وشيمه، وحمل هذه القيم والشيم إلى الكويت داعياً ومجاهداً بالحكمة والكلمة الطيبة.

ما أعظمك يا مدينة حماه وما أرقاك، فقد كنت للشيخ علي مسقطاً، وللدعوة مركزاً، وللمدن قوة، وللرجولة مدرسة.

ولم يكتف الشيخ بمجالسة الصالحين من خلال الصحبة الأولية التي تبدأ مع بداية الطفولة والفتوة إلى الشباب، بل استمر بقية مراحل حياته في مجالسة العلماء والصالحين المخلصين ممن تطمئن لهم النفوس وتستريح لهم القلوب ويتزود الإنسان من علومهم، وهم الشيخ والأستاذ والمدرس والإمام والخطيب!

٥) علاقاته على مستوى الوطنية وحب الوطن:

لم تكن محبة الشيخ علي القطان لوطنه بأقل من محبة الآخرين له، إن لم يكن أكثرهم حباً، وأقواهم محبة.. كماً ونوعاً، أفقياً وعمودياً...!

فالوطنية عنده لا تعرف مزايدات ولا مساومات، ولا تقبل مهاترات واتهامات، فقد

أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بضرورة أن يحب الإنسان وطنه وقومه، أهله ومجتمعه، حباً نقياً صافياً لا يختلط بعصبية، ولا يمتزج بقومية وعدائية، فقد كانت مكة المكرمة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ونشأ بين أحضانها وترعرع في أحيائها، أحب بلاد الدنيا إليه، لكنه الحب البصير، والمحبة الواعية التي لا تجعل صاحبها أعمى يحمل العداء للآخرين بسبب انتمائه لقوم معينين أو لوطن محدد.

هكذا كان يفهم الوطنية..! وهكذا كان يحب وطنه.. المحبة الأخلاقية للوطن، والحب المرتبط بالدين والقيم والمعاني الإنسانية الإيجابية الخالدة التي تجعل من محبة الأوطان راحة واطمئناناً، وواحة أمن وأمان لكل إنسان، سواء كان مواطناً بالأصل أو بالتجنس أو كان مقيماً في ذلك الوطن.

هذا الفهم الواضح لمعنى الوطن والوطنية هو الذي دفع بالشيخ علي القطان أن يحمل السلاح عام ١٩٤٥م ويقاتل مع الثوار ضد الفرنسيين المستعمرين الذين احتلوا بلاد الشام، وغيرها من بلاد الإسلام ظلماً وعدواناً، والذين استعمروا سوريا وغيرها استعماراً لا قيم له ولا أخلاق، يقتلون الناس، وينهبون الثروات، ويعتدون على الأعراض والممتلكات، والأرواح والأجساد، فكان جهادهم واجباً، وكان البذل في سبيل تحرير الوطن فرضاً.

لم تكن روح الشيخ ونفسه غالية في سبيل الوطن، فالوطنية في اعتقاده بذل وعطاء في ساعة الشدة، ودفاع وجهاد ضد المعتدين على الوطن.

وهكذا بقيت سوريا (الوطن الغالي) وغيرها من بلدان الإسلام مزروعة في قلبه سواء وجوده داخل الوطن، أو في غربته عندما قسا عليه بعض أبناء الوطن، ليغادر إلى وطنه الثاني الكويت، وهو يحمل في قلبه محبة وطنه سوريا، التي رفع شأنها وأعلى مقامها وسمعتها من خلال أخلاقه العالية وخدمته للناس واهتمامه الكبير بالقادمين من الوطن من شباب وعائلات، يساعدهم ويعمل على تسهيل إقامتهم، وإيجاد العمل لمن يرغب منهم، فضرب بذلك أروع الأمثال في محبة الوطن والأوطان.

٦) علاقاته على مستوى العمل والتجارة المشروعة:

شاء الله أن يدخل الشيخ علي القطان عالم التجارة، فكان وجوده رحمة على التجارة، سواء على التجار وأخلاقهم، وسواء على الزبائن وأحوالهم، فالتجارة عالم كبير ومحيط عميق، قد يغرق من لا يعرف كيف يسبح فيه أو يغوص في أعماقه الأخلاقية والأحكام الدينية، وهذا ما جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يخوفنا من التاجر غير الصالح، ويحذرنا عند دخول الأسواق بالإكثار من الدعاء. وفي الوقت نفسه يشجع التاجر الصالح المحسن في بيعه وشرائه، وفي تعامله مع الناس على اختلاف شرائحهم وأديانهم وأشكالهم وألوانهم،(ومن هؤلاء التجار الصالحين على سبيل المثال عبد الرزاق خير الله، والحاج عبد الكريم الشامي في مدينة حماة، والحاج رسلان الخالد، والحاج خالد حسون في منطقة السلمية التابعة لحماة وغيرهم من النوادر، وقليلٌ ما هم).

نعم، فقد كان دخول الشيخ علي القطان عالم التجارة رحمة بالتجارة والتجار، حيث كان بالفعل قدوة للتجار جميعاً، لأنه كان بالفعل التاجر الصالح، يدعوهم بالقدوة الحسنة إلى حسن التعامل مع الناس، وإلى القناعة في الأرباح، وإلى التسهيل على الزبائن والعملاء. (ورحم الله امرءاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى، وإذا قضى وإذا اقتضى) حديث شريف. وهكذا يرتقي محيط التجارة ويصير عالماً نظيفاً لا أثر للاستغلال فيه، ولا دور للتكالب على الدنيا واللهث على جمع المال بأي طريق كان، بل هم محيط نظيف عملاً وصادق فعلاً، يدخل الإنسان الأسواق بعد الدعاء وهو يعلم علم اليقين أنه يتعامل مع أشخاص تمتلئ قلوبهم رحمة، ونفوسهم صدقاً ووفاء، وليس غشاً وخداعاً، ونصباً وكذباً واحتيالاً، كما هو الآن في معظم الأسواق. فالعملاء والزبائن في الحقيقة ليسوا سوى إخوة لنا في الدين والإنسانية، وهم الطرف الآخر لعالم التجارة، وبدونهم لا يوجد تاجر ولا تجارة، فالاعتناء والرحمة بهم فرض أكيد، وعدم التعامل معهم بالغش والخداع واجب شديد.

وهكذا كان الشيخ علي القطان تاجراً نصوحاً، عطوفاً حنوناً، يرضى بالربح القليل، فلا يعرف غشاً ولا يمارس احتيالاً، فكأنه وهو يتعامل مع الناس، يضع على رأسه القرآن ويحمل

الشيخ علي في غرفته بالمسجد مع أحد ضيوفه

على صدره سيرة رسول الرحمة ﷺ، وقد وضع غايته رضاء الله، وجعل هدفه إكرام عباد الله. هكذا كان الشيخ علي القطان التاجر العالم، وهكذا كنت أراه وأنا أرافق شقيقي الكبير خلال زياراته في السوق الطويل بحماه منذ بداية الخمسينات، والذي كان يحدثني دائماً عن أخلاقه وعلو أفعاله وشدة تدينه، فقد كان رحمه الله حريصاً على أن لا يتعامل في أية معاملة تجارية إلا إذا استفتى عن حكمها الشرعي، أو أوجد له العلماء لها مخرجاً شرعياً، فالتعامل التجاري في رأيه مرهون بإدراك أحكام الشرع، حتى لا يقع التاجر في الشبهات، ولا يدخل إلى أبواب الربا دون أن يدري.

وقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام دعاء السوق الذي ما معناه (اللهم إني أسألك من خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها تجارة خاسرة أو يميناً فاجرة).

ولم يقف فهمه للعمل التجاري عند هذا المستوى الرائع من حيث الكسب القليل والقناعة بالربح البسيط والمصداقية في التعامل، والرعاية الشاملة للزبائن والعملاء، والتسهيل

عليهم من حيث إقراضهم قروضاً حسنة، وغير ذلك من أخلاق التجار المؤمنين الذين مدحهم الرسول عليه الصلاة والسلام، إنما انطلق من فهمه إلى معان أبعد، ومعايير أشمل وأكمل، مستمدة فعلاً من ديننا الحنيف وشريعتنا السمحة التي لا عز لنا إلا بها، ولا قوة لنا إلا في تطبيقها واعتمادها، جاعلاً محله التجاري فرصة للعلم والمذاكرة والقراءة والمطالعة، فضلاً عن إعلانه الحرب السلمية على المنتجات الأجنبية.

كان رحمه الله يحارب البضائع الأجنبية، وقد أوصله حدسه الصادق وتفكيره الواعي إلى أن الاستعمار إذا خرج عسكرياً، فقد يدخل من النافذة مدنياً، وهو ما يسمى بالاستعمار الاقتصادي، ولهذا قام الشيخ علي القطان منذ انشغاله بالتجارة وبالخصوص بعد استقلال الوطن وخروج الاستعمار الفرنسي، قام رحمه الله بدعوة زملائه التُجار ليلاً ونهاراً إلى ضرورة شراء البضائع الوطنية سواء البضائع السورية أو العربية أو الإسلامية، وتشجيع الناس على استهلاكها كبديل عملي وفعلي وواقعي عن المنتجات الأجنبية الغالية في أسعارها، والتي تفيد المستعمر وتضر بالوطن ضرراً بالغاً.

وهذه المواجهة الكبيرة والواعية للمنتجات الأجنبية ليست أمراً سهلاً بالنسبة للتاجر المخلص للوطن فعلاً، فالناس في ذلك الوقت وحتى اليوم فقدوا الكثير من الوعي، وباتوا أسرى للتقليد الأجنبي والموضة الغربية، التي كانت تدفع بالمستهلكين للهث على المنتج الأجنبي والبضاعة الغربية، حتى وإن ارتفع ثمنها، مما يعني أن التاجر الذي لا يتعامل بالمنتجات الأجنبية سيتعرض يوماً للخسائر، لأنه أخذ العهد على نفسه وأمام الله أن يكون صادقاً في وطنيته، بينما يتحقق الكسب السريع والاغتناء المادي للتاجر الذي يتعامل مع البضائع الأجنبية!!!

كانت فعلاً مواجهه كبيرة، رجحت كفة الميزان لصالح المنتجات الأجنبية، التي كلفت الاقتصاد الوطني خسائر كبيرة، فزادت ديون الدولة، وضعف الاقتصاد الوطني، وتضخمت الأسعار، وهبطت قيمة النقد والعملة المحلية، وسقطت المنتجات الوطنية مقابل الأجنبية، فزادت التبعية ونما التخلف، وتراجع العديد من التجار إلى الوراء بسبب إخلاصهم،

ومنهم الشيخ على القطان الذي آثر أن يهاجر بدينه، ونظراً لعوامل عديدة هاجر إلى الكويت وطنه الثاني، ليبدأ مسيرة جديدة أرادها الله له من العلم والإمامة والخطابة والاشتغال بخدمة الناس ومساعدة الفقراء وذوى الاحتياجات.

رحم الله الشيخ فقد كان بفراسته واستشعاره الأحداث وقوة استشرافه للمستقبل، قد حذر الأمة من خطر داهم، أمة تنام حتى الضحى، وعدوها مستيقظ في ليل مظلم، فكان حاله كحال الشاعر الذي نصح قومه من عدو قادم ليلاً فلم يسمعوا له وناموا إلى أن قضى عليهم عدوهم، وصدق الشاعر بقوله :

نصحت لقومي بمنبلج اللوى ❖❖❖ فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وخلاصة القول أنه قد ظهر في عالمنا العربي والإسلامي جيل من التجار الصالحين الواعين الذين يستثمرون أوقات فراغهم في القراءة والمطالعة، وفي الحوار والمذاكرة، حتى نبغ منهم من نبغ علماً وفكراً ووعياً وإدراكاً، وصار منهم علماء سياسة واقتصاد وفقه، حيث تحولت المحلات التجارية إلى مدارس وجامعات تدعو إلى المقاطعة للمنتج الأجنبي، وتحذر الحكومات من مغبة التبعية الاقتصادية، وكان على رأس هؤلاء التجار الشيخ المرحوم علي القطان وأمثاله في مدينة حماه، والحاج خالد حسون وأمثاله في منطقة السلمية لمحافظة حماه وأمثالهم على مستوى العالم العربي والاسلامى.

٧) علاقته على مستوى العمل الإسلامي في بلاد الشام:

شاء الله لبلاد الشام أن تكون عاصمة العالم ومركز الخلافة الإسلامية التي فتحت الأقطار، وحملت أخلاق الإسلام إلى كل مكان شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، ويكفي فخراً بلاد الشام أن يتوجه شخص واحد من أمراء بني أمية مع عدد من المرافقين ثم يعبر شمال أفريقيا ليصل أسبانيا ويقيم دولة الأندلس الأسبانية سبعة قرون.

وشاء الله أيضاً لبلاد الشام أن يولد الشيخ على أحمد القطان فيها عام ١٩٢٢م، أي في عشرينات القرن العشرين، وقبل ست سنوات من ولادة الحركة الإسلامية المنظمة عام ١٩٢٨م في مصر، فكانت ولادة الاثنين معاً مؤشر خير وعامل تفاؤل لهذين العالمين

العربي والإسلامي، اللذين ظلا مدة طويلة بعد غياب حضارة الإسلام، يعانيان من التأخر الفكري، ويواجهان تحديات كبيرة من أعمال الغزو الخارجي، سواء على يد المغول والتتار أو على يد الصليبيين الأشرار، وسواء على يد الأوروبيين مبتكري الاحتلال الغاشم والاستعمار.

وإن لله في خلقه شؤوناً، فإذا كانت الدعوة الإسلامية قد ظهرت في مصر على وجه التخصيص، فإن لتلامذتها في الأقطار العربية الأخرى دوراً بارزاً في توسيع دائرة انتشارها، حيث كان المرحوم الراحل الشيخ علي القطان علماً من أعلام تلك الدعوة، مثلما كان الشيخ المرحوم مصطفى السباعي في مدينة حمص ودمشق وغيره أيضاً على مستوى كل محافظة ومدينة، حيث شارك كل داعية من موقع وبلدة في نشر أفكار الإسلام الصحيحة وإعادة صياغة الأخلاق والسلوك بالكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة وفق تعاليم الإسلام الواضحة والثابتة في الكتاب والسنة.

وبالفعل كان المرحوم الشيخ علي القطان، وإن لم ينتم لأية جهة أو حزب، كان داعية إلى الحق والخير والعمل الصالح ومحبة الوطن والتضحية والفداء والدفاع عن حياة الأمة والدين في كل مكان حل فيه أو ارتحل إليه.

وإذا كان من فضل الله على الشيخ أنه قد أحاطه منذ ولادته ببيئة صالحة ومحيط نظيف بدءاً بالمنطقة فالمدينة فالحي فالعائلة فالصحبة فالعمل فديار الهجرة، إلى أن توفاه الله في بلده الثاني الكويت في ٢٠٠٣/١/١١ بعد عمر كريم ناهز الثمانين عاماً، فإن فضل الله عليه هدايته إلى الإسلام، وإلى الانخراط في صفوف الدعوة إلى الله، التي استقطبت الكثير من الشباب على مستوى منطقة بلاد الشام، حيث شهدت منذ العشرينات نشاطاً دعوياً واضحاً على يد الإمام حسن البنا في مصر وحيث امتدت آثار تلك الحركة من مصر إلى غيرها من بلدان العالم العربي والإسلامي، وكان أشدها تأثراً بلاد الشام عامة ومدينة حماة خاصة نظراً لطبيعة التدين في كلا البلدين مصر والشام، وتوقان الناس للأخلاق الإسلامية والشريعة السمحة. ولسنا مجانبين للصواب إذا قلنا إن لهذه الحركة بعد الله

فضلاً كبيراً في استقطاب الشباب إلى محيط الدعوة الإسلامية النظيفة، وهو المحيط الوحيد الذي تتلاقى فيه معاني الأخلاق العالية والفضائل النبيلة، حيث العلاقات بين الأفراد داخل محيط تلك الدعوة أو بينهم وبين غيرهم، تقوم على أسس من عالي القيم الإسلامية،كالصدق والعفة والأمان والاحترام والتسامح والاعتدال والحياء والصبر والكرم والغيرة على العرض وحسن التعامل وحسن الجوار، وغير ذلك من قيم يفرضها الإسلام على معتنقيه، طالباً منهم ألا يتعاملوا مع أنفسهم أو مع الآخرين إلا بواسطتها ومن خلالها، حيث لاقت تلك الأفكار الحية والجديدة رواجاً واضحاً انتقلت من خلال الدعوة من مصر المسلمة إلى بلاد الشام فالعراق فبلدان الخليج العربي وعلى رأسها دولة الكويت وغير ذلك من أنحاء العالم العربي والإسلامي شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً.

ثانيا : الشيخ علي القطان في وطنه الثاني مهاجراً إلى الكويت:

١) الكويت بلد أمن وأمان :

لم يكد منتصف عقد الستينات في القرن العشرين يبدأ خطواته الأولى نحو المستقبل، حتى بدأ الشيخ علي القطان أيضاً خطواته الأولى في طريقه إلى المستقبل إلى ديار الهجرة عام ١٩٦٦م، حيث قرر رحمه الله أن تكون الكويت هي محط هجرته وموطن إقامته وبمعنى آخر أن تكون الكويت هي وطنه الثاني حيث وجد العمل الكريم كإمام وخطيب، وحيث استقدم بعد ذلك ابنه الكبير أحمد حيث شاء الله أن يجد عملاً في وزاره الأوقاف.

قرار..ونعم القرار هذا القرار..!موقف..ونعم الموقف هذا الموقف..!

فالكويت في حقيقة الأمر وواقعه، بلد طيب كريم جبل أهله على قيم الإسلام والعروبة وعلى شيم الجود والكرم والدين والمحبة والتكافل والتعاون واحترام الضيف وإكرام الغريب.

وإذا كان لي أن استشهد بكلمات عن الكويت ومحبتها للمهاجرين إليها من العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

تشهد وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية أن علي أحمد القطان الموقع هذه الشهادة بعد أن أتم البر الرحيم في المعهد وتخرج بمعدل ... في سنة التخرج في سنة ١٤٠٢ هجرية الموافق سنة ١٩٨٢ ميلادية وكان ترتيبه ١٦ من مجموع الناجحين وعددهم أربعة وستون وإن الوزارة إذ تمنحه هذه الشهادة فتوصيه بتقوى الله تعالى وأن يكون دائماً على صلة بربه وأن يسلك سبيل العلماء العاملين. والله ولي التوفيق.

وزير الأوقاف والشئون الإسلامية

الكويت في ١٤٠٢/١٢/١ هـ
الموافق ١٩٨٢/٩/١٨ م

توقيع صاحب الشهادة

والمخلصين، فما رأيت أجمل من كلمات زميلنا في التعليم العالي الدكتور عبدالمحسن الخرافي عميد كلية التربية الأساسية سابقاً، حيث يقول: «كلامي في الكويت مجروح وحبي لها مفضوح».

بيد أن كل منصف يذكر للكويت احتضانها العرب، كل العرب والمسلمين والبشر، كل البشر، كانت ولا تزال المرفأ الآمن لكل باحث عن الرزق الحلال الذي قد يحصل عليه في أكثر من دولة في المنطقة، ولكن لا يجده مشفوعاً بالحرية بشتى أشكالها، حرية القول والعمل معاً، مثلما يجدهما في الكويت.

قبل الاستقلال بعقد من الزمان (الخمسينيات) وفدت إلى الكويت كوكبة من الأساتذة العرب الذين أفادوا واستفادوا، حيث كان شعار كل واحد منهم (إقالة العثرات) حيث السبق الدءوب في إغاثة الملهوف وتفريج الكربة ومعونة اليتيم وتفقد

د.سعيد النجار

عبدالعزيز العلي المطوع

الحاج رسلان الخالد

عبدالله العلي المطوع

ذوي العسرة والسؤال عن المحتاج والمشي مع طالب العلم واستضافة عابر السبيل أو غريب الديار.

وكان في مقدمة تلك الكوكبة الدكتور سعيد النجار(من مصر)جاء إلى الكويت في الخمسينات وكان له الفضل في إنشاء الصحة الوقائية.لقد كان هذا الرجل نموذجاً فريداً في قضاء الحاجات لكل محتاج بلا استثناء، وكان توفيق الله تعالى ثم صلته بأصحاب القرار يساعدانه على تلبية كل من طرق بابه وهم كثر، من إخوانه العرب والمسلمين، ثم سار على دربه الحاج رسلان الخالد (من سوريا من منطقة السلمية) وصديق الشيخ علي القطان والذي قدم إلى الكويت في أواخر الخمسينات وكان رجلاً يتحرك في الليل و الناس نيام، ويقدم العون بعيداً عن مظنة الرياء، ويسعى دائماً لإخوانه المسلمين مهما كانت الأقاليم التي أتوا منها. وكان أيضاً من هذه الثلة محمد عبدالحليم الشيخ، الذي أسس توجيه التربية الإسلامية وكان من أركان وزارة التربية، والمهندس محمد حلمي الكاشف وكلاهما من الكنانة، والشيخ بكور من سوريا حيث مسقط رأس الشيخ علي القطان رحمه الله، وكذلك أبناء الشيخ محمد نافع الشامي من محافظة أدلب وغيرهم.

لقد كان الكرام من أهل الكويت في تعاون وثيق مع هذه الثلة التي أفرغت طاقاتها لخدمة ذوي الحاجات، وتطبيق معنى الأخوة الإسلامية بحق. ويجدر بنا هنا ذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تقدير

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع المساجد

الأمانة العامة للأوقاف
الصندوق الوقفي لرعاية المساجد

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف ٣٠.

يسر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ممثلة في إدارة مساجد محافظة حولي أن تمنح:

السيد / علي أحمد القطان المحترم

هذه الشهادة وذلك تقديراً لجهوده المتميزة التي بذلها في خدمة بيوت الله.

سائلين الله تعالى له دوام التوفيق والسداد ...

مدير إدارة مساجد
محافظة حولي

أنور محمد المحمد
مدير إدارة
مساجد محافظة حولي

بعض أسماء هؤلاء الكرام الذي دعموا هذه الثلة بعد أن رأوا فيها الصدق والتجرد وإنكار الذات. ومن أولئك الذين نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر، المرحوم عبدالعزيز علي المطوع، والشيخ السيد يوسف الرفاعي، والشيخ عبدالله العلي المطوع، ومحمد العدساني، ومحمد بودي، والمرحوم عبدالله سلطان الكليب وكثيرون غيرهم، ويأتي الحديث على أحد أولئك الراحلين الذين تركوا في الكويت في قلوب أهلها بصمه طيبة، حيث رحل عنا فضيلة الشيخ علي أحمد القطان يوم السبت الحادي عشر من يناير، وهو إمام وخطيب مسجد المحسن سليمان اللهيب رحمه الله في ميدان حولي.

٢) العمل والدعوة خلال إقامته في الكويت:

في منتصف الستينات، وبالضبط في عام ١٩٦٦، قرر الشيخ علي أحمد القطان أن يهاجر من سوريا إلي الكويت كما ذكرنا سابقاً، وكان من أهم الأسباب التي دفعته إلى الهجرة ضيق الأحوال وطلب الرزق الحلال بعد أن كبرت أسرته وضاع منه الكثير من

المال، بسبب مواقفه الشهمة، وإقراضه الناس من أمواله الخاصة، وانكماش العمل التجاري، ففي السفر فوائد كثيرة، كما كان الشيخ علي القطان رحمه الله يرددها على مسامعي. حيث الله سبحانه وتعالى يبارك للمهاجر والمسافر إذا كان سفره خالصاً لله يطلب الرزق الحلال.

ويمكن للقارئ أن يرجع إلى بداية الفصل الأول في بند (أولاً) رقم ١ حيث تمت الإشارة إلى واقع إقامته في الكويت.

الفصل الثاني

منهج الشيخ علي القطان في الإصلاح الاجتماعي والدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله

أولاً: الإصلاح الاجتماعي من خلال الخطاب الديني التجديدي.

- واقعية الخطاب الديني التجديدي لدى الشيخ علي القطان.
- الركائز الأساسية للخطاب الديني التجديدي.

أ - الركيزة الفكرية والثقافية.

ب - الركيزة العقدية والأخلاقية.

ت - الركيزة السياسية والقانونية.

ث - الركيزة العملية والتطبيقية.

ثانياً: الدعوة الإسلامية المستمرة لدى الشيخ علي القطان

- الشيخ علي القطان داعية المبدأ والفكر والعمل.
- الشيخ علي القطان والدعوة إلى الوسطية والاعتدال والتعايش.
- الشيخ علي القطان نموذج من خطبة الجمعة.

مدخل:

هذا الفصل يتضمن أول صفحة من صفحات شخصية الشيخ علي القطان من حيث كونه مدرسة في الدعوة إلى الله... الدعوة المستمرة التي لا تنقطع، حتى في أوقات المرض والعجز والشيخوخة واقتراب الغيبوبة وفقدان الوعي، فالهاجس الذي يشغله ليلاً ونهاراً في قيامه وحركته وفي سكونه ونومه رضا الله والدعوة إلى الله، من فعل الخيرات والعمل على الإصلاح الشامل للأمة اجتماعياً وثقافياً وأخلاقياً إلى غير ذلك من جوانب الحياة المختلفة والمتعددة والمتزايدة بفعل التطور العلمي والتكنولوجي والمعلوماتي الذي يتوالد ويظهر بين الحين والآخر.

انطلاقاً من ذلك سيحتوي هذا الفصل على جانبين أساسيين:

أولهما: بعنوان الشيخ علي القطان والإصلاح الاجتماعي من خلال الخطاب الديني التجديدي الشامل، حيث سيعرض المؤلف واقعية الخطاب الديني التجديدي لدى الشيخ الراحل في جزئية، أما الجزئية الثانية فسوف تتضمن الركائز الأساسية للخطاب الديني التجديدي لدى الشيخ علي القطان وهي الركيزة الفكرية والعقدية فالسياسية فالعلمية وهكذا...

أما الجانب الثاني: من هذا الفصل فسوف يحتوي على موضوع الدعوة المستمرة إلى الله، والتي كان ينتهجها الشيخ علي القطان في حياته منذ وعيه إلى حين وفاته رحمه الله، حيث كانت الدعوة إلى الله هي كل شيء لديه، و رأس ماله الحقيقي، في كل وقت وفي كل مكان وفي كل جانب من جوانب الحياة، فالدعوة إلى الله لديه وظيفة وعمل، وظيفة قد كلفه الله بها، وعمل ينبغي أداؤه للوصول إلى مرضاة الله.

أولاً: الشيخ علي القطان والإصلاح الاجتماعي من خلال الخطاب الديني التجديدي:

١) واقعية الخطاب الديني التجديدي لدى الشيخ علي القطان

لم يكن الخطاب الديني عند الشيخ علي القطان تقليدياً !! نعم لم يكن كذلك مطلقاً، على الرغم من أن المرحلة التي كان الشيخ علي القطان يمارس فيها الدعوة سواء على المستوى الرسمي الحكومي أو على المستوى الشخصي والأهلي قد شهدت نمواً واسعاً للخطاب الديني التقليدي، وهي فترة امتدت عقوداً طويلة من الزمن منذ بداية القرن العشرين وشهدت مولد الشيخ علي القطان ووفاته رحمه الله.

ولا تزال آثارها واضحة حتى اليوم!!

إذاً !! كيف استطاع الشيخ علي القطان التخلص من النمط التقليدي للخطاب الديني، والارتقاء به إلى آفاق عالية وجوانب لم يعهدها المجتمع الإسلامي بعد تخلفه وغياب الفاعلية فيه ؟

الشيخ علي القطان يلقي كلمة في إحدى الندوات .

حقاً إن العديد من العلماء البارزين حاولوا تجديد هذا الخطاب وعلى رأسهم الشهيد الإمام حسن البنا، لكن على الرغم من ذلك التجديد فقد استمر الخطاب الديني في أكثر من موقع على المستوى الخاص، وفي معظم المواقع على المستوى العام والرسمي يتسم بالتقليدية البحتة، ويغوص في جوانب وموضوعات مستهلكة لأنها لا تمثل اهتمامات كبيرة وعمودية لدى المسلم، وبالخصوص أن معظمها قد بات مفهوماً ومدروساً، وأن الأولوية للموضوعات التي تلتصق بقضايا المسلمين الراهنة مثل تخلف المسلمين وغياب الشريعة، وفساد المناهج، وحرية الانحراف، وضياع الشباب، واستيراد الأفكار، ومقاطعة المنتجات الأجنبية، وحماية الأسرة من الضياع، وخطورة البث الإعلامي المنحل، والهجمة اللا أخلاقية، والتعليم الأجنبي، والبعثات غير المحصنة، والغزو الفكري وغير ذلك من قضايا تعتبر غائبة عن الخطاب الديني التقليدي، نسبياً وبشكل مطلق تارة أخرى.

فما هي فحوى هذا الخطاب؟ وما هي القضايا التي كان يعالجها؟

وقبل الإجابة ينبغي الاعتراف بأن من فضل الله على الشيخ علي القطان أن خطابه الديني التجديدي قد لاقى استجابة، وبالخصوص أنه يمارسه عملياً وتطبيقياً وبشكل واضح وشامل في دولة الكويت، التي أنعم الله عليها بالتمسك بالقيم الإسلامية من حيث حرية التعبير وحرية الرأي، وعدم الاهتمام بالرقابة الرسمية على الخطاب الرسمي من خلال خطب الجمعة أو الدروس في المساجد، وإذا تم تشديد الرقابة مؤخراً فربما بسبب عدد من العوامل المستجدة التي دفعت بالوزارة إلى التمسك بحقها القانوني في الرقابة على خطب الجمعة ودروس المساجد، خشية الفتنة أو التطرف أو الوقوع في الشبهات.

كما أن من فضل الله على الشيخ علي القطان أن يكون أحد مؤسسي هذا

الخطاب إن صح التعبير، لأن الخطاب نفسه يحتاج إلى شخصية خطابية دينية متميزة، ويتطلب في الخطيب صفات كالشجاعة والجرأة الأدبية، والقوة في الحق، والعلم، والذكاء، والمروءة والهمة، والقدرة على التعامل مع الجمهور، وعدم الوقوع في التشهير، والبعد عن أسلوب القذف والتحقير، وإثارة كامن الخير في الحضور، فضلاً عن توجيه الاهتمام إلى مشكلات الأمة وقضايا المجتمع الإسلامي والعربي والمحلي الراهنة، من خلال النقد البناء والعمل الجاد والحكمة والكلمة الطيبة، وفي إطار من التسامح والتعايش، بعيداً عن التفرقة والجدل والاختلافات العقيمة، وهذه الصفات كلها كانت متجسدة بشخصية الشيخ والتي شاء الله أن تتم زراعتها في نفسه وفكره وعقله ومصاحبته الأخيار، فضلاً عن محبته للفروسية ورغبته في التميز في عمله، وميله إلى منظومة القيم العالية التي ترغبها نفسه ويهواها ضميره مثل المروءة والرجولة والهمة والجود والكرم والإيثار والغيرة والإصلاح والاشتغال بمشكلات الناس وإغاثة الضعيف والفقير والملهوف وصاحب الحاجة.

وعليه فالخطاب الديني التقليدي هو باختصار معالجة قضايا غير واقعية تشغله قضايا واقعية، أو أنه انسحاب الخطاب الديني من الاشتغال بهموم الناس ومشكلاتهم إلى الحديث عن قضايا مفهومة ومهضومة بعيدة عن هموم المجتمع ومشاكله بحيث يلعب الخطاب الديني التقليدي، في هذا الحال، وعلى الرغم من إيجابياته العديدة، دوراً سلبياً في الوعي الاجتماعي والتوعية الفكرية، ويعمل من حيث يريد أو لا يريد، في تكريس الواقع المتخلف للأمة الإسلامية والتي لا يزال تخلفها مستمراً بشكل واضح منذ غياب الإسلام فعلياً عن التحكم في واقع الحياة، ومنذ أن أخذ المسلمون عامة والمسؤولون خاصة، يغيبون عن ساحة التجديد، ويبتعدون عن دراسة الواقع، ويتهربون من ميدان التفكير العلمي والابتكار والإبداع تاركين الساحة لغيرهم، ومغادرين الميدان لأعدائهم، مخالفين بذلك أمر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ (سورة الرعد/الآية:١١) ناسين أو متناسين

الشيخ علي القطان والدكتور صلاح الراشد الخبير في التنمية البشرية .

حضارة الإسلام التي بناها الأجداد من خلال خطاب ديني واقعي وشامل فتحوا من خلالها الأمصار وأقاموا العلوم وأسسوا المراكز والمدارس والجامعات، واشتغلوا بالهندسة والفلك والجبر والطب والرياضيات، ولم يتركوا مشكلاتهم معلقة مثلما يفعل الخلق متجاهلين منهج السلف.

وهكذا يكون الخطاب الديني لدى الشيخ علي القطان خطاباً تجديدياً عايشته أكثر من عشرين عاماً، وعايشته بكل جوارحي سواء في مسجد اللهيب من خلال خطبة الجمعة أو الدروس اليومية، أو اللقاءات الشخصية، وسواء في اللجان والجمعيات والاجتماعات الدينية والخيرية والتطوعية التي كان الشيخ يلقي فيها دروساً أو محاضرات.

وبذلك التقى الإنسان مع المكان والزمان، في معادلة واحدة ساهمت جميع أطرافها في تسهيل مهمة الشيخ في بث ونشر هذا الخطاب، وبمعنى آخر المساهمة الفاعلة الواضحة في تجديد الخطاب التقليدي !! مثلما فعل الإمام الشهيد حسن البنا وغيره

من الرجال المجددين، فجزى الله خيراً كل من ساهم في هذا التجديد الذي تحتاجه الأمة العربية والإسلامية.

٢) الركائز الأساسية للخطاب الديني التجديدي لدى الشيخ علي القطان:

على الرغم من تعدد الجوانب في الخطاب التجديدي لدى الشيخ علي القطان على اعتبار أنها ترتبط بالدين كله، وبالمجتمع من بدايته إلى نهايته، وبمشكلات الإنسان الأفقية والعمودية مما يصعب حصرها جميعاً، فإنه بالإمكان الإشارة إليها من خلال تصنيفها وفق موضوعات رئيسة تعتبر في الحقيقة الأركان العامة والركائز الأساسية لهذا الخطاب.

❖ الركيزة الفكرية والثقافية :

لم يكن الجانب الفكري والثقافي في الخطاب التجديدي للشيخ علي القطان ترفاً فكرياً أو عملاً ثقافياً ترفيهياً أو غير ذلك من الأشكال السلبية للفكر، والأنواع الغامضة المبهمة للثقافة، إنما كان الفكر لديه علماً قائماً بذاته، ومنهجاً يعمل على تطبيقه ليل نهار، وبمعنى آخر كان الفكر لديه صرخة مدوية نابعة من ضمير حي ووجدان فاعل وعاطفة صادقة وعقل صافٍ وذهن وقّاد ومشاعر جياشة وقلب حزين ونفس متألمة مثلما كان نابعاً من واقع سيئ وأحوال غير طبيعية يمر بها العالم العربي والإسلامي، على اختلاف أوطانه وبلدانه، وبذلك يبدو واضحاً الدور المهم الذي يقوم به هذا الخطاب من حيث الكشف عن الجوانب السلبية في الحياة الفكرية والعلمية والأدبية والثقافية والتربوية والتعليمية، وخطورة استمرارها فتتوالد سلباً وتتكاثر تخلفاً، فضلاً عن عدم الاكتفاء بهذا الكشف إنما الانتقال إلى المرحلة الثانية المتمثلة بوضع الحلول العلمية الإيجابية لهذه السلبيات المتفشية، وبذلك تكتمل المعادلة الفكرية من خلال التقويم السليم والمعايير الفكرية الناضجة، والموازنة بين الإيجابيات والسلبيات، ووضع الحلول الهادئة الصحيحة التدرجية للقضاء على الثغرات في الحياة الفكرية والحياة العلمية، بما فيه مصلحة الأفراد والدولة، والمجتمع والأمة !! ومثلما ينطبق ذلك

المنهج الرائع على الجوانب الفكرية في ذلك الخطاب، ينطبق على الجوانب الثقافية وما يتبعها من جوانب، فالثقافة التي تعني مجموعة القيم والمعايير والأفكار والمعاني والاتجاهات والرؤى والنظريات والفلسفات التي يؤمن بها مجتمع ما.. هذه الثقافة بهذا المعنى كانت الشغل الشاغل للشيخ علي القطان في خطابه التجديدي وحمايتها من عبث العابثين، وسموم الدخلاء المنحرفين الذين يريدون تحويل الثقافة والحياة الثقافية : إما إلى ترف وترفيه وكلام وتفريغ لها من كل قيمة، وإما إلى أجواء تنمو فيها الثقافة الغربية المستوردة، وترتع فيها الأفكار الأجنبية الفاسدة، ولذلك كان الخطاب لديه أداة نظيفة نقية تنطلق من قيم الإسلام والمجتمع المسلم لقطع الطريق على كل فكر مدسوس وثقافة منحلة.

❖ الركيزة العقدية والأخلاقية :

لم يكن شيء يشغل الشيخ علي القطان ويعمل بفعالية على تسخير المزيد من علمه وفكره وجهده من خلال الخطاب التجديدي مثل الجانب المرتبط بالعقيدة والأخلاق، حيث يرى الشيخ أنه لا يمكن مطلقاً الفصل بين هذين الجانبين حتى في أسوأ الأحوال، فلا قيمة لأخلاقٍ مهما علت دون عقيدة صحيحة تقوم على التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى بعيداً عن أي شرك، ولا قيمة لعقيدة إذا انفصلت نهائياً عن الأخلاق، ومارس صاحبها أنواعاً عديدة من الفساد والإفساد، ومن الظلم والإجحاف، ومن القهر والاستبداد، ومن الاعتداء والعدوان.

وهذه النظرية التكاملية والرؤية الشاملة لدى الشيخ هي قوام التطور الاستراتيجي العلمي القائم على أساس مستقبلي بعيداً عن الآنية والتكتيك !!

فالعقيدة الصحيحة القائمة على التوحيد لا تقبل مساومة ولا تكتيكاً، والأخلاق القائمة على الاستقامة والنظافة القيمة لا تقبل أيضاً مساومة ولا تكتيكاً، وبذلك تكتمل معادلة الأخلاق والعقيدة في منهج الشيخ وهو يمارس خطابه الإصلاحي التغيري.

يركز الشيخ في خطابه التجديدي على أهمية العقيدة في حياة المسلم، حيث لا تخلو

الشيخ علي بين الدكتور محمد رشيد ميقاتي وابن الدكتور

خطبة من خطب يوم الجمعة، ولا يخلو درس من دروسه بعد العصر أو بعد الفجر، أو في أية مناسبة، من التركيز على العقيدة، عقيدة التوحيد، وأن الإنسان ينبغي أن يعمل ليلاً ونهاراً على تفعيل العقيدة في نفسه، فضلاً عن الرقابة عليها ساعة فساعة، فالعقيدة هي بأبسط المعاني الإيمان بالله بعيداً عن كل شرك، بالإضافة إلى الإيمان الصادق بجميع الرسل والكتب والملائكة والآخرة وقضاء الله وقدره وغير ذلك من الإيمان إذا اختل وتزلزل، اختلت معه باقي الجوانب وتزعزعت، وبالتالي فإن الهزيمة هي النتيجة المؤكدة، وهذا ما حذا بالشيخ إلى أن يرد جميع هزائم العالم العربي الإسلامي إلى الخلل في العقيدة مؤكداً أن النصر مرتبط بسلامة العقيدة، وأن مجرى النهر يكون صافياً إذا كان منبعه صافياً، وأن مجراه يكون فاسداً إذا كان المنبع فاسداً.

ومثلما يركز الشيخ في خطابه التجديدي على العقيدة يركز على الجانب الأخلاقي حيث دائماً ما يردد القول المأثور والحديث النبوي الشريف «إنما بعثت لأتمم مكارم

الأخلاق» (رواه مالك في الموطأ) . وقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ (سورة ن/ آية:٤)، ومن ذلك يستنتج الشيخ الأهمية القصوى للعمل الأخلاقي ودوره في بناء الأمم والمجتمعات، وقبل ذلك دوره في ترجمة العقيدة الصحيحة إلى أفعال وتطبيقات وممارسات.

ج - الركيزة السياسية والقانونية:

على الرغم مما يتعرض له الداعية خاصة، والإنسان عامة في العالم العربي المتخلف في فترات الحكم الفوضوي والجبري من إحراجات قد تنتهي بالاعتقال أو السجن، وأحياناً التعذيب إلى حد القتل، عندما يثير بعض الحقائق السياسية والقانونية، فإن الخطاب الديني للشيخ علي القطان لم يتجاهل هذا الجانب رغم خطورته، ولم يغفل عن الإشارة إلى بعض الحقائق السياسية والقانونية الضرورية رغم ما يلحق الناقد من

الشيخ علي مع نجله الأكبر أحمد وبعض الضيوف في إحدى الحفلات

عواقب وخيمة.

وقد ساعد الشيخ في خطابه عاملان أساسيان جعلاه يؤدي دوره في الخطاب الديني دون إحراج وبعيداً عن العواقب السيئة : أولهما: أن ممارسته لهذا الخطاب، قد شاء الله له أن تكون في دولة الكويت، التي انتهجت منذ نشأتها نظاماً سياسياً يقوم على الشورى والحوار، ويركز على حق الإنسان في التعبير عن الرأي وفي الحرية الفكرية، وغير ذلك من سمات النظام السياسي المسمى بالديمقراطية، مما يعني أن هذا النظام كان فرصة للشيخ أن يدلي برأيه ويعبر عن أفكاره دون مضايقات ولا تهديد بالاعتقال. وهذا ما جعل الشيخ وفياً لهذا المجتمع الكريم محباً له، داعياً لتكريس وتفعيل مثل هذا الاتجاه السياسي الكريم الذي يمنح الإنسان حقوقه الفكرية والسياسية تحت حماية الدولة والقانون، وإن لم يصل إلى المستوى المناسب والمنشود في تطبيق نظام الشورى بأكمله، والعدالة بأسمى معانيها!

أما ثاني هذين العاملين المساعدين فيتمثل في منهجية الشيخ وطريقته الدعوية القائمة على الاعتدال والتسامح ضمن مبدأ لا إفراط ولا تفريط، وهو المنهج القائم أيضاً على عدم الإساءة إلى أحد، حاكماً أو محكوماً، فرداً أو مؤسسة، على أساس ماذا سيجني الداعية إذا أشهر سلاح الهجوم والتشهير والسب والقذف للأنظمة الحاكمة، والمؤسسات السياسية في الدولة والمجتمع ؟ و بمعنى آخر أن منهج الشيخ في النظام الحاكم يقوم على أساس لا قذف للمؤسسات ولا تحقير للناس، وبالخصوص أن الله سبحانه وتعالى يؤكد في القرآن الكريم أنه ﴿**لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظُلم**﴾ (سورة النساء/ الآية: ١٤٨) وقوله أيضاً ﴿**وقولوا للناس حسناً**﴾ (سورة البقرة/ الآية: ٨٣) وقوله سبحانه ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ (سورة النحل/ الآية: ١٢٥) وقوله سبحانه ﴿**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ (سورة العصر/ الآية: ٣) وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تركز على الاعتدال في النصيحة وحسن أدائها بل وضرورة تأجيلها إذا كان سيتولد عنها شر كبير

أو عواقب وخيمة على الفرد والأمة والدولة والمجتمع والإنسانية جمعاء.

انطلاقاً من ذلك تناول الشيخ في خطابه الجوانب السياسية والقانونية في المجتمع بطريقة الطبيب الرحيم، والصديق الحكيم، والمعالج الودود، والأب العطوف، والأم الحنون ناظراً للأمور بمقياس شامل ومعيار دقيق متكامل يركز على الإيجابيات ويثني على القائمين بها، طالباً زيادة رقعتها والتوسع في مساحاتها، مع الإشارة اللطيفة إلى ضرورة الانتباه إلى السلبيات وأوجه التطور في الحياة السياسية والجوانب القانونية، كي تتطابق التطورات جميعها مع حقائق الشرع الحنيف وروح الدين الإسلامي الكريم، وكي تتحقق للإنسان مكانته في الحياة وكي تستقيم أمور الناس في المجتمع.

ومن المؤكد أن دعوة الشيخ ومنهجيته في خطابه وهو يتناول الجوانب السياسية والقانونية، كانت دعوة رحمة ومحبة يرجوها لجميع الأنظمة، سواء في العالم العربي أو في العالم الإسلامي أو العالم أجمع، كي تتخلص البشرية من الأنانية والانحراف والظلم والفساد والعنصرية واللامساواة وكي تقترب البشرية جمعاء من فطرة الله التي فطر عليها الإنسان، وهي فطرة الحرية والاعتدال والعدل والتسامح والعفة والاستقامة والمحبة والتعايش والتعارف وغير ذلك من عالي الأخلاق والقيم، ونبيل الفضائل والشيم، مطالباً جميع المجتمعات والأنظمة بالرجوع إلى الحق ومنح الإنسان حقه في تلك الجوانب بصفة تدريجية وإرضائية بعيداً عن العنف والتطرف حيث لا إفراط و لا تفريط ولا ضرر، وهذه غاية النظام الاجتماعي والسياسي السليم.

د - الركيزة العملية والتطبيقية :

لم يغب الفكر العملي أو التطبيق الفعلي عن ذهن الشيخ في خطابه التجديدي اعتقاداً منه أن العمل والفعل جانبان أساسيان من الجوانب التي تكوِّن شخصية الإنسان المسلم، حيث ما الفائدة من الإكثار من الأقوال والأفكار والنظريات دون فعل صحيح ودون تطبيق سليم ودون عمل مستمر ؟!.

انطلاقاً من ذلك، كان الشيخ يركز في خطابه الديني التجديدي سواء في خطبة

النهضة الإسلامية
"مركز حماة"
حماة هاتف ٢٤٩٤٦
الرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر ووفاء

لحضرة الأخ الكريم السيد الحاج علي الرفاعي أعزك الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

إن النهضة الإسلامية تحفظ لكم في القلوب عطفكم المستمر الذي أحطتموها به متجددًا كل عام معبرًا عما تحملن نفسكم الطيبة من مثل عليا دعا إليها نبي الرحمة محمد ﷺ وأحيا بها في القلوب صحابته البررة ، وها هم أتباعه في كل مكان ينهجون النهج نفسه وتحيا قلوبهم بذلك المثل .

وإننا لنشكر لكم هذه اليد الكريمة التي تدفعنا إلى الأمام حثيثًا . زادكم الله من فضله وكتب لكم أحسن الأجر عنده . والله يحفظكم ويديمكم بالخير والهناء .

رئيس النهضة الإسلامية
وجيه الأسود

الجمعة أو في درس في المسجد، أو إن شاء الله له أن يلقي كلمة في ندوة أو محاضرة في مؤتمر أو غير ذلك، كان يركز على أهمية العمل، وأهمية الإكثار من العمل ابتغاء مرضاة الله، وبالخصوص أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية ممتلئة بالمشكلات، غنية بالفقراء والمساكين وذوي الحاجات، بحيث يكون العمل الدواء الصحيح للكثير من أمراضنا المادية أو الاجتماعية أو غير ذلك.

والمتصفح للقرآن والسنة، وتاريخ الأمم والشعوب يجد أن العمل أحد أهم ركائز بقاء المجتمعات، وعامل أساسي من عوامل قوتها بل نهضتها وانطلاقها، وبمعنى آخر أن الأمم العظيمة تلك التي تعمل أكثر مما تقول، وتطبق أكثر مما تدعي، لأن هذا العمل المستمر، والتطبيق الدائم يعني أن الوقت مستثمر، وأن الزمن ثمين، وأن الأمة بخير مادام الناس يعلمون ويعملون.

العمل قيمة والعمل منهج والعمل حركة وبركة، وإن المجتمعات التي ترنو للكسل

واللهو والكلام هي مجتمعات ضائعة بالفعل، وبالخصوص في زماننا هذا حيث نرى الكثير من الناس تتكلم وتلغو بعيداً عن العمل والتطبيق، حتى إن أحد الباحثين أشار إلى أن أكثر من ٧٠٪ من أوقات الناس تضيع في الكلام واللغو وإن إنتاج العامل أو الموظف في الإدارة قد لا يتجاوز ٣٥ دقيقة من أصل ٦ ساعات عمل حسب إحصائية منشورة وصادرة عن منظمة العمل الدولية.

لقد أدرك الشيخ بفراسته وعقله، وقبل ذلك بفهمه للقرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الراشدين والصحابة المكرمين أن الأولوية للعمل، ولهذا كان يحض الناس دائماً على العمل والتطبيق يومياً وكان هو بالفعل مدرسة في العمل وقدوة لمن أراد التطبيق والتنفيذ والممارسة.

ثانياً: الشيخ علي القطان والدعوة المستمرة إلى الله:

١) الشيخ علي القطان داعية المبدأ والفكر والعمل:

قلما، في شخص إنسان، أن تجتمع المبادئ العالية، والفكر الواعي، والعمل الشامل في معادلة واحدة ثلاثية الأطراف، فاجتماعها يعني أن هذا الشخص قد بلغ من العلو والسمو مستوى عالياً، ودرجة رفيعة يندر أن يصل إليها إلا القليل النادر من الرجال عامة ومن الدعاة خاصة !!

وإذا كان يحق للأمة الإسلامية عامة وبلاد الشام خاصة، ومدينة حماه الخالدة على وجه أكثر تخصيصاً أن تفخر بإنجاب الرجال المخلصين من العلماء العاملين، والدعاة الزاهدين، في ساحات العمل الدعوي والوعظ والإرشاد والتربية و التوجيه فضلاً عن ساحات العمل الاجتماعي من رعاية للفقراء واهتمام بالشباب الباحث عن العمل، ومساعدة الأسر المتعففة، وإعانة أصحاب الحاجات، والإصلاح بين الناس، وإغاثة الملهوف ونجدة الضعفاء وما في حكم ذلك، ناسين أنفسهم من أجل غيرهم

الشيخ علي مع أعضاء لجنة زكاة العثمان في إحدى المحاضرات

وبشكل مستمر وعمل متواصل يدل على منتهى الهمة وقمة المروءة فإن الشيخ من أوائل هؤلاء الرجال، والذين من الواجب علينا نحن تلامذتهم أن نفخر بهم أيضاً ونكتب عنهم ونؤرخ لسيرتهم تأريخاً صحيحاً وسليماً. والحق أقول، أن أحد أبرز هؤلاء الدعاة العاملين، والرجال المخلصين هو الداعية المرحوم الشيخ علي القطان الذي بلغ قمة العطاء والتضحية بحظوظه وراحته من أجل مبادئه ودعوته وراحة الآخرين، والذي امتدت مساحات عطائه الخصب في مجال الدعوة بالحكمة والكلمة الطيبة أولاً وعلى مستوى خدمة الناس ونجدة ذوي الحاجات منهم، لتشمل مختلف أبناء أمته العربية و الإسلامية انطلاقاً من أبناء وطنه الصغير سوريا إلى أبناء مصر العزيزة إلى أبناء فلسطين والأردن فالعراق فالجزائر فالمغرب، فباكستان، فأفغانستان، فالسودان، فالصومال، وهكذا على امتداد العالمين العربي والإسلامي، لا يرد سائلاً ولا يتجاوز طالباً، ولا يتجاهل صرخة أو استغاثة !!

وحين يمضي الزمان، وتتغير الدهور، وتتقلب الأيام بإسهامات الرواد من الدعاة الثقاة، والرجال العاملين المخلصين من أمثال الشيخ في مختلف نواحي التضحية والعطاء الإنساني والاجتماعي والأخلاقي، وفي شتى أنحاء الدعوة سوف تظل بإذن الله حاضرة في زوايا مجتمعهم العربي والإسلامي، كيف لا ؟، وقد تركوا من خلفهم مخزوناً غزيراً من العمل التطوعي الاجتماعي، وإرثاً غنياً من السلوكيات الأخلاقية العالية، وكنزاً من المواقف والتصرفات الإنسانية والمآثر الإيجابية الكريمة التي تدل على علو همتهم، وسمو مروءتهم، فتنهل الأجيال الحاضرة والقادمة منها، ويستزيد الأبناء والأحفاد وأحفاد الأحفاد من خيرها لتصبح زاداً ودافعاً ومحفزاً للناس في كل زمان ومكان، وبذلك يكتب التاريخ أن هؤلاء الدعاة الرجال استطاعوا المشاركة الجادة والفاعلة في تدوير حركة التاريخ نحو الأفضل وأنه يحق لهم أن يصطفيهم التاريخ كنماذج عالية المستوى، وكرموز رفيعة سامية تعبر عن تراثه الإنساني، وهكذا هو الحال مع الشيخ كأحد أعمدة الدعوة الإسلامية في تاريخنا المعاصر، وواحد ممن أعطى مفهوم العمل مفهوماً علمياً، وجعل للعمل مدرسة أسسها بتضحيته وعطائه.

لقد حبا الله الشيخ علي القطان بشخصية فذة تأسر من حولها من الأحباب والأصدقاء، سواء وهو يستقبلك كزائر له أو كطالب حاجة، وسواء وهو يتعامل معك كصديق أو حبيب أو تلميذ أو رفيق، وبمعنى آخر فإن العقل والعاطفة ليستلطفان أسلوبه كخطيب وإمام، وكمصلح ومرشد، بحيث كلما اقتربت منه دلفت إلى دوحته الإنسانية وبستانه الأخلاقي.

٢) الشيخ علي القطان والدعوة إلى الوسطية والاعتدال والتعايش:

على الرغم من أن الشيخ لم يستقر في مكان واحد، إلا أن حضوره كان قوياً في مجال الدعوة إلى الله، فمنذ بداية شبابه مروراً بمرحلة الرجولة على اختلاف مستوياتها الزمنية إلى مرحلة الشيخوخة وحتى نهاية العمر، وهو يملأ حياتنا الدعوية ومجالاتها المتعددة، فكان هذا العمر الكريم من الولادة وحتى الوفاة سلسلة رائعة من العمل

الدعوي، فالشيخ الداعية هو الطفل الداعية وهو الفتى الداعية الشاب الداعية الرجل الداعية العجوز الداعية المقعد على سرير المرض الداعية المحتضر الداعية، فقد كانت الدعوة حياته. كيف لا ؟ وهو الإنسان الذي وهب نفسه لله منذ اليوم الأول الذي تفتح وعيه للحياة، فبصماته لا تزال واضحة في كل حركة يتحركها وفي كل عمل يعمله وفي كل موقع أو مكان أو زمان، فما من فرصة تحين إلا والشيخ يستثمرها لصالح الدعوة إلى الله، وما من موقع للدعوة إلا للشيخ فيه نصيب.

لقد كان يغوص بعقله وروحه، بضميره ووجدانه، بمختلف قدراته وطاقاته ومواهبه، وجميع مهاراته وفنونه وأدبياته وعلومه، يغوص في الدعوة إلى الله، متخذاً إياها ليست وظيفة تدر عليه مالاً أو شهرة، وإنما هي جزء من روحه، ونفسٌ مع أنفاسه وضربات قلبه، وتنطلق مع الدماء في عروقه، تغذي كيانه ووجوده، فهو لا يستطيع مطلقاً أن يحيا بدونها، ولا أن يتنفس بغيرها، ولا أن يشعر بوجوده إلا من خلالها، حتى إنك إن سألت أين الشيخ الآن؟ لقيل لك إنه يدعو !!!

وعلى الرغم من أنه قضى جزءاً كبيراً من حياته في ديار الغربة وفي الكويت على وجه الخصوص، والتي كانت فرصة لكل من يريد أن يعيش الحياة المرفهة والناعمة، وحيث أنعم الله على هذا البلد بالعيش الهانئ الوفير، بلد طيب يأتيه رزقهُ من كل جانب، ويجد فيه الإنسان ما لذ وطاب، فإن الشيخ لم يضع في حسابه هذه الرفاهية ولم يفكر أن يضيع دقيقة واحدة في دنيا زائلة وحياة ناعمة، مادام الوقت لا يكفي لمتطلبات الدعوة إلى الله، وما دامت الأعمال كثيرة والواجبات الدعوية أكثر، فضرب بذلك أروع الأمثلة في التعفف والزهد والقناعة والمعيشة الخشنة دون أن يتأثر بما يفعله غيره، سواء من الناس العاديين أو من بعض المحسوبين الذين يريدون أن يجمعوا في يد واحدة الدنيا والدعوة، رغم أن الاثنتين لا تجتمعان، فإما أن يكون الداعية للدعوة خالصا وصافياً ودائماً، فلا يأخذ من الدعوة إلى الدنيا إلا ضرورتها فقط، وإما أن يكون للدنيا خالصاً وصافياً دائماً، فلا يأخذ من الدعوة إلا قليلاً، ولا طريق غير ذلك فإما

الدعوة وإما الدنيا، وعلى الإنسان أن يختار، وقد اختار الشيخ، منذ اللحظة التي وضع قدمه في وعي الحياة، الدعوة، وعندما هبطت به الطائرة في الكويت، اختار الدعوة، ولهذا كانت الهجرة فرصة له لأن يطلع على أحداث للحياة أكثر، وأن يصبح الداعية الناجح الذي أحيا علم العمل وعلم خدمة الناس وعلم الدعوة العملية لا النظرية دون أن ينسى بلده الأول ومسقط رأسه.

ظل الشيخ مع هذا كله، وبعد هذا كله، ذلك المواطن المسلم الأصيل الذي يشده حبل سري إلى الدعوة الصافية النقية في أي مكان من بلاد الإسلام سواء كان ذلك في بلاد الشام أو بلاد الخليج والجزيرة العربية أو غيرها، وهذا الفهم الدقيق للدعوة إلى الله، هو الذي دفعه للنزول إلى مستوى الطبقات الفقيرة، والاشتغال بالشرائح الاجتماعية البائسة ذلك أن شفافية الدعوة وشفافيته في فهمها وإدراك حقيقتها، جعلته أقرب للفقير والمحتاج، وللعفيف والبائس الملتاع، وللملهوف الذي حلت به الكوارث أو ألقت النائبات كلها عليه.. فكان يلازم هؤلاء، ويفكر بهؤلاء، ويعمل من أجل هؤلاء، فقد كانوا رواد ديوانه ومجلسه، وهكذا تكون الدعوة أو لا تكون.

ظل الشيخ علي بهذا الفهم للدعوة إلى الله إلى نهاية العمر ظل يعمل على ضرورة تحرير إنساننا العربي والمسلم من المظالم، وبذلك تحرر الشيخ من أسر الخطب النمطية والدعوة التقليدية، والتي إما أن ينسحب بعضها من واقع الحياة إلى التاريخ، تعيش في انتصاراته، وتغيب في أحداثه دون أن تربط تلك الخطب الرنانة بين ذلك التاريخ إن كان تاريخاً مجيداً، وبين الواقع الحالي كي تستخلص منه الدروس فيستمر بذلك تضليل الجماهير بحسن نية، وتغيب وعيهم من غير قصد...

وإما أن ينسحب بعضها الآخر إلى واقع العبادة فيتم التركيز على جزء من العبادة دون الآخر. وتصبح مشاغل الخطبة أن تركز وتشرح الوضوء والطهارة والحج وغيرها من أركان الإسلام بشكل مكرر وممجوج حتى يضطر القائل أن يقول: أليس في الإسلام غير ذلك ؟ وهكذا يقوم هذا البعض الآخر بدوره أيضاً في تغييب الوعي، وإبعاد الجمهور

إلى اليمين مؤلف الكتاب د . عادل الخنساء وإلى جانبه أحد أعضاء لجنة العثمان وإلى جانبه الشيخ علي

عن معالجة مشكلاته وواقعه. هذان هما النوعان النمطيان التقليديان اللذان كان الشيخ يتحاشاهما وهو في كامل وعيه وخلال مسيرة دعوته إلى الله، فضلاً عن تحاشيه وتجاوزه لنمط جديد معاصر الذي يتمثل في الخطب الدينية السياسية الحماسية التي تستهدف الإثارة أكثر من الفائدة، والتي تتوجه إلى الأنظمة السياسية والحكام شتماً وقذفاً بدلاً من الدعوة لهم، وتوعية الجمهور بواقعهم دون قذف وتشهير، ودون سب وقذف، ودون تطاول على أحد أو اعتداء حيث هناك في الأمة من الأمراض و الأخطاء والتصرفات والانحرافات ما يحتاج فعلاً إلى جهود آلاف الخطباء، وملايين المصلحين والأتقياء. ولأن الحماس غير العاقل، يولد الصراع والعنف ويفتح باباً أمر الإسلام بإغلاقه فلا قذف ولا تشهير، ولا إثارة فارغة ولا تحقير، ولا تقويم لجوانب من الحياة وتصغير وتضخيم لجوانب أخرى وتهويل !! بل الاستقامة والوعي الصحيح، والإدراك والفهم العميق للتاريخ والواقع، بحيث تتم توعية الجماهير ويتم توصيل الرسالة الواضحة العميقة للتاريخ والواقع، وللدين في علاقته مع التاريخ والواقع، وفي علاقته مع الحاكم

الشيخ علي في غرفته بالمسجد مع أحد المصلين

والسلطة، والأنظمة السياسية.

وهكذا تتم توعية الجماهير ويتم إفهام الإسلام بأي شكل من الأشكال، فضلاً عن احترام العديد من المبادئ الفقهية التي ابتكرها واستنتجها الفقهاء من هذا الدين العظيم والتي تُتيح للخطيب أن يتدرج في إفهام الجماهير، وأن يقول ما يفهمه الناس، وأن يؤجل قولاً يرى أن عدم تأجيله مفسدة للناس وإثارة للفتن، وغير ذلك من المبادئ والمعاني التي تستهدف الحفاظ على بنيان المجتمع، وعدم الدخول في الفتنة، وإغلاق

شهية الحاكم الظالم الذي ينتظر بفارغ الصبر خطبة سياسية حماسية تؤدي به إلى إشهار سلاحه وتوجيه جيشه لقتل الأبرياء من المسلمين، أو غير ذلك من النتائج الضارة بمصالح المسلمين، وبالخصوص أن الإسلام ما جاء إلا لتحقيق مصلحة الناس في المجتمع الإسلامي. ولا يسمح لأحد أن يستدرج المسلمين إلى مستنقع الفتن ومطب الاقتتال والصراعات مهما كانت الأسباب مادام الحاكم أو النظام يسمح للإنسان بأداء شعائره الدينية.

ومادام الإنسان آمناً فعلاً على نفسه وأهله، ولا يوجد في العالم العربي منذ استقلاله نظام يمنع الإنسان من أداء الشعائر إلا إذا بدأ بعض المتدينين بمناوشة النظام وسبه وشتمه في خطبهم وتصريحاتهم مما يؤلب عليهم النظام الحاكم، بل إن بعض الفقهاء يرى أن النظام الحاكم إذا كان سيئاً للغاية ويمنع الإنسان من القيام بالدعوة، أن يمارس المسلم الدعوة سراً وبذكاء وفطنة إلى أن يحين الوقت الذي ينبغي فيه الجهر، مما يدل على حكمة الإسلام وإن الدين الإسلامي لا يريد استعجال الثمرة ولا إلقاء النفس بالتهلكة، فقد مرت على البشرية أنظمة وأنظمة بالآلاف وهي أنظمة تحارب الدين، ومع ذلك كانت وصايا الله للرسل أن يقولوا للناس قولاً حسناً، وخاطبوا الحكام بالكلمة الطيبة، بل اعرفوا الوقت المناسب والمكان المناسب لمخاطبتهم، وغير ذلك من الضوابط بهدف عدم وقوع الفتنة، وبالخصوص إذا كان المجتمع مجتمعاً مسلماً سواء كان مسلماً بالفعل أو بالاسم، وسواء كان النظام الحاكم نظاماً مسلماً بالفعل أو بالاسم، إذ يكفي من النظام الحاكم أن يعلن الإسلام، وهذا الحد الأدنى المطلوب، وهو متحقق في جميع الأنظمة الحاكمة، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة زيادة هذا الإيمان، وهذه المرحلة التي تتطلب الصبر العظيم وعدم الاستعجال، فالاستعجال يضعف الرؤية، ويربك العقل، ويجعل الإنسان غير قادر على التمييز، فتضيع بذلك الأولويات سواء من حيث غيابها أو من حيث عدم ترتيبها، فيختلط الأمر على الرجل كما يقال، فيتخذ القرار الذي كان ينبغي ألا يتخذه، ويختلط الحابل بالنابل، ويدخل الصفوف أشخاص لا تدري كيف

وصلوا، فإذا حدث الاختراق، تقدم الشيطان بنصائحه، وركز على الحماس الأجوف، ودعا الجميع إلى القتال، ليتفرج الشيطان على المسلمين كيف يقتتلون، ولو صبروا ما اقتتلوا، ولو صبروا ما تذابحوا، ولو صبروا لكان العاقل هو المفكر، ولكان الفكر الصحيح الناضج السليم هو المدبر، بعد الله.

نعم هذا ما كان الشيخ يتحاشاه ويتخوف من الوصول إليه أو الوقوع فيه لأنه كان يدرك ببصيرته قبل بصره، وبعقله قبل حواسه، أن الله لا يحب للمسلمين الاقتتال فيما بينهم، فهناك من الواجبات الكثير سواء على مستوى مجتمعاتهم وسواء على مستوى مجتمعات العالم تحتاجهم كي يؤدوها، فالمسلمون أمة مجاهدة بكلمة الحق في وقتها المناسب، والمسلمون أمة تحمل الكلمة الطيبة والهداية والعفة ومجامع المروءة والإصلاح والاستقامة للناس جميعاً، وهذه تكاليف كبرى جداً لا يمكن للمسلمين مهما كان عددهم وكانت عدتهم أن يحققوها خلال أعمارهم القصيرة، جيلاً بعد جيلٍ، دون أن يقتتلوا فيما بينهم، فكيف سيحققونها إذا اقتتلوا وانشغلوا في بعضهم، سواء كان بين حاكم مسلم وحاكم مسلم أو بين محكوم مسلم ومحكوم مسلم، أو بين حاكم ومحكوم.

هذه الرؤية العميقة والذكية المليئة شفافية وصفاء هي التي دفعت الشيخ خلال دعوته إلى الله أن تكون خطبه الدينية خطب الحياة الإسلامية، حياة المسلم سواء كان حاكماً أو كان محكوماً، نعم خطب الحياة الإسلامية التي يجتمع فيها التاريخ الصحيح والواقع الحي، وتتفاعل فيها الشعائر مع أخلاقيات الصحابة مع ما ينبغي أن تكون عليه من استلهام للأخلاقيات للوقوف بالحكمة والكلمة الطيبة ضد جميع أنواع الانحرافات التي تواجه مجتمعاتنا الإسلامية وتهدد كيان الأسرة والفرد، والمؤسسة والدولة، وهذه الانحرافات هي التي ينبغي أن تمتص جهود الدعاة والخطب الدينية مع عدم نسيان التاريخ وعدم نسيان المستقبل، فكان الشيخ علي القطان يريد أن يقول لنا باختصار : أيها الدعاة، يا خطباء المنابر، يا من صاحبتم الإخلاص في أرقى معانيه، وأحببتم الله حق المحبة وعبدتموه حق العبادة، إن الواقع مليء بالمشكلات، وإن هموم المسلم كثيرة وعديدة، وإن ما يحيط

الشيخ على القطان متحدثاً في إحدى أمسيات ديوان الأستاذ أحمد باقر الكندري بالجابرية

بالمجتمع المسلم على مستوى العالم الإسلامي هي سموم وسموم، هاهو الغزو الفكري يشهر سلاحه تجاهنا، فالإعلام الغربي بفضائياته الإباحية التي تدمر أرقى الأسر وتفسد أفضل العائلات تتقدم نحو أبنائنا وأهلينا، وهاهو الإفساد الفكري يحمل نظريات الإلحاد والشرك والكفر، وها هي فلسطين تعاني وغيرها من بلاد الإسلام من قتل وتدمير، وها هي بعض شعوب المسلمين في حاجة إلى مساعدة بسبب الفقر والمجاعة، وهاهي بعض المنتجات الأجنبية تغزو أسواقنا، وها هم الناس يلهثون على تقليد الأجنبي، والاقتداء بعاداته، وها هو المستقبل مخيف لا يرحم أمتنا الإسلامية، فعلينا أيها الدعاة الاهتمام بهذه الأمور، ودعوة الناس حكاماً ومحكومين بالحكمة والكلمة الطيبة إلى ضرورة الانتباه لما يحاك بنا وبهم جميعاً، فالعدو يتربص بالجميع ولا يستثني أحداً، لأن الكل مستهدف حاكماً كان أو محكوماً، كبيراً كان أو صغيراً، أمياً كان أو متعلماً، رجلاً كان أو امرأة، مما يدفعنا يا دعاة الإسلام إلى توجيه أنظار المسلمين إلى تاريخهم المجيد في عهد النبوة

والصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كي يستنيروا بأخلاقهم ويستفيدوا من تجاربهم مع الاستفادة من ثمرات العصر ومتغيراته وعلومه ومبتكراته لإصلاح أحوالنا وترتيب أمورنا وإعادة النظر في واقعنا للوصول إلى تغيير المفاسد، وإيجاد حاضر كريم يحقق لنا مستقبلاً كريماً.

ولا يتحقق ذلك إلا بالجهد والعمل، فيبذل الناس كل جهودهم للإصلاح، وتقوم الدولة بتشجيعهم إلى الإصلاح، وينخرط الجميع في بوتقة واحدة، وإذ بالأيادي تتوثق وتتعاون، وإذ لا تجد فرقاً بين يد حاكم ويد محكوم، فالكل يعمل من أجل بناء هذه الأمة، والكل يبذل بإخلاص من أجل رفعة هذا المجتمع، وإن الله ليبارك بالأيادي مجتمعة، ويد الله فعلاً مع الجماعة، وما أعظمها من جماعة !! عندما تلتقي أيدي الكبار مع أيدي الصغار، وأيدي السياسيين مع أيدي المثقفين مع أيدي المتدينين، وإذ بهذا الجمع الكريم يحقق التغيير فعلاً، فإن لم يحققه الآن فسوف يتحقق مستقبلاً، دون استعجال ودون فوضى، ودون ارتجال، فنحن أمة قوية قادرة بإذن الله على تحقيق الأهداف والغايات، ونحن أمة تمتلك الموقع الاستراتيجي العالمي، والثروات الاقتصادية الجبارة، والقوة البشرية الكبيرة، والتراث الحضاري العظيم، فماذا بقي لنا سوى الإرادة والهمة، وسوى الجرأة والعزيمة، وسوى التعاون والتعاضد والتوحد يداً بيد نحو التغيير المطلوب، و﴿**إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ (سورة الرعد/ الآية:١١) هذا هو مجمل فحوى نظرية الشيخ علي القطان في الاعتدال، ومؤكداً على الحاضر مع المستقبل والتي يرى فيها ما يحاط بالمسلمين من الخارج بهدف تدمير الداخل، والتي يرى فيها ضرورة التعاون بين الحاكم والمحكوم لأن الجميع مستهدف، حاكماً كان أو محكوماً، والتي يرى فيها أيضاً أن الصبر هو الحكمة بعينها بل هو أبو الحكمة والكلمة الطيبة، كي يتم قطع الطريق على أعداء المجتمع وكي يكون السلام للجميع وكذلك التعاون والتسامح والتعايش كي يتحقق بإذن الله الهدف المطلوب من التغيير ويجعل للأمة مستقبلاً كريماً من خلال واقع كريم يرتبط بتاريخ كريم !!

ثالثاً : نموذج مختصر من خطبة الجمعة للشيخ علي القطان

عندما يطلع القارئ على هذا النموذج من خطبة الجمعة سيدرك المعاني العميقة والرؤية البعيدة العميقة، والنظرة الذكية العاقلة لواقع المسلمين، وتناقض الحياة في بلادنا العربية والإسلامية، مما يدل على أن الشيخ علي القطان في تحليله استطاع أن ينفذ إلى أعماق الفكرة و أن يساهم بالفعل في تجديد الخطاب الديني بل وتغييره.

نصائح شهر رمضان

لماذا وصلت حالنا إلى ما وصلت إليه ؟.. لأننا نغمض أعيننا عن الواقع الأليم الذي نعيش فيه، هل هناك مصيبة أكبر من هذه المصيبة.. قبلة المسلمين الأولى، والحرم الثالث الذي عده الرسول ﷺ مما تشد الرحال إليه «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى.

(رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة)

من الذي يستطيع أن يشد الرحال إلى المسجد الأقصى حالياً من الأمة العربية أو الإسلامية؟

إن جميع أبنائنا في فلسطين يشهدون علينا بأننا متخاذلون، وبأننا نغمض أعيننا عما يحدث لهم.. نحن نسهر في رمضان إلى الصباح.. لا على ذكر فلسطين.. ولا على جمع الخيرات والمبرات.. ولا على ما يهم الفقراء والمساكين.. بل نسهر على شهواتنا، من لغو وقول فارغ، وضحكات مستهترة، ونظر إلى ما لا يحل النظر إليه. هذا هو الواقع الأليم.. في بيوتنا نسهر إلى الصباح ثم ننام بعد صلاة الفجر، ولا نفكر في هؤلاء الذين في رمضان؟ كيف يتسحرون !!

الأطفال الذين يقاومون الرصاص بالحجارة.. كيف يفطرون عند أذان المغرب ؟؟ أعلى المائدة التي نضعها في بيوتنا وفيها جميع الملذات والأطايب من ألوان الطعام.. وإذا ما زاد منه شيء نضعه في القمامات.. هذا هو الواقع الأليم.

نحن نستعد لرمضان بشراء الحاجيات المادية والغذائية فحسب، ولا نفكر في الروحانيات، ولا نفكر في المجاهدين، ولا نفكر في الأرامل والأيتام والمساكين.

هذا رمضان شهر العبادة.. خصِّص منه أيها المسلم جزءاً للقيام من أجل أن تسجد لله وتبكي رحمة بالجائعين، ونحن لا نفكر في المجاهدين، ولا نكفر في الأرامل والأيتام والمساكين.

هذا رمضان شهر العبادة.. خصص منه أيها المسلم جزءاً للقيام، من أجل أن تسجد لله وتبكي في سجودك.. وتسأل الله تبارك وتعالى أن ينقذ هؤلاء الأطفال من أيدي الظلمة والطغاة.

لماذا لا ننام على قراءة القرآن؟؟ لماذا لا ننام على التاريخ الإسلامي؟؟ لماذا لا ننام ونحن نفكر في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

(رواه مسلم والإمام أحمد).

أين هؤلاء الذين يشعرون هذا الشعور؟.. إنهم قلة.. ووجودهم نادر !! والنادر ليس له حكم !!.

(جزء من خطبة الشيخ علي في يوم الجمعة ٩ رمضان ١٤٠٩هـ).

وهكذا كانت خطبه ودروسه رحمه الله تعالى، تنفذ إلى قلب الأحداث، وتطرق عمق المشاكل الجديدة، وتضع المستمع على محك العقل والبصيرة والتفكير الناضج كي يتخذ قراره الصحيح في حياته، فينتقل بذلك من حياة الوهن والكسل والتسيب واللامبالاة إلى حياة العمل والحركة والجدية والجهاد.

الفصل الثالث

مبادئ الشيخ علي القطان وأفكاره المستمدة من عقيدة ثابتة وإيمان راسخ

المبادئ والأفكار

أولاً : المبادئ العقدية والإيمانية والتعبدية:

١ - إن من أهم أسباب مصائب الإنسان انشغاله عن عبادة الله.

٢ - مبدأ : اعتمد على الله، فإن فوق تدبيرك لله تدبير وما يجنى على المرء إلا اجتهاده بغير علم وتوكل على الله.

٣ - مبدأ : إياك أن تدعو على من ظلمك بالقول : اللهم اظلم من ظلمني، فالله لا يظلم أحداً.

٤ - مبدأ : اقرأوا القرآن فهو شفاء وشاهد ورفيق.

٥ - إياك أن تقضي أشغالك وقت صلاة الجماعة.

٦ - مبدأ : إذا أردت تفريج كروبك، احضر أربعين تكبيرة للإحرام لصلاة الفجر جماعة.

٧ - مبدأ : لا تنشغل بالكلام بعد الأذان بل أكثر من الدعاء تأدباً مع الله.

٨ - مبدأ النصيحة من الدين، انصح أخاك دون تشهير أو إيذاء.

٩ - مبدأ : العاقل من جب الغيبة عن نفسه، وابتعد عن الشبهات ولغو الكلام.

١٠ - العاقل من كتم الإهانة عن نفسه.

١١ - المرء حيث يضع ذاته ويعرف حقيقة نفسه.

ثانياً : المبادئ الأخلاقية والسلوكية:

١ - مبدأ : الهمة منبع الرجولة ومحرك لكل عمل نبيل وفعل كريم.

٢ - مبدأ : رفع المروءة عن أهل المروءة مروءة.

٣ - مبدأ : الاهتمام بمشاكل الناس وذوي الحاجات من أوجب الواجبات.

٤ - مبدأ : التقليد للغرب وتتبع الموضات أحد أهم أسباب هزائمنا.

٥ - مبدأ : التواضع في المعيشة، والاكتفاء بالضرورات مأكلا وملبساً ومركوباً ومسكناً وغيره.

٦ - مبدأ : التحزب لأشخاص أو فئات متنازعة يضر بالإسلام ومستقبله.

٧ - مبدأ : التحذير من استيراد المنتجات الأجنبية على حساب المنتجات العربية والإسلامية.

٨ - مبدأ: إياكم من السهر ونوم العصر فإنهما مجلبة للفقر والضعف.

٩ - مبدأ : علموا أطفالكم احترام الكبير، وحفظ القرآن والحديث، والبعد عن الدلال والتدليل.

١٠ - مبدأ : ضع ساعتك بيدك اليمنى، وابدأ أي عمل باليمين مقتدياً بالسنة.

١١ - مبدأ : الإنسان مساحة من الخير ليس إلا !.

مدخل:

يتضمن هذا الفصل نماذج من المبادئ والأفكار التي كان يراها الشيخ علي القطان ذات أهمية خاصة، وضرورية كي يتحلى بها الشباب المسلم، كي يتميز بها عن غيره من الناس، الذين شغلتهم الدنيا ونسوا الآخرة، وهذه المبادئ والأفكار ما هي إلا منارات ومصابيح مستمدة من عقيدته الإسلامية الثابتة، ومن إيمانه الراسخ بالإسلام كدين ودولة. وقد اشتمل هذا الفصل على مجالين أساسين أولهما المبادئ العقدية والإيمانية التي تتمثل في عدم انشغال الإنسان عن عبادة الله، وعلى ضرورة الاعتماد عليه سبحانه، ومعرفة أسماء الله الحسنى من حيث عدم نسبة الظلم لله، وقراءة القرآن والاهتمام بحضور صلاة الفجر خاصة والجماعة عامة، وعدم الانشغال بالكلام فضلاً عن تفضيل النصيحة في الدين دون تشهير أو إيذاء، والابتعاد عن موطن الشبهات حتى لا يقع الإنسان في ألسنة الناس وأحاديثهم فيغتابونه وهكذا..

أما المجال الثاني الذي لا يقل أهمية فهو المجال السلوكي والأخلاقي من حيث التزام الإنسان بالمروءات واتصافه بالهمة والشهامة، واهتمامه بذوي الحاجات وإغاثة الملهوف وقيامه بعمل الخير، والابتعاد عن تقليد الغرب فضلاً عن التواضع في المعيشة والاكتفاء بالضرورات، والابتعاد عن التخريب والتفرق وعن العادات الغربية الفاسدة، وعدم استيراد المنسوجات الأجنبية وعدم السهر، مع ضرورة تعليم الأطفال احترام الكبير وقراءة القرآن والبعد عن الدلال. وهكذا تبدو شمولية الشيخ علي القطان في أفكاره وفي سلوكياته وتطبيقاته، وفي محبته أن تنتشر هذه الأفكار والتطبيقات في مختلف شرائح المجتمع الإسلامي.

أولاً: المبادئ العقدية والإيمانية والتعبدية:

١) إن من أهم مصائب الإنسان الانشغال عن عبادة الله.

هذا هو المبدأ الأول، من هذه المنظومة من المبادئ التي كان الشيخ علي القطان يحاول دائماً أن يرددها ويُذكر نفسه والناس بها، بل ويحملها معه عملياً بالتنفيذ والتطبيق إلى كل مكان يذهب إليه، فكأنه والمبادئ هذه توأمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وشقيقان لا يعيش الأول دون الثاني، ورفيقان يأتيان سوية ويغادران سوية.

وهذا المبدأ هو من أهم المبادئ، وعلى الرغم من كونها جميعها مهمة جداً في رأي الشيخ وفقهه ونظرته إلى الحياة إلا أنه كان يركز على هذا المبدأ نظراً لشموليته وارتباطه بمفهوم العبادة !!

نعم، إن من أهم أسباب مصائب الإنسان انشغاله عن عبادة الله.. العبادة الشاملة التي لا تقف فقط عند إقامة الشعائر وأداء الصلاة وصوم رمضان وإخراج الزكاة وأداء فريضة الحج بل تتسع وتتسع كي تشمل الحياة كلها، فالإنسان مخلوق للعبادة، بمعنى أن جميع أقواله وحركاته وأفعاله ينبغي أن تكون لله بدءاً من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وانتهاء بإماطة الحجر عن الطريق، وهذا يعني أن الحياة بأكملها، والدنيا بمختلف مجالاتها وزواياها وأنحائها الثقافية والعلمية والاقتصادية والقانونية والإعلامية والتعليمية والتربوية والتعبدية والمنزلية والمؤسسية والدولية وغيرها هي مجالات للعبادة، يؤجر المسلم على أدائها بإتقان مثلما يعاقب على الإفساد فيها أو إهمالها.

هكذا كان الشيخ يفهم العبادة، وهكذا كان يحمل هذا المبدأ معه ليوصي به الآخرين حتى يسيروا في الطريق الصحيح وبالخصوص أصحاب الحاجات الذين كنت أراهم يترددون على مكتبه في المسجد، وكنت مرافقاً له مدة طويلة، فيأتيه صاحب الحاجة يطلب عملاً أو مساعدة أو غير ذلك، فيهتم به الشيخ علي ويتخذ كافة الأسباب لمساعدته، لكنه في الوقت نفسه يسأله، هل صليت الفجر ؟ هل ساعدت أحداً اليوم؟ هل ألقيت

السلام على شخص لا تعرفه ؟ هل دعوت لوالديك وللمسلمين ؟ وغير ذلك من الأسئلة التي غالباً ما يجيب عنها الشخص بصدق، ويكون معدلها التراكمي ليست لصالح الشخص طالب الحاجة، إذ غالباً ما يكون تاركاً لصلاة، مغتاباً لشخص، مقصراً في أمر ما.. فيقول له الشيخ علي إننا سنعمل ونبذل جهدنا للوصول إلى حاجتك بإذن الله.. لكن لتعلم أن من أهم مصائب الإنسان انشغاله عن عبادة الله.. يا بني أنت مخلوق للعبادة، وإن الله وعد، ولا يخلف وعده، بأن الإنسان إذا قام بعبادة الله حق العبادة واهتم بأمر دينه ودنياه، وكان لله تقياً ومخلصاً فإن الله سبحانه وتعالى لن يضيعه، فإذا لم يأته رزقه اليوم فسوف يأتيه غداً.

يا بني اهتم بالله يهتم بك، وانشغل بالله ينشغل بك، وأحب الله يحبك الله، يا بني لا تجعل الدنيا أكبر همك ثم تطلب من الله أن يعينك عليها، بل اجعلها آخر شيء ثم اطلب الله فسوف ترى العجيب العجاب من رب الأرباب وواهب الأرزاق، ومسير البلاد والعباد !!

هل تعلم يا بني أن مصائبك، وعدم وجود العمل الذي تسعى إليه، وانقطاع الرزق عنك في وقت معين، وإحساسك أن الدنيا ضاقت عليك، وإن الحياة هربت من بين يديك، وقد بلغ بك اليأس كل مبلغ، وأخذ منك القنوط كل مأخذ، تطرق الأبواب فلا تفتح، وتناشد الكبار فلا تفلح، وقد نفذ منك المال، وابتعد عنك الأهل والعيال، فأنت فعلاً في أسوأ حال، لكن صدقني يا بني إن هذا الحال الذي أنت فيه هو نتيجة واضحة وصحيحة لسبب واضح وصحيح ويتمثل في انشغالك عن الله، ونسيانك للواحد القهار، واعتمادك على نفسك قبل اعتمادك على الله، وتقصيرك في حقوق الله وحقوق عباد الله، وغير ذلك من أنواع التقصير التي تقطع الأرزاق، وتغلق الأبواب...

يا بني هيا معي كي نذهب إلى الإدارة الفلانية لإيجاد عمل لك عنده، لكن صدقني إن مفتاح وجود العمل هو رجوعك إلى الله وانشغالك به، جرب واصبر ثم انظر إلى الأبواب كيف تفتح، وإلى الجهود كيف تفلح !!!

٢) اعتمد على الله، فإن لله تدبيراً فوق تدبيرك :

هذا هو المبدأ الثاني من مبادئ الشيخ علي القطان يرحمه الله وأكرم مثواه.. وهو المبدأ الذي تتمثل فيه قمة التسليم لله في الأمور التي تصادف الإنسان في الحياة، وذروة الإيمان بالله بأنه المتصرف في أمور عباده، وفي أرزاقهم وأنصبتهم في الحياة، وما يرتبط بهذه الحياة من ثروات ومناصب ومن قوة وغنى، فهو سبحانه الخالق، وهو سبحانه الرزاق، وهو سبحانه الذي يعطي ويمنح، أو يقطع ويمنع مهما اجتهد الإنسان وفكر وقدر!!

وهكذا فإن الشيخ علي رغم اتخاذه جميع الأسباب في السعي على عباد الله، والقيام المستمر الحثيث في مساعدتهم سواء لإيجاد فرصة عمل لشباب عاطل عن العمل، وسواء للدفاع عن مظلوم في مسألة معينة، وسواء في تحفيز الأغنياء لتقديم المساعدات للأسر الفقيرة والمتعففة، فإن إيمانه الأعظم والأكبر أن الأمر في نهايته لله، وأن القرار النهائي للخالق الرزاق المدبر، وأن كل ما يقوم به الإنسان من سعي في طلب إنما هو مرهون بالله، وإن فوق تدبير المرء تدبير لله.. لأن الله هو الذي يعلم السر وأخفى. والاستنتاج الآخر الذي يمكن استنتاجه واكتشافه في هذا المبدأ، إن الإنسان يغلب عليه التسرع للوصول إلى غايته، ولا يدري هل في هذه الغاية سعادته أم شقاوته ؟ وهل فيها راحته أو تعاسته ؟ وبمعنى آخر، صاحب الحاجة أرعن، مضطرب كما يردد الشيخ علي أي إنه يريد تحقيق غايته بأي طريق وأسرع طريق دون أن يدرك أن الأمور لا تسير على هواه، وأن الحياة في حقيقتها خاضعة لخالق الناس الذي يدبر الأمور بما يراه سبحانه بأفضل وأبعد مما نراه !!

فالله سبحانه وتعالى يعلم مصلحتنا أكثر مما نعلم، وهنا تظهر الحقيقة الكبرى التي يجهلها كثير من الناس وبالخصوص أصحاب الحاجات فلا يرون إلا حاجاتهم، ولا ينظرون إلى تدبير الله في حوائجهم، فإذا تحققت الحاجة فرحوا، وإذ لم تتحقق غضبوا وقنطوا وسخطوا، وربما وصل فيهم القنوط والسخط إلى الكفر أو الشرك

مما يعرضهم للخروج عن رحمة الله، وفي هذا خطـر كبير عليهم، وصدق الله بقوله: ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم﴾ (الآية: ٢٣/سورة الحديد)، وقوله سبحانه: ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ (الآية: ١٨٨/سورة آل عمران).

فكم من شخص جرى إلى وظيفة بعينها وأكد عليها، وإذ في هذه الوظيفة شقاؤه ونهايته، فإما أن تكون الوظيفة مغرية إلى درجة يقع في سرقة أو خيانة فينتهي إلى السجن، وإما أن يحدث له شيء أكبر ينتهي به إلى الموت أو الإعاقة، لو كان يدري ذلك لما أصر على تلك الوظيفة، ولما تسارع وجرى إليها دون استماع لنصيحة ودون إعطاء الفرصة للوقت كي تأتيه الأخبار كلها. ولو اطلع على الحقيقة لهرب منها هروبه من ضبع مفترس !

وهكذا كان الشيخ علي القطان حكيماً بل حكيماً بليغاً، وهو يردد هذه الحكمة الرائعة، يا بني تأنوا ولا تتسرعوا، اطلبوا الحاجة بعزة النفس، واتخذوا الأسباب، وقبل ذلك استخيروا واستبشروا ثم اتركوا الأمر لله، لأن لله تدبيراً فوق تدبيرنا ولأن رؤية الإنسان مهما بلغت من البعد فإن رؤية الله أبعد ولأن الله بنا أرحم، رحمك الله يا شيخ علي كنت عليماً في الحكمة، وحكيماً في العلم!!

٣ - إياك أن تدعو على من ظلمك بالقول اللهم اظلم من ظلمني لأن الله لا يظلم أحداً

أما المبدأ الثالث من المبادئ التي يؤمن بها الشيخ ويدعو إليها بعد تطبيقها على نفسه فهو مبدأ اجتماعي وعقدي في آن واحد، أى أنه مبدأ يجمع بين نقاء العقيدة وصفائها وبين التصرف الاجتماعي وموقف الإنسان من أفعال العباد سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو مؤسسات أو سلطات دولة أو غير ذلك.

من الناحية العقدية والإيمانية فإن هذا المبدأ يرتبط بالله العلي القدير من حيث صفاته وأسماؤه الحسنى فالله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأنه المنصف العادل الذي لا يظلم أحداً أبداً، بل وصف نفسه بالرحمن الرحيم أي أنه عفو حتى مع من يخطئ في

حقه سبحانه وتعالى، أو يقصر في عبادته مادام موحداً لله، بل حتى الكافر إذا آمن وأسلم، والمشرك إذا ترك شركه فآمن وأسلم بصدق ونوايا حسنة، فإن الله سبحانه وتعالى يقبل منه ذلك ويتجاوز عن أخطائه، ويبدأ معهما سبحانه من جديد بعد الإيمان والإسلام.

هكذا هو الله العادل المنصف الرحمن الرحيم، وإذا كان الله كذلك، فإنه ليس من التأدب في شيء أن يتهم الإنسان ربه بالظلم من حيث يشعر أو لا يشعر، فغالباً إذا تعرض الإنسان لظلم فإنه سرعان ما يردد دون شعور اللهم اظلم من ظلمني رغم أن الله لا يظلم أحداً، فإذا كان الداعي مظلوماً فإن الدعوة الصحيحة أن يدعو على الظالم بالقول: اللهم انتقم ممن ظلمني، أو اللهم عاقب من ظلمني، وإذا كان كريماً مع من ظلمه فليقل اللهم اهدِ من ظلمني كي يرد لي حقوقي، ولا يستمر في ظلمه لي، وهكذا يبتعد الإنسان عن إلحاق أية صفة بالله لم يصف بها نفسه، سواء كان هذا الإلحاق مباشراً أو غير مباشر وسواء كان بشعور منه أو بدون شعور !!

أما من الناحية الاجتماعية، فالناس بلاء الناس، والإنسان لا ينتهي عمره ويبلغ الخمسين أو الستين أو أكثر حتى يلاقي من أخيه الإنسان مظالم عديدة، سواء من أقرانه أو أصحابه أو إخوانه أو الجماعات التي ينتمي إليها أو الجماعات التي يعارضها وحتى من الدولة، فالظلم موجود، وما على الإنسان إلا أن يتوجه لرد مظلمته إلى الجهة الصحيحة من الناحية الشرعية أو القانونية دون استخدام أية وسيلة غير مشروعة أو غير شرعية للحصول على حقه حتى لا يصبح ظالماً أو مجرماً فيخسر بعد أن كان سيربح !!

ويعتبر الدعاء على الظالم نوعاً من الاعتقاد بأن الله لن يضيع عنده شيء، إذا كان الظالم قوياً ولا طريق للحصول على الحق، فإن اللجوء إلى الله هو التصرف السليم حتى ينتقم الله من كل جبار عنيد وظالم، وصدق من قال (إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك).

يرحمك الله يا شيخ علي، نفذت ببصيرتك إلى أعماق العقيدة، وأعماق المجتمع حرصاً منك على صفاء العقيدة ونقاء المجتمع بعيداً عن المظالم التي تغزو المجتمعات وتدمر الأمم والشعوب والأقوام ولا ينتبه إليها أحد إلا بعد فوات الأوان!!

وعندما يطرق الشيخ قضية الظلم والمظالم، فإنه يريد لنا أن نبتعد عن الظلم والمظالم! وقضية الظلم هي كقضية الحرية، شغلت الإنسان منذ بداية وجوده في الأرض.. فقد بنى الله سبحانه وتعالى الحياة على العدل، وطلب من الإنسان أن يستمر في مسيرته على العدل، لكن الإنسان أبى واستكبر، وأساء واستدبر، وأراد أن يبني الحياة على الظلم، ولهذا بدأت مسيرة الظلم منذ اليوم الأول الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل دونما سبب واضح أو حجة دامغة، ثم استمرت السلسلة سلسة الظلم والمظالم على مستوى جميع الأمم والشعوب سواء الظلم الداخلي وما يتعرض له الإنسان من ظلم أخيه الإنسان فرداً أو جماعة أو حكومة، وسواء الظلم الخارجي عندما تعتدي الشعوب على بعضها وتستعمر غيرها دون سبب سوى القتل والنهب والتدمير، وهذا حال البشرية باستثناء بعض فترات نادرة، ومنها عهد النبوة والخلفاء الراشدين والفتح الإسلامي المنصف أما غير ذلك فهو الاستعمار المهين الذي كان عنوان البشرية، وذاقت منه الأمة العربية والإسلامية الشيء الكثير من تاريخها الحديث والمعاصر، عندما استعمرت أوروبا جميع البلدان العربية والإسلامية ونهبت ثرواتها وشردت وقتلت الكثير من أبنائها وتركتها لا تزال حتى اليوم تعاني من نتائج ذلك الاستعمار العسكري اللعين، الذي لم يحن وقت خروجه حتى حان وقت دخول الاستعمار الاقتصادي والاستعمار الفكري الذي يمتص الأمم ويدفعها بالسر والخفاء لقتال بعضها بعضاً ثم يتدخل للمصالحة الكاذبة، نعم لقد ذاق الإنسان الكثير بعد الاستقلال سواء من بعض الأنظمة الحاكمة التي قتلت واعتقلت وعذبت وشردت ومنعت حرية الرأي والتعبير، وسواء من الأفراد فيما بينهم حتى امتلأت المحاكم بالقضايا والدعاوى، وبالمظالم والمظلوميات.

إن العدل أساس الملك، هذا ما يريد أن يقوله لنا الشيخ علي، وإن علينا أن نتخلص

من أي ظلم في الدنيا قبل فوات الأوان، حيث إذا جاء يوم الحق، فلا ندم ولا تنازل، وهناك العقاب الكبير للظالم والظالمين.

٤ - اقرأوا القرآن فهو شفاء وشاهد ورفيق

كان الشيخ محباً للقرآن الكريم، عاشقاً لكلامه ومعانيه العظيمة، حتى بات والقرآن لا ينفصلان، فهو مع القرآن قراءة وتلاوة، شرحاً وفهماً، في كل وقت ومكان..

وفاء الشيخ علي لهذا المبدأ لم يكن وليد الصدفة، بل كان نتاج جذور أصيلة في انتمائه لعائلة تحب القرآن وتقرأ وتعمل بالقرآن وتدعو إلى الله بالقرآن، فضلاً عن تربية كريمة وتنشئة سليمة تلقاها وترعرع فيها بين أحضان والديه الكرام وأصوله وفروعه وأساتذة من معلميه ومدرسيه ومشايخه وأصحابه وإخوانه وزملائه، مستفيداً من كل ملاحظة وتوجيه وآخذاً بكل رأي نظيف وتنبيه.

كان يرحمه الله لا يترك دقيقة من الوقت يستطيع أن يُذكِّر الناس بالقرآن إلا وفعل!! ولم يكد يجد شخصاً يزوره إلى غرفته في المسجد أو يرافقه إلى مهمة إلا وكان التذكير بالقرآن وقراءة القرآن، بل كان دائم الحفظ والمراجعة والترديد للقرآن الكريم في ذاكرته وفي عقله، فهو وإن كان في خدمة الحاجات أو كان في أية مهمة، كان القرآن رفيقه والتذكير بالقرآن دينه ومنهجه، لإدراكه معاني القرآن وفضل القرآن وأهمية القرآن ودور القرآن في إنقاذ الأمم والشعوب من براثن الرذيلة، ومستنقعات الأفعال الذليلة، والصعود بها إلى أعالي الأخلاق النبيلة وسماء القيم العالية والفضيلة.

انطلاقاً من ذلك كان يقيم دروساً ومحاضرات لحفظ القرآن الكريم، وتجويد القرآن الكريم، وشرح معاني القرآن الكريم انضم إليها كثير من الشبان والرجال من مختلف الشرائح التعليمية والاجتماعية حيث ترى الفتى الصغير والشاب والرجل الكبير والشيخ، وحيث ترى التلميذ المدرسي والطالب الجامعي، وحيث ترى المهندس والطبيب والأستاذ والمحاسب والخبير مجتمعين بعد صلاة الفجر حيث كنا نجتمع مع شيخنا الجليل وعدد من الأخوة الأفاضل، الذين لا أذكرهم إلا بأخلاقهم وهمتهم ورغبتهم في حضور دروس

القرآن فجراً، رغم صعوبة النهوض صباحاً ومشقة الحضور إلى المسجد من أماكن بعيدة رغبة في رؤية الشيخ علي، وهو يرأس تلك الدروس ويديرها ويشرف عليها.

وأذكر أنه كان يحضنا كثيراً على حفظ القرآن، وأخذ يسأل كل واحد منا عما يحفظ من القرآن، وكنت أنا قد ختمت القرآن كله في صغري قراءة وحفظت منه أجزاء متعددة ثم نسيت بعضها، فسألني كم تحفظ يا دكتور عادل من القرآن فقلت ثلثه، فقال عظيم، هات لنا من هذا الثلث وكان يعرفني صاحب نكتة أحاول إضفاء السرور على إخواني وأحبائي وبالخصوص في الدروس والمحاضرات كي لا يكون المناخ جافاً وعابساً، فتستريح النفس ويطيب الحديث وترق القلوب بالابتسامة والمداعبة، فقرأت سورة الإخلاص ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾ وسكت، فقال أكمل قلت قرأت خلاص، قال أين الثلث من القرآن ؟، قلتُ أليست سورة الإخلاص تعادل ثلث القرآن، فابتسم وابتسم معه الجميع، وقال مازحاً يا دكتور عادل متى تترك مزحاتك ؟!

كان دائم القول، إن القرآن الكريم شفاء للصدور بل ومنه شفاء لأمراض الإنسان المعنوية وحتى الجسدية بأمر الله، وهو شاهد على الإنسان ورفيق له في القبر وعند الميزان، وهو منجاة من النار.. فأكثروا من قراءته واعملوا بما فيه..

مبدأ لو أخذ به أبناء الأمة وشبابها وأولياء الأمور من والدين ومسؤولين وغيرهم لتغير حالنا إلى الأفضل، ولكنا أمة منتصرة وقوية ومتقدمة لأننا سنكون خير أمة أخرجت للناس.

٥) إياك أن تقضي أشغالك خلال صلاة الجماعة

كان الشيخ، يرحمه الله ويعلي مكانه يوم القيامة، ويظلله بظله يوم لا ظل إلا ظله سبحانه وتعالى.. دقيقاً في نظرته للدين وكيفية التعامل مع هذا الدين، وكانت الصلاة بالنسبة له عملاً مقدساً وفعلاً ينبغي أن يحاط بكل مظاهر الاحترام والتقدير، وشعائر التبجيل والتعظيم، لأنها الوسيلة الأولى، والأداة الأساسية الرئيسة في علاقة الإنسان

بالله، حيث فيها تتجلى معاني العلاقة الثنائية بين الله الخالق وبين العبد المخلوق، فلا وساطة ولا غير ذلك، إنها أشبه بما يسمى اليوم بالهاتف النقال أو المحمول - وهذا تشبيه للتقريب - حيث يتصل المرء بهذا الهاتف الإلهي فوراً دون وساطة، والفرق بينهما أن الاتصال الهاتفي مدفوع الثمن أما الاتصال الإلهي فهو مجاني، حيث يمكن للمسلم أن يتصل بأي وقت، ويطيل الاتصال ما شاء مع الله.. وإذا كان هناك جهاز تصنت على الهاتف النقال، فإنه في الصلاة لا جهاز تصنت لأنك خفية تدعو الله في صلاتك، وفي سرك حيث لا يستطيع أحد أن يكشف ذلك إلا الله الذي يعلم السر و أخفى !! وبمعنى آخر إن أردت أن تتكلم مع الله فعليك بالصلاة، وأن أردت أن يتكلم الله معك فعليك بالصلاة.

هذه الصلاة المقدسة ذات الطابع الروحي الأخلاقي الذي لا تعرفه أية أجهزة أو تدركه أية علاقات، هي التي كان الشيخ يركز عليها، مؤكداً على أن إقامة صلاة الجماعة شيء مهم جداً ينبغي ألا نقضي أشغالنا خلالها، ونتركها من أجل بعض أعمالنا التي ندعي أنها ضرورية، وقد لا تكون ضرورية بالشكل الذي يؤدي شرعاً إلى ترك صلاة الجماعة من أجلها.

الشيخ علي القطان مشهود له بقوة الملاحظة، حيث كان يلاحظ أن الكثير من المصلين يهملون صلاة الجماعة، لأجل أمور تشغلهم يعتقدون بأنها أهم من الصلاة في المسجد، فتراهم يسمعون إقامة الصلاة، ومع ذلك ينطلقون إلى قضاء حوائجهم، والبحث عن حلول لمشكلاتهم، فكأن مشكلاتهم لا تنقضي ولا تحل إلا عند إقامة الصلاة، وإلا عند ترك صلاة الجماعة، وهذا تفكير سطحي ينم عن ضعف في الإيمان، وخلل في العقيدة، وسوء في التفكير ونقصان في إدراك العلاقة بين الإنسان وبين خالقه، حيث يلعب الشيطان دوراً كبيراً من الوسوسة للإنسان بأن مشكلته لن يتم حلها إلا الآن !!!

وفي هذه الدقائق التي تقام فيها صلاة الجماعة !! وهذا وهم شيطاني يدعمه شياطين الإنس والجن. إن قضاء المشاغل أثناء صلاة الجماعة أو بعد الإقامة هو خطأ كبير،

يرتكبه صاحب المشكلات، اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بضرورة قصوى، والضرورة لا يحددها صاحبها بقدر ما يحددها الشرع، لان الشيطان يزين للإنسان أن مشكلته لا يمكن حلها إلا في وقت الصلاة، وهذا يعني أنه في ضرورة، فينطلق إلى البحث عن حلها وتضيع الصلاة، وأخيراً يهرب الشيطان، ولا تحل المشكلة بل - يا سبحان الله - تتعقد وتستعصي وتغلق الأبواب !!

هذا المبدأ الكبير والمنهج العملي الرائع كان الشيخ يوصينا به دائماً، ويقول لنا إذا جاء وقت الصلاة فتفرغوا لها، فأنتم في عبادة، وإن الله سيحل لكم مشكلاتكم وما عليكم إلا المحافظة على صلاة الجماعة والصبر والدعاء وإن الله لن يرد دعاء مخلصاً يحترم صاحبه شعائر دينه وواجبات شريعته.

(٦ إذا أردت تفريج كروبك وهمومك احضر ٤٠ تكبيرة للإحرام في صلاة الفجر

هذا المبدأ، قلما ينتبه إليه أحد من العلماء الأفاضل، والمرشدين الكرام في علاقتهم مع الناس، بينما كان بالنسبة للشيخ الشغل الشاغل، وفي مقدمة الأولويات عندما يتقدم بوصاياه إلى أصحاب الهموم وذوي الحاجات والباحثين عن عمل أو مساعدة الذين تعرضوا للكوارث والنكبات !!

عندما يحين يوم الجمعة، أو أي يوم بين المغرب والعشاء أو غير ذلك من المناسبات، كنت أرى الكثير من رواد الشيخ من أولئك المحتاجين لمساعدة أو عمل يتقدمون ويشرحون أوضاعهم، وكان يستجيب لهم متسعاً لهمومهم، متعاطفاً مع مشكلاتهم لكنه في الوقت نفسه يسأل صاحب المشكلة قائلاً له اصدقني في جوابك، هل تصلي؟ فيقول نعم، فيسأله أيضاً هل تصلي صلاة الفجر حاضراً في المسجد مع الإمام ؟ فيجيب بعضهم لا، وبعضهم يجيب مرة ومرة، فيقول الشيخ علي القطان أرأيتم الأخطاء التي نقع فيها، إننا نبحث عن عمل ثم نبخل على الله بصلاة الفجر حاضراً ! إننا نريد من الله أن يتكرم علينا بالخير، ونحن لا نؤدي إلى الله حتى الصلاة فكيف سيوفقنا الله، اسمع يا فلان إني سأكتب لك تزكية وسوف يرافقك الدكتور عادل إلى الشركة الفلانية لإيجاد فرصة

عمل، لكن صدقني أيها الأخ إن الحل الأساسي هو أن تحضر ٤٠ تكبيرة إحرام في صلاة الفجر، عسى الله أن يفرج كربك وينهي مأساتك، ويحل لك مشكلتك، فالأمر كله بيد الله ولا مرد لقضائه، وإن علينا أن نصلح أحوالنا مع الله، ونؤدي الصلاة بأوقاتها، ونحضر صلاة الفجر مع الإمام، فإن الله يصلح لنا أمورنا ويزيل همومنا ويفرج كروبنا..

إيمان في زماننا يا شيخ ما بعده إيمان..

وإرشاد أيها الشيخ الجليل ما بعده إرشاد..

وتوجيه للناس على اختلاف شرائحهم ما بعده إرشاد..

ولولا محبتك لله أولاً ثم لعبادة الله ثانياً واهتمامك بالأمة في حاضرها ومستقبلها ثالثاً، ما كنت توصي الناس بهذه الوصايا، وتنصح المحتاجين بهذه النصائح !!

إن كوارث الأمة ونكباتها سواء الكوارث الشخصية أو الكوارث والنكبات العامة، إنما يرجع إلى ضعف ديننا وقلة إيماننا وزعزعة عقائدنا ونقصان تعبدنا، وعدم فهمنا للعلاقة بين الناس وبين الله خالق الناس.. وإن الله بيده ملكوت كل شيء، وبقدرته أن يجعل الناس كلهم دون هموم ولا مشكلات، لكنه يختبرنا ويبتلينا من جانب، ثم إنه سبحانه وتعالى يضع لنا الطريق الصحيح في علاقتنا معه، والمنهج الواضح المستقيم في تعاملنا معه فإن أحسنا السير في الطريق انفتحت الأبواب وإن أجدنا العبور في المنهج تحققت الغايات والأهداف، وتم حل جميع المشكلات لكن الناس لا تفقه ذلك النظام ولا تدرك تلك العلاقة، فتهمل في تدينها وتتكاسل في جوانب عديدة من دينها، وتتساهل في صلاتها أو أخلاقها أو معاملتها، فتقع في المحظور، وتنغلق السماء، ولا يصل الدعاء، فتزداد الهموم وتستعصي المشكلات!!

إن حل مشكلاتنا يكون بأيدينا لو كنا ندرك ذلك.. وأول الطريق الرجوع إلى الله وحضور الصلوات جماعة في المسجد وغير ذلك من سلسلة الخير!!

٧ - لا تنشغل بالكلام بعد الأذان بل أكثر من الدعاء والتسبيح تأدباً مع الله

هذا المبدأ العظيم ينم عن فكر عظيم عن شيخنا الراحل، ويدل على أن الإسلام دين عظيم ومنهج كريم يدرب الإنسان على تنظيم حياته وأموره، وكيفية التفريق بين موقف وموقف من خلال مواقف الحياة الكثيرة والمتعددة !!

يقوم هذا المبدأ على أساس عدم اللغو والكلام بعد الآذان، إذ يكفي الإنسان ما يلغو به يومياً، وما يتكلم فيه صباحاً ومساءً، نهاراً وليلاً، فقد ثبت لدى العلماء أن ٧٠٪ من أوقاتنا تضيع في الكلام، وبالخصوص، الكلام غير النافع، أي اللغو دون تحقيق نفع أو ابتكار فكرة أو إبداع حل لمشكلة.

وإذا كان الباحثون قد اكتشفوا هذه النسبة من اللغو والكلام لدى الإنسان في يومه، فإن الشيخ علي القطان كان أسبق من العلماء في اكتشاف تلك النسبة ليس من خلال بحث معين بل من خلال ملاحظته المركزة المستمرة، ومن خلال إيمانه العميق بالله وصفاء عقيدته، ومن خلال تفكيره الواعي وعقله الناضج وقدراته الذاتية العالية ومواهبه المتميزة. كان الشيطان يزين للناس عامة، ولنا نحن المتعبدين الذين نزور الشيخ أو نرافقه، الكلام بعد الأذان، فقد نكون صامتين ساكتين، فإذا أذن المؤذن رغبنا الشيطان بالكلام واللغو، وشجعنا الشيطان بالحديث عن مشكلاتنا، وعند ذلك يثور الشيخ قائلاً سامحكم الله، ألم تجدوا وقتاً للكلام واللغو، والحديث عن مشكلاتكم وهمومكم وأقاصيصكم إلا في هذا الوقت الفضيل، وقت الأذان وبعده، اسمعوا أيها الشباب إن من أعظم الدعاء وأفضله، وأحسن التسبيح وأكمله أن يفعل الإنسان ذلك عند بدء الأذان إلى الإقامة فالصلاة إذا انتهت الصلاة وقام باختتامها بالتسبيح والدعاء، فينطلق نحو أحاديثه الشخصية وكلامه، وحتى في هذه الأوقات فمن المفضل ألا يلغو الإنسان فيها، لأن المسلم يتميز بالجدية، فاللغو عنده منعدم، والكلام لديه عبادة كلها، سواء كان كلامه دعاء أو تسبيحاً أو كان دراسة أو علماً أو كان توجيهاً أو إرشاداً أو كان نكتة أو مداعبة يضفي السرور على أهله وأبنائه وإخوانه وأحبائه وغير ذلك.

يرحمك الله يا شيخ علمتنا فأحسنت تعليمنا، وهذبتنا فأحسنت تهذيبنا، وأدبتنا أدب الله والرسول والقرآن والإسلام فأحسنت تأديبنا، وها نحن كنا نجهل فضل ذلك الوقت ما بين الأذان والإقامة، فنلغو فيه ونتكلم، وإذ بنا نتدرب فيه بإشرافك على الدعاء والذكر والتسبيح وإنها والله لنقلة نوعية راقية، وخطوة في فهم الدين صحيحة وسليمة.

يرحمك الله يا صاحب المبادئ كم نحن في حاجة إلى توجيهاتك وكم هي الأمة في أمس الحاجة إلى مبادئك وإرشاداتك، فنم قرير العين !!

٨) - النصيحة ضرورة دينية لكن دون تشهير أو إيذاء

أما المبدأ الثامن من مبادئ الشيخ والذي يلازمه في الزمان والمكان مع الأصدقاء و الأقران، والأحبة والأقارب والإخوان، بل ومع جميع الناس وجميع الخلان يسعى فيه إلى تربية الآخرين وإرشادهم وتوجيههم بالكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة، وهو يدرك غاية الإدراك خطورة هذا المبدأ في واقع الحياة، سواء من حيث إهماله وإغفاله وتجاوزه وعدم العمل به، رغم أنه من أهم ركائز الدين، حيث الدين النصيحة، ورغم أنه من أهم صفات الأمة المسلمة أمة الخير، أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسواء من حيث الجهل باستخدامه عند تطبيقه، والتسرع في القيام به عند تنفيذه، مما قد يحدث عن ذلك من مضاعفات ومضاعفات !!

لهذا كان الشيخ حكيماً غاية الحكمة في الفهم والإدراك، وفي التطبيق والعمل لهذا المبدأ، مما ينم عن قوة عقلية عند الشيخ ومواهب ذهنية وطاقات وقدرات ابتكارية إبداعية، ومهارات عالية في الأداء تستمد مسيرتها من نبوغه وعبقريته، ومن عمق إيمانه وشمول عقيدته.

فكم من نصيحة كان ينبغي أن تقال، لكن صاحبها قصر في تقديمها، فأضر البلاد والعباد، وكم من ظروف كانت سانحة للإعلان عن نصائح كان ينبغي البوح بها - سواء لفرد أو لأسرة لمؤسسة أو لمجتمع - تخاذل صاحبها - وتردد قائلها، فكانت

النتيجة أن يحصد الآخرون شراً كثيراً ويخسروا خيراً عظيماً... فالنصيحة مطلوبة في الوقت المناسب الذي إذا قيلت فيه فلن تسفر إلا عن خير وفير.

وفي الوقت نفسه كم من نصيحة صارت فضيحة، وأدت إلى فتن وشرور، وإلى ويلات وثبور، أهلكت الحرث والنسل لأنها قيلت في الوقت غير المناسب، فكانت المفاسد الناتجة أعظم وأشد من تلك المنافع التي لا قيمة لها بالنسبة لتلك المفاسد والفتن.

وإما قيلت في الوقت المناسب لكن بأسلوب خاطئ يمتلئ تشهيراً وقذفاً وشتماً وقدحاً، دون رعاية لموقف ولا تقدير لأحاسيس ومشاعر المنصوح، حيث إن هذا الأسلوب الخاطئ يولد كثيراً من الشرور والمفاسد فتختلط الأمور وتضيع فوائد النصيحة.

انطلاقاً من ذلك الخيط الرفيع الذي قلما يدركه عموم الناس، بل وحتى بعض المتعلمين، والمثقفين، بل وحتى بعض المتدينين، وهو الخيط الذي يفصل بين واجب تقديم النصيحة، وواجب إدراك الوقت المناسب والأسلوب المناسب لتقديمها، وهو موقف دقيق يحتاج عقلاً ذكياً يفهمه، وذهناً مستنيراً يفهمه و يدركه من جانب ثم يقدمه للناس ويرشدهم إليه بين الحين والآخر من جانب آخر.

أقول انطلاقاً من هذا الخيط الرفيع تبدو حساسية مبدأ النصيحة، وعدم تركه للعامة وبالخصوص نصيحة الحكام والأنظمة ونصيحة الناس في الأماكن العامة، وتبدو بالتالي قدرات الشيخ علي القطان في فهم المعاني قبل فهم المباني، وفي استشعار العواقب قبل حدوثها، والنتائج قبل قدومها، مؤمناً بأن المقدمات الصحيحة تؤدي إلى نتائج صحيحة بإذن الله، ومؤكداً أن على الإنسان أن يدرك كافة الأشياء وطريقة استخدامها، وأن يدرك القاعدة العامة لها والاستثناء فيها، حيث لكل قاعدة استثناء، فإذا لم يدرك المرء تلك الاستثناءات ولم يدرك الواقع وظروفه، وقع في التقليد وفي الجهل دون معرفة، فضاع وضيع، وأساء فعلاً للمبدأ، وتحولت النصيحة إلى مشكلات وفضيحة، وبدلاً من أن تكون النصيحة حلاً للمشاكل، صارت مصدرا للمشاكل.

بناء على ذلك كان الشيخ يمارس هذا المبدأ بهذا الفهم والإدراك، وتلك الضوابط

والقيود والاستثناءات فيقدم النصيحة، دون إساءة أو إيذاء أو تشهير ودون قذف أو شتم أو تحقير... فليس هدفه من النصيحة إلا أن تصل رسالتها إلى قلب الإنسان دون مضاعفات ابتغاء مرضاة الله.

وهكذا استفاد من نصائح الشيخ علي القطان الحاكم والمحكوم، واستفاد منه الظالم والمظلوم، دون حدوث فتن أو شرور، لأنه كان كالطبيب الناجح الذي يرأف بمريضه ويداوي مشاعره ويتعرف على أحاسيسه، ولأنه كان كالأم الحنون التي تمتلئ عطفاً ورحمة على أبنائها.

نعم هكذا كان شعور الشيخ بأن الجميع أبناؤه، سواء كان المجتمع نظاماً أم حاكماً أم شخصاً قوياً أم إنساناً عادياً أم غير ذلك من شرائح المجتمع، فكلهم أولاده وكلهم يحتاجون للكلمة الطيبة والمحبة والتسامح والمعاملة الحسنة...

هكذا كان الشيخ يقدم النصيحة، وهكذا كان يرشد الآخرين ممن حوله بطريقة استخدامها، فإما نصيحة تحقق هدفها دون إيذاء أو ضرر، وإما انتظار أو صبر حتى يحين الوقت المناسب لقولها بالكلمة الطيبة والحكمة دون إيذاء أو ضرر، وهذه هي قمة الحكمة وغاية الدين وروح الشريعة، لأن الصبر نصف الإيمان وهو خير كله إلى حين قطف الثمرة دون خسائر!! واصبر وما صبرك إلا بالله (النحل ١٢٧).

٩) العاقل من جبَّ الغيبة عن نفسه وابتعد عن لغو الكلام

يؤمن الشيخ أن الغيبة مصيبة المصائب، وأنها من أكبر الكبائر، لأن فيها هلاك الإنسان في نفسه وعقله وفكره، ولأن فيها العدوان على أعراض الآخرين يتلذذ الناس بالغيبة في المجالس والدواوين، فلا يتركون شخصاً ولا إنساناً ولا عائلة إلا ذكروه بالسوء، بل أحياناً يزيدون من عندهم ويضخمون حتى يتخيل السامع أن الإنسان الغائب هو من أكبر المجرمين وهو من أسوأ الناس، رغم أنه في الحقيقة ليس كذلك. هذه هي مساوئ الغيبة وهذه هي أضرارها وآثارها السلبية، وذلك ما دعا الإسلام إلى تحريمها، يؤكد الرسول ﷺ على التحريم!!

فإذا كانت الغيبة بهذا المستوى السيئ الهابط فإن العاقل ليس الذي يغتاب فحسب، بل إنه لا يفعل الأفعال التي تجعل الناس تغتابه، ولا يتصرف التصرفات التي تفتح شهية الآخرين لغيبته، ولا يقف مواقف الشبهة التي تدفع بالناس لأن يدخلوا في مجال الغيبة.

إن دعوة الشيخ للالتزام بهذا المبدأ وأن جبَّ الإنسان الغيبة عن نفسه هو طريق للسلوك الحسن، وهو منهج يرتقي بتصرفات الإنسان وسلوكياته حتى يبقى المرء مأموناً في غيبته وكرامته وعرضه.

إن دعوة الشيخ للعمل على تطبيق هذا المبدأ هو إحياء لأمر الله وسنة رسوله كي تصطبغ حياتنا بصبغة الإسلام العظيم.

١٠) العاقل من كتم إهانة نفسه:

هذا المبدأ من أهم مبادئ تربية الذات.

وقليل من الناس يدرك كيف ينبغي أن يعرف نفسه ويربي ذاته ويدير أموره الشخصية، وفق الطريق الذي يحقق له النتائج الإيجابية السليمة، والفوائد العظيمة والمنافع الكريمة، التي ترجع عليه وعلى الجميع ممن حوله بالخير العميم !!!

ذلك هو العاقل الذي إذا حدثت له إهانة كتمها وصبر عليها دون أن ينشرها بين الناس فيقع في هوة لا أول لها ولا آخر، ويضر بنفسه أكثر مما يضر بغيره وهو يتوهم أنه سوف يفضح من أهانه، وإذ به يفضح نفسه، نعم ذلك هو العاقل الذي إذا وقع في خطأ أو نزل منزلاً لا يشرفه أو حدثت له إهانة سواء بسببه أو بسبب غيره، ولم يطلع عليها أحد فإنه يعمل على كتمانها، وينتهي الأمر وليس يقوم بالحديث عن الإهانة في كل مكان، فيصغر في أعين الناس، لأنه كثير الكلام وكثير الشكوى في مسائله الشخصية يقع في المحظور ويعرض نفسه إلى إهانات أكبر وسقطات أكثر، وهذا خطأ كبير، لأن الكلام لا يحل مشكلة وكثرة الشكوى تزيد من استعصاء المشكلة.

١١) المرء حيث يضع ذاته ويعرف حقيقة نفسه:

وهذا مبدأ آخر من مبادئ الشيخ المتعددة وأفكاره العالية وقيمه النبيلة وشيمه العلية، التي يراها ضرورية لنفسه وغيره من أبناء وطنه وأمته بل وأبناء البشرية جمعاء لأنه يحب الخير لكل إنسان !!

نعم إن المرء حيث يضع ذاته، والعاقل من عرف حقيقة نفسه، فالعاقل هو الذي يعرف أين وكيف ينزل ذاته منازلها، وأين يضعها حتى لا يقع في الخطأ والتضليل، وحتى لا يغش المرء نفسه فيتوهم أنه العالم وهو الجاهل، وأنه القوي وهو الضعيف، وأنه القادر وهو ليس بالقادر، وأنه يفعل كل شيء ويفهم كل شيء ويعرف كل شيء، وهو بالفعل لا يفعل ولا يفهم ولا يعرف شيئاً، وهذا ما يقع فيه الكثير من الحمقى والجهلاء يغرر بهم شياطين الإنس والجن فيضعون أنفسهم في غير أماكنها، أو بمعنى آخر لا يعرفون أين يضعون أنفسهم فيقع الهلاك عليهم وعلى غيرهم!!

نعم، كم من شخص هلك وأهلك غيره، وكم من شخص أضر بنفسه وبأهله وبوطنه وبأمته وبالإنسانية جمعاء ؟؟

خذ مثلاً شخصاً جاهلاً أو متعلماً بعض علم، وإذ به يريد أن يصبح العالم والمفتي والشيخ والمتخصص والخبير في كل الأشياء، فإذا حدث وأصبح بيده القرار أضر بالعلم وأهله وأفسد أكثر مما يصلح وهدم أكثر مما يبني !!

وخذ مثلاً آخر من شخص غير قادر على الحكم والسلطة والسياسة، أحمق في قراراته وتصرفاته، ثم يتوهم أنه يعرف الحكم والسلطة، يفهم في السياسة والإدارة، ويتوهم أن الله قد خلقه لها، وهو لا يدرك أسرارها ولا يعرف خصائصها ومتطلباتها، فإذا صار الحكم بيده وصارت السلطة إليه أخذ يتخبط خبط عشواء، فيقرب أهل المحاباة والنفاق، ويحارب أهل النصح والإخلاص، وينتشر الفساد في البلاد ويغتني على حساب الأمة المتطفلون والأقارب ويزداد أهل الفقر فقراً وتنتشر البطالة وتسوء الأحوال، ثم ينفق الأموال العامة على الإعلام وغسل الأدمغة والمخابرات وينشر الخوف في كل

مكان، ويظنُ أنه الدولة والأمة فيصادر الحريات ويحارب المعارضة ويقتل ويعتقل وينفي ويملأ السجون بأبرياء ومخالفين لسياسته، وتمتلئ بلاده مقابر جماعية، وهكذا يضيع الناس في فترة حكمه، وتضيع الأمة في عهده، ويلقي اللوم على غيره، ويؤخر المجتمع إلى الوراء مئات السنين لأنه لا يعرف أين يضع نفسه وذاته!!

وقديماً قيل رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، فلا يتكلم إلا حيث يحتاج الكلام، ولا يتصرف إلا إذا أحسن التصرف، ولا يدعي أكثر مما هو فيه، بل إنه يتواضع مع العلماء ويبدو كأنه تلميذ يحتاج الى العلم وليس أبا الأساتذة والعلماء.

رحم الله الشيخ فقد آمن بهذا المبدأ، فكان تلميذاً للعلم دائماً، وتلميذاً للحقيقة دوماً رغم علمه وجليل عمله... فلو أخذت الأمة بهذا المبدأ لوفرت خسائر بشرية ومادية لا يمكن إحصاؤها.

ثانياً: المبادئ الأخلاقية والسلوكية

١) الهمة منبع الرجولة ومحرك لكل عمل نبيل وفعل كريم

لم أجد كلمة كان الشيخ يحبها ويرددها بعد ذكر الله ورسوله والدعاء والاستغفار والتسبيح مثل كلمة (الهمة) !!

ولم أجد كلمة كانت تنطبق أيما انطباق على الشيخ وشخصيته الفذة مثل انطباق كلمة (الهمة)، فكأن هذه الكلمة قد اختلطت في مشاعره وأحاسيسه وامتزجت مع الدماء في قلبه وعروقه، حتى باتت تغذي خلايا جسده الكريم، وتنتقل بذلك من المشاعر والأحاسيس إلى الأفعال والسلوكيات، لا تنفصل عنهما أبداً ولا يمكن مطلقاً أن يعيش أحدهما دون الآخر، حتى لكأني أقول صادقاً إذا انفصلت الهمة عن الشيخ لم تعد همة، وإذا انفصل الشيخ عن الهمة لم يعد هو الشيخ، فكأنهما - يا سبحان الله - توأمان امتزجا، لا يمكن أن يحيا الأول بدون الثاني، ولا الثاني بدون الأول.

والهمة كما يقول العلماء هي اشتغال المرء بمعالي الأمور بعيداً عن سفاسفها وهذا

الاشتغال بالمعالي لا يقدر عليه إلا النوادر من الناس فقد ورد في الحديث «**تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة**» (رواه مسلم). وقد صدق من قال لله در الهمم ما أعجب أمرها: همة متعلقة بالعرش، وهمة تدور حول الأنتان والحش. فالأولى لايطيب لها إلا التفكير في صفات الله والنظر إلى الكرسي، وامتداد النظر إلى ما بعد هذا الكون الفاني، مما يدفع بالرجل إلى الاشتغال بالمعالي، وما المعالي والاشتغال فيها سوى التعبد المستمر العميق لله سبحانه وتعالى، فضلاً عن خدمة الناس وقضاء حوائجهم، والسعي في حاجاتهم واستمرار الإصلاح فيما بينهم، وقد كان الشيخ يعمل على هذين الجانبين بشكل دائم ومستمر حتى إنك لتستطيع القول بأن الشيخ لم يكن ينتهي من صلاة حتى يبدأ بصلاة، ولم يكن ينتهي من خدمة صاحب حاجة حتى يبدأ في خدمة صاحب حاجة...

هذه هي الهمة في حقيقتها، وهذه هي الهمة في مدرسة الشيخ اختلطت بروحه وامتزجت بشخصيته، وصارت هي منهجه في الحياة حتى باتت الهمة مرادفاً من مرادفات الشيخ فإن رأيته في طريق وقلت هذا هو الشيخ فأنت صادق في قولك، وإن قلت هذه هي الهمة، فأنت صادق في قولك....

كان رحمه الله يردد على مسامعي القول: يا عادل، ليس الإنسان إلا مساحة من الهمة كلما قلّت همته، قلّت رجولته وإنسانيته، حتى لا يبقى منه سوى كائن بشري أناني يأكل ويشرب وينام.... ويا ويل أمة يكون أبناؤها بغير همم!!

والراحلة هي النجيبة المختارة من الإبل للركوب فهي كاملة الأوصاف ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل بل هم أشباه كالإبل المائة فكامل الأوصاف قليل ونادر مثل الراحلة بين الإبل.

وعندما نحاول تطبيق مبدأ الهمة الذي آمن به ونشأ عليه وتربى في ظلاله الشيخ في واقع حياتنا العربية والإسلامية نجد أن السبب الرئيس في تخلف العالم الإسلامي الذي كان من العوالم للبشرية جميعاً، والذي زكى الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية،

يوم كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أي كانت أمة همة لا أمة تقاعس وتكاسل وتسيب ولهو وكلام فارغ ووقت ضائع !!

أقول إن السبب الرئيس وراء سقوط العالم العربي والإسلامي وتخلفه وانحداره إنما يكمن في هروبه من مبدأ الهمة، وخروجه على قوانين الهمة، حتى بات الكثير وكأنهم بلا همة، في أمة كانت دائماً صاحبة همة، إن الناظر إلى الصحابة الكرام والرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة يرى رأي العين أن الهمة كانت سلاحهم وحياتهم، فانشغلوا بالآخرة عن الدنيا، وبمعالي الأمور عن سفاسفها وإذ بهم في سنوات يفتحون العالم، ويصنعون حضارة استمرت أكثر من ١٣ قرناً، حتى إنهم حكموا أسبانيا والأندلس أكثر من سبعة قرون ووصلوا إلى أقاصي الصين وحملوا راية العدل والحرية والمساواة والأخلاق الكريمة، وهم لا يملكون سوى أخلاقهم أو بعض وسائل نقل بسيطة مما يجعل المرء مندهشاً من كيفية سيطرتهم على العالم في سنوات قليلة، لأن تفكيرهم لم يكن يهدف إلى جمع المال وقتل الناس بل نشر القيم وهداية البشر إلى طريق العفة والعدل والفضيلة!! رغم ما كان يقع من أخطاء وتجاوزات سرعان ما يتم تلافيها.

إنها الهمة.. همة الأنبياء والرسل، همة الراشدين والصحابة الكرام، همة التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. همة الشيخ وهو يعمل طول عمره في الدعوة إلى الله وخدمة الناس وذوي الاحتياجات.

٢) رفع المروءة عن أهل المروءة مروءة

هذا هو المبدأ الذي كان يحمله ويعمل به وينشره في كل مكان، شيخنا الجليل الراحل، وإذا كان المبدأ الأول على درجة كبيرة من الأهمية لأنه يرتبط بالانشغال بعبادة الله انشغالاً شاملاً، فإن هذا المبدأ لا يقل أهمية لأنه يرتبط بذروة الأخلاق وقمة الفضائل وبؤرة القيم والشمائل والشيم، وصدق رسول الله صلى الله عليه سلم بقوله «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق[١]» وبذلك يتكامل المنهج الإسلامي، حيث الأخلاق تحيطه وترعاه، وحيث الأخلاق هي في الوقت نفسه مركزه وقمته وأعلاه، وحيث المروءة

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده

هي خلاصة الأخلاق لأنها منظومة شاملة من المعاني النبيلة، والأفعال الكريمة، مثل الشهامة والإيثار والجود والكرم والشجاعة والتعاون والمحبة والغيرة والصدق والأمانة، واحترام الكبير والعطف على الصغير وغير ذلك من القيم والشيم، فإذا فقد الإنسان المروءة بكاملها أو فقد جزءاً منها فإنه يكون فقد إنسانيته وكرامته، ورجولته ومكانته، فالإنسان قليل المروءة هو إنسان قليل الأخلاق وقليل الرجولة!!

هكذا كان الشيخ يرى المروءة تاجاً على رؤوس الرجال الذين يتعبون لأجل الآخرين، ولا يهنؤون إلا إذا استراح الآخرون، واسمحوا لي أن أقول الآن، إن الشيخ كان يحتل قمة المروءة فقد رأيت الكثير من الناس، وعاصرت وعايشت الآلاف من المتدينين ومن أصحاب الشهامة والمروءة، فما رأيت شخصاً في مستوى الشيخ في مجال المروءة، حتى إنني لن أخالف الصواب إن قررت وأنا بكامل إرادتي وقواي العقلية والنفسية، أن الشيخ وقليلاً مثله يقف على رأس جميع الأجيال في تاريخنا المعاصر في مجال المروءة والشهامة وخدمته للآخرين.

وفي الحقيقة كان في مكتبه في المسجد الذي رافقته فيه مدة طويلة، مكتباً يستحق أن يكتب عليه مكتب المروءة، فهو طوال النهار يستقبل أشخاصاً ويودع أشخاصاً، والجميع يطلب موقف مروءة، والشيخ لا يرفض طلباً ولا يرد أحداً!!

انطلاقاً من ذلك كان يشجع الآخرين على محبة المروءة، وبالخصوص المقربون منه من أصحابه، وأحبابه، فكان مثلاً يطلب من شخص معين أن يقوم بمهمة معينة نيابة عن شخص ثالث من أصحاب المروءة، لكن وقته لا يسمح بالقيام بتلك المروءة الأخيرة، كي يقوم بها ذلك الشخص قائلاً له: يا فلان، رفع المروءة عن أهل المروءة مروءة!!

وكان يتمنى أن تنطلق المروءة من ذات الإنسان، فإذا قام الإنسان بالمروءة وكانت من تلقاء نفسه للتخفيف عن صاحب مروءة ردد الشيخ تلك المقولة الرائعة والمبدأ الرائع....

ولا أزال أتذكر كيف كان يبتسم في وجهي عندما أرفع يدي من تلقاء نفسي قائلاً: لا تهتم يا شيخ أنا مستعد أن أرافق فلاناً في سيارتي بدلاً عنك أو بدلاً عن فلان، فيقول

لي الشيخ : شكراً يا دكتور عادل أنت صاحب مروءة ثم يردد مقولته الرائعة بصوته الرائع:

يا عادل، رفع المروءة عن أهل المروءة مروءة !! وهكذا ربى أبناءه وتلامذته على هذا النهج الكريم.

٣) الاهتمام بمشاكل الناس وذوي الحاجات من أوجب الواجبات

هذا المبدأ هو أحد المبادئ التي عاش لها الشيخ حياته تماماً، وإن كان هذا المبدأ أكثر كثافة وأكثر استمرارية نظراً لارتباطه بالحاجات الكثيرة، للكثير من الناس من الأفراد والأسر الفقيرة والعائلات المتعففة، والتي لا تنقطع حاجاتهم، بل تزداد كماً ونوعاً - إن صح التعبير - لأن البطالة تنتشر بين الشباب، فتزيد من فقر العائلات ولأن المواليد في ازدياد، والحروب كثيرة، وأسعار المنتجات ترتفع وغير ذلك من الأسباب التي تجعل أوضاع العائلات أشد بؤساً، وأحوالهم أكثر سوءاً، مما يعني أن هذا المبدأ الذي آمن به واتخذ قراره الأبدي في الاستمرار فيه، هو المبدأ الذي سيجعله في عمل دائم وحركة مستمرة يصل فيه الليل بالنهار، ويمتد صباحه فيه إلى مسائه، وذلك لارتباط هذا المبدأ بواقع الفقراء والمساكين وذوي الحاجات من الشباب والموظفين وذوي المظالم وغير ذلك مما يجعل الشيخ في حركة دائبة، فلا راحة ولا عيد، ولا وقت فراغ ولا لحظة ينبغي أن تضيع عنده في ظل هذا المبدأ العظيم !!

والحديث عن ذوي الحاجات في بلادنا العربية والإسلامية وحتى في مختلف بلاد العالم هو حديث ذو شجون !! ولأن الشيخ يعمل في عالم عربي وإسلامي، فإن حديثنا عن هذا المبدأ الذي آمن به شيخنا الراحل سوف ينصب على ذوي الحاجات في أمتنا العربية والإسلامية.

إن من المؤسف أنه بعد استقلال العالمين العربي والإسلامي من الاستعمار منذ أكثر من نصف قرن، ودخول هذين العالمين إلى الألفية الثالثة، من المؤسف أن الفقر فيهما لا يزال ينهش نسبة كبيرة من الأسر الفقيرة، وان البطالة لاتزال تفتح أبوابها للملايين

من الشباب المتعلم أو الأمي كي يتحولوا إلى فقراء وبالتالي يتحول بعضهم إلى مجرمين !! نعم من المؤسف أن يكون الفقر شيئاً ملازماً في العائلات، وتكون البطالة رفيقاً للملايين من الشباب الذي لا يجد ديناراً في جيبه، ولا يجد والداه ديناراً يقدمانه له كمصروف يومي أو أسبوعي أو شهري أو سنوي.

وهكذا وبعد خمسين عاماً لا يزال الفقراء يزدادون، ولا يزال الشباب العاطل عن العمل يكثرون ويشتكون. في هذا المناخ الصعب لم يقف الشيخ عند حد الكلام والخطب الفارغة، بل انتقل فوراً إلى العمل والتطبيق، وأحس أنه هو الوحيد المسؤول عن هذه الجيوش الجرارة من الفقراء والمساكين والشباب والعاطلين، على الرغم من أنه لا يملك القرارات الكبيرة وليس لديه سوى جهده ووقته وبعض ماله.

وفي الحقيقة كان هذا القرار الذي اتخذه قراراً شجاعاً قلما يتخذه أحد، لأن خدمة الناس وبالخصوص الفقراء وذوو الحاجات خدمة صعبة ومعقدة من جانب، وعمل تأباه

النفس ويمجه معظم الناس من جانب ثان، ووظيفة مكلفة تأخذ من الإنسان جهده وماله ووقته لأن مجالها لا ينتهي ولأن الحاجات تزداد والفقر في اتساع من جانب ثالث.

إن النفس ترغب في خدمة الأغنياء والكبار طمعاً في حظوة !! وتريد أن تقدم بعض زكاتها وصدقاتها للفقراء دون الدخول في التفاصيل أو الاقتراب منهم والتعرف على همومهم ومراقبتهم لحل مشكلاتهم، وتتمنى أن تبتعد عن هذه الوظيفة الصعبة لأنها تأخذ من الإنسان الكثير من وقته وصبره.

انطلاقاً من ذلك فإن اتخاذه قراراً في خدمة الفقراء والسعي إلى معايشتهم وحل مشكلاتهم هو نقلة نوعية انتقل إليها، ووثبة نفسية أخلاقية وثبها وخطوة إيمانية وعقدية عالية المستوى لا يستطيع القيام بها إلا قليل من الرجال من أولي العزم والذين يعتبرون من النوادر في مسيرة البشرية، فقد وصفهم القرآن بقوله **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وقليل ما هم﴾** (سورة ص الآية ٢٤) ووصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فيما معناه الناس **«كإبل مائة لا تكاد تجد فيهم راحلة»**،(رواه مسلم) وهذا يعني أن الله إذا أحب إنساناً هيأ له محبة الفقراء وخدمتهم والسعي إلى حل مشكلاتهم، والاقتراب من همومهم فأحب الناس على الله أنفعهم لعباده.

وسوف يجد القارئ الكريم من التفصيلات والوقائع الرائعة في هذا الكتاب من تطبيقات الشيخ لهذا المبدأ الاجتماعي العظيم!!

٤) التقليد للغرب وتتبع الموضة أحد أسباب هزيمتنا

هذا المبدأ ينضم إلى مجموعة المبادئ التي يؤمن بها الشيخ علي ويطبقها ويحملها إلى الناس بكل إخلاص وإتقان وشمولية واستمرارية دون أن يكل أو يمل، فقد وهبه الله سبحانه وتعالى إرادة وعزيمة وهمة وصبراً وجرأة وثباتاً ومروءة وشهامة قلما تجدها عند غيره من أبناء جيله أو من الأجيال السابقة إلا في النادر، فما فحوى هذا المبدأ !! وما مضمونه ؟ بل وما أخطاره الهدامة على الفرد والأسرة والمجتمع من جانب وعلى اقتصاد الدولة من جانب آخر؟!

هذا المبدأ يقوم على أساس خطورة تقليد الأجانب في عاداتهم وأخلاقهم، والمقصود بالأجانب أولئك الذين لا يدينون بدين الإسلام، كالغرب الذي استعمرنا والذي يعمل على تصدير أمراضه الاجتماعية إلينا من خلال الإعلام الفاسد مستغلاً ضعفنا وتخلفنا وجهلنا، ولا يعرفون من الحياة إلا مظهرها، وتتعارض أخلاقهم مع أخلاق الإسلام، ويعملون على تصدير عاداتهم الفاسدة وتصرفاتهم المنحرفة عن طريق الموضة إلى بناتنا وشبابنا بهدف إفساد الأسرة وتقويض المجتمع وهدم عقيدة الأمة.وبما أن أمتنا العربية اليوم تعيش حياة فراغ لأنها ابتعدت عن دينها وشريعتها منذ قرون طويلة مما جعلها مهيأة لتسرب نتائج الغزو الفكري والمظاهر الفارغة للحياة الغربية، والقشور البراقة للمدنية والحضارة المعاصرة وما تحمله هذه المظاهر من عادات فاسدة وقيم منحرفة لا تتناسب مع قيمنا العالية وعاداتنا النظيفة المستمدة من شريعة طاهرة لا تدعو إلا إلى الفضيلة، ولا تحارب إلا الرذيلة، فهي شريعة الأخلاق السامية، والقيم الراقية من سلوك حسن وتواضع وأمانة وتهذيب ورجولة ومروءة وعفة وطهارة وحياء واستحياء واحترام للكبير وعطف على الصغير، والاهتمام بالقراءة والدراسة والعلم بعيداً عن الاشتغال بالتوافه والصغائر والمظاهر والحركات المائعة، والتصرفات التي تدل على تشبه الذكور بالإناث (التخنث) وتشبه الإناث بالذكور (الاسترجال)، وغير ذلك من تصرفات تذري بمروءات الرجال، وتوجه الشباب ذكوراً وإناثاً فتياناً وفتيات نحو القشور والمظاهر والأفعال المريضة وتوافه الأمور، بدلاً من التوجه نحو معالي الأمور وفضائل الأعمال، وتنمية قدراتهم وتفعيل مهاراتهم وصقل مواهبهم للمزيد من الابتكار وتوالد الأفكار!!

ما أسوأ أن يقوم بعض شباب العرب والمسلمين بتقليد الغرب وتتبع الموضات، حيث بعض الشباب الذكور يضعون شارات أجنبية لا تليق بهم، ويلبسون ملابس تتنافى مع رجولتهم، لكن الشيطان يزينها لهم على أنها تقاليد للحضارة والمعاصرة، وللأذواق الأجنبية العالية، (وهذا كذب وهراء) حتى يصل الأمر بهؤلاء الشباب والشابات، والبنين

الشيخ علي في غرفته بمسجد اللهيب

والبنات إلى نسيان أخلاق أجدادهم، وعادات آبائهم وأمهاتهم، الأصيلة، والانتقال إلى عالم الموضة الخبيث الذي لا يرحم أحداً، بل والتوسع بالأخذ بهذه العادات الأجنبية والموضات الغربية حتى تتأصل في نفوسهم، وقد تصبح يوماً ما عقيدة في قلوبهم ويزينها الشيطان لهم على أنها هي التقدم والتطور والرقي، وهي مجلبة للاحترام والتقدير، وهنا يكمن الخطر الكبير حيث يقع الخلل في العقيدة والدين، وتصير عادات المجتمع الأصيلة مكان احتقار وازدراء، وتصبح تقاليد الدين الأصلية المهذبة الطاهرة محل غمز ولمز، فتكون مصيبة الأمة مزدوجة، وكارثتها معقدة، ومأساتها كبيرة ومعاناتها طويلة، وتدفع الأمة، (إلى جانب ضياع الثروة المادية لاستيراد مثل هذه الموضات) تدفع ثمنها غالياً في أخلاق أبنائنا، أي خسارتها الكبرى في ثروتها البشرية التي هي أعظم ثروة وأول ثروة، والتي هي عماد الأمة وركيزتها، وهذا ما يسعى إليه أعداء الأمة ولصوص الشعوب ومدمرو المجتمعات، سواء كانوا أفراداً أو جماعات

وسواء كانوا على المستوى المحلي أو على المستوى الدولي.

من هذه المنطلقات وتلك المعطيات كان المبدأ الذي يؤكد الشيخ على خطورة تجاهله يتمثل في ضرورة الابتعاد عن تقليد الغرب وتتبع الموضة التي غالباً ما تختبئ خلفها مؤسسات يهودية وغير يهودية تشجع الفتيات على التبرج والتعري، وتقصير الثياب واستعراض المفاتن وإنشاء الصداقات بين الفتيات والفتيان وتزيين الاختلاط بين الرجال والنساء، ووضع المساحيق والماكياج وغير ذلك من أعمال شياطين الإنس والجن التي لا يحبها الله ولا يقبلها ضمير ولا يرضاها وجدان.

وهكذا كان الشيخ سواء في خطبه، أو في لقاءاته الشخصية، سرعان ما يتوجه بالنصيحة إذا لاحظ على صدر طفل شارة أجنبية، أو رأى لباساً تقليداً للغرب، أو أية موضة يرتديها رجل، أو غير ذلك مؤكداً أن ذلك خطر كبير، وأنه أحد أسباب هزائمنا، فإذا قال له أحدهم، إن ذلك طفل صغير، وإن القضية بسيطة، كان رده رد العلماء الأشاوس والمصلحين ذوي البصيرة والنظر السديد قائلاً، إن النار من مستصغر الشرر، وإن المصيبة والكارثة تأتي من خلال ما يتجمع من أخطاء تكبر حتى تصبح كالجبال، فالكبائر نتيجة للصغائر، وما استسهل قوم صغيرة حتى صارت بعد فترة من الزمان كبيرة، وعند ذلك تغلبهم وتهزمهم وتشتت شملهم، ولنا في الأقوام السابقة عبر ودروس ومواعظ ينبغي أن نستفيد منها.

كان الشيخ من خلال هذا المبدأ يضع يده على الجرح، ويرى أبعد مما يراه الناس، ويستشعر العاصفة قبل مجيئها، وبالفعل فقد جاءت العاصفة ولم يأخذ بتحذيرات الشيخ إلا القليل النادر، وهاهي الموضة غزت البيوت، وهاهي عادات الغرب وتقاليده تنتشر وتهزم الكثير من عاداتنا الأصيلة، وها هي الأمة تدفع ثمن هذه الموضة أموالاً كثيرة من خزائنها لاستيراد هذه الموضات التي أصبحت رغبات لدى الكثير من الشباب والبنات، والى جانب الأموال خسارتها في كثير من الشباب الضائع الذي لا هدف له من الحياة سوى الميوعة التي يصل بعضها إلى مستوى القيام بالجريمة من خلال

ارتكاب المعاصي والاعتداء على الآخرين، يرحمك الله يا شيخ علي كنت تريد لنا الخير، وأردنا لأنفسنا الشر !!

٥) التواضع في المعيشة والاكتفاء بالضرورات في المأكل والملبس والمركوب والأثاث والمسكن وغيره

هذا المبدأ الخامس الذي ينضم إلى أشقائه من المبادئ السابقة، لتتكون من هذه المبادئ وما يضاف إليها من مبادئ منظومة تعتبر في الحق والحقيقة دستوراً للسياسيين والاقتصاديين والدعاة الحركيين والساعين إلى تحقيق مسيرة التنمية الشاملة، والداعين إلى تغيير ظروف الإنسان والمجتمع، والأسرة والأمة إلى الأفضل، والمناضلين من أجل إيجاد اقتصاد وطني سليم يحقق لكل فرد في المجتمع إشباع رغباته وحاجاته في حدود المعقول من الضروريات المادية والمعنوية ويجد فيه كل الشباب فرصة للعمل فلا عاطل ولا فقير ولا محتاج، ويشعر كل فرد من أفراده بالأمن على نفسه وروحه وماله وعرضه وعقله وفكره وأخلاقه وجسده وأهله سواء في الحاضر وسواء في المستقبل.

ماذا كان يريد الشيخ أن يقول لنا من خلال هذا المبدأ الذي غالباً ما كان يردده في خطبه أو محاضراته وأحاديثه ودروسه، أو خلال اللقاءات الشخصية مع الآخرين سواء كانوا أقارب أو أحباباً أو أصدقاء، مؤكداً للجميع على ضرورة التواضع في المعيشة والاكتفاء بالضروريات في المأكل والملبس والمركوب والأثاث والمسكن وما يرتبط بهذه الأمور من نفقات وحفلات ينبغي جميعها أن تكون ضمن معالم الشريعة السمحة من جانب، وبعيداً عن الإسراف والتبذير من جانب ثان، وعند حدود الضرورات التي يحتاجها الإنسان ولا يمكن أن يستغني عنها.

وهل كان الشيخ يأمر الناس بهذا المبدأ طالباً منهم التواضع في المعيشة والاكتفاء بالضرورات في المأكل والملبس والمركوب والأثاث والمسكن وغيره ناسياً نفسه متناقصاً مع أقواله!

أحمد الله أني رافقت الشيخ دهراً من الزمن مرافقة الأخ مع أخيه في بيت واحد، والابن مع أبيه في منزل واحد وكان مكتبه الذي ضمنا جميعاً سنوات، وغرفته الصغيرة

الخاصة التي كنت أبيت فيها في المسجد، يبيت معي تارة ونلتقي على غداء أو عشاء، أو إفطار ليوم الإثنين والخميس وغير ذلك من أيام الصوم المستحسنة، حيث كنت أرى أن الشيخ علي يعمل على تطبيق هذا المبدأ على نفسه أولاً ثم يدعو إليه غيره الأمر الذي لم ينتبه إليه العديد من المتدينين فسقطوا في مطب الكماليات واللهث على المنتجات الغربية بشكل أضر بسمعتهم وسمعة الدعوة والدين، لأنهم يقولون مالا يفعلون.

كان الشيخ يتواضع فعلاً في طعامه وشرابه، ويدعو الآخرين للمشاركة معه، كما كان يكتفي بالضرورات من كل شيء، فإذا ذهبت إلى بيته أو بيوت زوجاته، رأيت التواضع في الأثاث والمسكن وهو الذي يستطيع بما يملك من مال وبما يملكه أبناؤه من مال وبما يملكه أصهاره من مال أن يأكل أفضل الطعام ويلبس أغلى الألبسة ويستبدل أثاثه كل شهر أو سنة ويسكن أرقى البيوت والشقق، ويركب أفضل السيارات الفخمة وأرقى الموديلات المعاصرة.

انظر إلى سيارته القديمة والتي جعلها سيارة لتوزيع الأطعمة والألبسة، ونقل الآخرين عند مساعدته لهم في تأمين حاجاتهم أو البحث عن فرصة عمل لهم.

ومن تواضعه في معيشته وتفضيله خشونة الحياة على متاعها الزائل وكمالياتها الفارغة التي لا يندهش لها إلا أولو العقل الصغير، ولا ينبهر بها إلا أولو النظر القصير، الباحثون عن زخارف الحياة الدنيا الهاربون من معالي الأمور، أنه كان يمنح لنفسه القليل من وقته وجهده، بينما يمنح الآخرين من الفقراء وذوي الحاجات كثيراً من وقته وجهده.

ومن تواضعه في المعيشة أنه كان يقيم مختلف حفلاته وأفراحه في المسجد مستثمراً الحفل بدعوة الناس وعدد من المشايخ الكرام لإلقاء كلمات في الوعظ والإرشاد، كما كان يطلب توزيع بقايا الطعام وغيره حتى لا تضيع النعم، فضلاً عن تكليفي أنا شخصياً بجمع مختلف أنواع الطعام المتبقية من لحوم وألبان وأرز وفواكه لتوزيعها على المحتاجين، أما ما تبقى من بقايا لا قيمة لها فإنه يطلب مني أن أحمله إلى أية مزرعة

أو أرميها في البر يأكلها طير أو يلتهمها حيوان ذو روح.

٦ - التحزب لأشخاص أو فئات متنازعة يضر بالإسلام ومستقبله

هذا المبدأ كان يشغل عقل الشيخ وذهنه وتفكيره، لأنه كان يدرك من خلال قدراته الذاتية الثاقبة ومواهبه الماهرة وخبرته الطويلة المديدة أن التفرق هو بلاء الأمة، وأن التحزب لأشخاص أو فئات متنازعة هو المصاب قبل كل مصاب، وهو الكارثة قبل كل كارثة !! ومنذ أن بدأت الأمة تتفرق، وتتحزب، بدأ الوهن يضرب قلبها، وبدأ الخلل يكسر جناحيها، وبدأ الضعف يزلزل قدرتها، فطمع بها العدو، وهي التي أفسحت له المجال كي يطمع بها، حيث أنه لا استعمار، حسب رأي المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن بني رحمه الله، والذي أكد أن أحد أمراض العالم الإسلامي بعد غياب الإسلام يتمثل في القابلية للاستعمار، فكأن الأمة إذا تخلت عن دينها، دب الشقاق بينها وساد التفرق والتحزب، وأخذت كل أمة تلعن أختها، وتضع الخنجر في صدر أو ظهر شقيقتها، وعند ذلك يأتي المستعمر على جسر مهيأ وطريق مزين ومرتب، فالقلعة أصبحت مفتوحة الأبواب وما على الأعداء فقط إلا أن يمروا !!

هكذا كان الشيخ علي يرى نتائج التفرق والتحزب في الأمة، فكيف يراها على مستوى الحركة الإسلامية الذي يعتبر هو في الحقيقة أحد مؤسسيها وأحد المربين والمرشدين فيها !

والجواب أنه إذا كان الشيخ يكره التفرق والتحزب داخل الأمة الإسلامية، فإنه من باب أولى أن يكرهه داخل الحركة الإسلامية إلى إحياء الأمة الإسلامية وإنهاضها، والوصول إلى أن تكون أمة الحضارة المعاصرة، والأمة القائدة للعالم في العلم والأخلاق، وفي التحضر والانطلاق، وفي كل ما يفتقر إليه العلم اليوم من إيجابيات ومبادئ جديدة واستراتيجيات راقية بعيدة عن الانحراف والفساد. ولكن للأسف، ،

وبعد مرحلة هادئة وسعيدة عاشتها الحركة الإسلامية المعاصرة في الأربعينات والخمسينات وبداية الستينات إذا بدأ التفرق يدخل جسدها والتحزب للأشخاص أو

الفئات يقتات من لحمها ودمها، وحتى وصل الأمر أحياناً إلى نوع من القطيعة والعداء، والذي يعبر عنه الشاعر العربي بقوله وهو ويوجه نقده للخلافات العربية بعد رحيل الاستعمار قائلاً :

إلام الخلف بينكم إلاما ❖❖❖ وهذي الضجة الكبرى علاما

وفيم يكيد بعضكم لبعض ❖❖❖ وتبدون العداوة والخصاما

لقد كان الشيخ نافذ البصيرة، مستنير الذهن، بعيد التفكير، استراتيجي النظرة، عميق الرؤية، فكان منذ اللحظة الأولى التي وضع قدمه في الحركة الإسلامية والدعوة إلى الله، يحذر التفرق وينفر من الفئوية والتحزب، ويخشى على الصف من التفرق وعلى الجماعة من تمزيق الجماعة، وعلى الحركة من كثرة الجماعات وتعدد المجموعات وكثرة التمذهب والتحزب لفلان وفلان. وفي الحقيقة، وبدلاً من أن تستفيد الحركة من نصائح الشيخ وغيره، وبدلا من أن تتعلم من أخطاء غيرها السابقة من التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر، إذ بالحركة تقع في مطب التفرق والتحزب، حتى سمعنا عن مجموعة تابعة لفلان، ومجموعة تابعة لفلان، وكلا المجموعتين على غير محبة ووئام.

واستمر الأمر حتى كثرت الجماعات وتكاثرت الجيوب والمجموعات بل وصل الأمر أن كل مجموعة مهما كانت صغيرة، أو حتى كل شخص ومعه عدد من الأشخاص، بات يفكر في اتخاذ القرار دون حساب لحركة كبيرة ولقيادة واحدة، فازداد التفرق وزاد الخلاف، وأدى ذلك إلى الوقوع في أخطاء كبيرة تدفع الأمة الإسلامية ثمنها غالياً، في أبنائها وفي ثروتها، ومن جهودها، بل وفي سمعتها، حتى باتت تلتصق بها بعض كلمات مثل التفرق والتمذهب والتحزب والأصولية والعنف والإرهاب، وغير ذلك من مصطلحات كانت الحركة في غنى عنها لو كان هنالك إخلاص لله لدى الجميع، وبالخصوص القيادات على اختلافها، ولو كان هنالك تنازل من كل قيادة للقيادة الأعلى، ولو كان هنالك تقبل للنصح والنقد، ولو كانت هنالك إرادة وهمة وتفكير سليم يؤسس للحركة

مجلساً أعلى يضم أعضاء يمثلون جميع الجماعات والجيوب والمجموعات ويكون هذا المجلس هو اللسان المركزي للحركة الإسلامية كلها في علاقتها الخارجية والإعلامية واتخاذ القرار في القضايا الاستراتيجية، مثلما يكون من مهام هذا المجلس تربية الجماعات على التعاون والمحبة والصبر وعدم الاستعجال، وكراهية التفرق والتحزب والفئوية والمصالح الشخصية، فالمهمة مزدوجة سياسية استراتيجية إعلامية وأخلاقية تربوية توجيهية، لكن واأسفاه فقد خيب التفرق في الحركة ظن الشيخ الذي كان يريد لها أن لا تقع في المستنقع الآسن، وعلى الرغم من أن الشيخ انتمى إلى تنظيم معين من الحركة الإسلامية حيث كان لهذا التنظيم وجود في الساحة المحلية العربية والإسلامية والعالمية، وسار في ركابه ودعا إلى الله تحت إشرافه، إلا أنه عندما رأى تسرب التحزب والفئوية والتفرق والنفور والتمذهب والعلاقات الشخصية حاول الإصلاح لكن غلبته الموجة السالبة، فاتخذ طريقاً وسطاً رائعاً... انسحب بهدوء، انسحاباً عملياً وليس رسمياً، وصار داعية في كل الجماعات لا يشعر بأي نفور لأية جماعة، فمادامت كل جماعة تدعو إلى الله على طريقتها فإنه بات ينتمي إليها ويزورها ويحضر دروسها، دون أن يشعر بأنه ينبغي أن يعاديها لأن جماعته الأصلية تعاديها، وبمعنى آخر تخلى الشيخ عن الصداقة البدائية في الصراع والاقتتال، وآمن بأن كل الجماعات هي جماعته بعيداً عن التراشق والتشهير، وعن الإهانة للآخرين والتحقير ولهذا إذا سألت الشيخ هل أنت إخوانياً دمشقياً أم إخوانياً حلبياً أم اخوانياً محلياً أو إخوانياً دولياً، وهل أنت من جماعة التبليغ أم من جماعة التحرير أم من جماعة السلف أم من جماعة الصوفية المعتدلة أم غير ذلك من الجماعات أجابك أنا مع الجميع مادام الجميع يدعون إلى الله، ولا يمنعون أحداً من الدعوة إلى الله، فإذا قلت له وما رأيك في هذا التفرق والتحزب والفئوية والتمذهب فهذه جماعة فلان داخل الجماعة وهذه جماعة فلان أيضاً داخل الجماعة نفسها، أجاب أصلح الله الأمر، ووفق الجميع لما يحبه ويرضاه، إن الله لا يرضي لنا التفرق والتمزق، وإن على القيادة التي تجد نفسها في معركة

التفرق والتمزق أن تنسحب وتترك المجال لغيرها، لأن الله لن يبارك عملاً يقوم على التنافر، فنحن خير أمة أخرجت للناس، معيارنا : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وما التفرق والتحزب والفئوية والتمذهب لفلان وفلان إلا نوع من المنكر نرجو الله أن يهدي الجميع لرؤيته وإزالته قبل فوات الأوان!!

٧ - التحذير من استيراد المنتجات الأجنبية على حساب المنتجات العربية الإسلامية

هذا مبدأ عظيم قلما ينتبه إليه أحد وبالخصوص في غمرة الهجوم على المنتجات العربية، واللهث على البضائع الأجنبية، والجري على تقليد أبناء البلدان الغربية المتعددة المتقدمة خلال شراء صناعاتها والتباهي بتكديسها واقتنائها حتى يشعر الإنسان لدينا أنه متقدم ومتطور ومتحضر، وساء ذلك شعوراً، وساء ذلك تفكيراً.

إن أكبر عامل هادم لاقتصاد أمتنا العربية والإسلامية يكمن في القضية استيراد المنتجات الأجنبية واللهث على استهلاكها على حساب المنتجات العربية الإسلامية، التي بدأ الناس منذ زمن بعيد يعزفون عن شرائها، ويزهدون في اقتنائها، بل ويشعرون بالاحتقار والازدراء عند شرائها واستهلاكها وكأنها شيء مقزز للنفس... وهذا المرض الذي استعصى الآن وبات مستشرياً في الأمة من أكبرها إلى أصغرها ومن أعلاها إلى أدناها ومن أفقرها إلى أغناها، قد بدأ بسيطاً ثم أخذ ينمو ويكبر بالتدريج حتى عم العباد والبلاد !!

وفي هذا المناخ القائم على الافتتان بالصناعة الغربية وازدراء الصناعة المحلية، قلما وقف أحد ضد هذا الهجوم الاقتصادي الخطير، باستثناء عدد من أهل الدين والفكر والعقل الناضج، الذين أحسوا بخطر إهمال الصناعات العربية، حيث ستتولد عن تلك المعادلة خسائر هائلة للاقتصاد العربي والإسلامي، الذي هو في الأصل اقتصاد هزيل وضعيف. إن الشيخ قد أحس بذلك ببصيرته قبل بصره نافذاً برؤية في عمق الواقع مستشرفاً آفاق المستقبل، من خلال منظور استراتيجي شامل يرى التاريخ بماضيه وتجاربه، والواقع بأحواله وأوضاعه ومعطياته، والمستقبل بتداعياته واحتمالاته،

فعلم علم اليقين أن من أهم أسباب تراجع الأمة وضعفها وتضعضع الاقتصاد العربي والإسلامي وكذلك الاقتصاد الوطني والمحلي وسوء أدائه، وما يرتبط به من ديون دولية متراكمة تزيد على آلاف المليارات، وخلل واضح في ميزان المدفوعات، وتضخم كبير للنقود المحلية والأوضاع المالية، وتراجع شديد في أسعار المواد الخام، وتبعيته مستمرة للاقتصاد الأوروبي والأمريكي وغير ذلك من مؤشرات سلبية واضحة، يتمثل في إغفال استهلاك المنتجات العربية والإسلامية والوطنية، وتزايد اللهث على استيراد واستهلاك الصناعات الغربية، كان يرحمة الله يبدأ بنفسه فيفضل شراء الصناعة الوطنية والعربية والإسلامية على شراء الصناعة الغربية باستثناء حالات الضرورة القصوى.

وكان - رحمه الله - مثلما يأمر نفسه يعمل على تذكير غيره بهذا المبدأ مؤكداً على خطورته منذ أكثر من ثلاثين عاماً محذراً من انتشاره واستعصائه وها هو قد انتشر واستعصى. كان - يرحمه الله - يريد الخير لنا ولأوطاننا حتى لا يدخلنا الشر من أي باب، فلم نستمع له، فجاءنا الشر من كل باب..

٨ - إياكم من السهر ونوم العصر فإنهما مجلبة للضعف والفقر

كم كان الشيخ علي يفكر بالأمة ويحمل همومها وهموم أبنائها من الشباب والأطفال ومن الصغار والكبار ومن الحاكمين والمحكومين وغيرهم من شرائح المجتمع.؟!

حتى السهر يا شيخ علي تحاول أن تُحذر الناس منه وبالخصوص شباب الأمة وفتياتها، رجالها ونسائها، فلماذا؟

لقد كان الشيخ علي مدركاً ببصيرته، وقبل ذلك بتجربته وخبرته وما يراه وما يسمعه، مدركاً خطورة السهر الذي حذر منه الإسلام وأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الناس إلى تركه مؤكداً للناس أهمية الإبكار والبكور لقوله صلى الله عليه وسلم فيما معناه: (بورك لأمتي في بكورها)[1] أي تنام باكراً وتنهض باكراً.

هذا المبدأ الذي يركز على خطورة السهر، ومثله خطورة النوم بعد العصر، هو مبدأ حمله الشيخ علي معه دائماً، بدأ بنفسه وبمن تحت إشرافه، ثم نصح به الناس مهما

(١) حديث صحيح في صحيح الجامع الصغير للألباني رواه الطبراني في الأوسط

كانوا، وبالخصوص شريحة الشباب خشية ضياع قوامهم وطاقتهم في السهر حيث الكلام الفارغ وحيث اللهو واللعب وحيث الشيطان يزخرف للناس محبة السهر، ويبغض لهم الإبكار والنوم الباكر.

وهكذا تمر السنوات، و يظهر علينا شيطان الإعلام ويظهر المذياع والتلفزيون، ثم المحطات الفضائية، حتى يحول الليل إلى نهار ويتحول النهار إلى ليل، ويسهر الشباب حتى مطلع الفجر، فإذا قال المؤذن الله أكبر، حي علي الصلاة، ذهبوا إلى فراشهم ليبدأوا نومهم مع طلوع الفجر وشروق الشمس!!!

كم من تلميذ ضيَّع واجباته، وكم من طالب جامعة أضاع أبحاثه وامتحاناته، وكم من موظف غاب عن وظيفته تحت شعار مريض أو مستمرض أو إجازة طارئة أو غير ذلك مما يؤثر على مستواه الوظيفي، ويضيع أعمال الناس التي تنتظره بفارغ الصبر كي ينجز لها ملفاتها.

نعم كم من فتاه أضاعت أعمالها من أجل سهرة فارغة وكلام يضر ولا ينفع، وساعات لهو تقضيها في ظل الشيطان وبإشرافه اللعين من بداية الليل إلى نهايته!

وعندما فرض الله بعض وقت من قيام الليل ضج بعض الناس وقالوا : هل يتدخل الدين حتى في وقت نومنا وراحتنا، لكن اليوم يسهر الناس الليل، فلا نسمع لهؤلاء معارضة لذلك السهر... إن السهر قاتل للجسم، قاتل للصحة، قاتل للإنسان معنوياً ونفسياً ومادياً وجسمياً وعقلياً، فالإنسان مبني على أن ينام الليل وينهض في النهار، وهذه حكمة الله في خلق الإنسان على طبيعة معروفة، جاعلاً له الليل للراحة، والنهار للعمل والقيام بالوظائف والأشغال كي تستقيم الحياة.

فالكون كله قائم على هذا التوجه باستثناء حالات معينة جعلها الله نموذجاً للإنسان كي يعتبر مثل الوحوش تسهر في الليل للقنص والقتل، وتنام في النهار وكأن الله يريد أن يقول لنا لا تسهروا حتى لا تصبحوا كالوحوش تصحون ليلاً وتنامون نهاراً...

شكراً للشيخ الذي كان يذكرنا دائماً بخطورة السهر، وها هي الأمة العربية اليوم

يسهر أبناؤها حتى الفجر وينامون حتى الضحى، فينقص إنتاجهم ويضعف أداؤهم، حتى إن إحصائية منظمة العمل الدولية تشير إلى أن إنتاج الموظف في العالم العربي لا تتجاوز ٣٥ دقيقة من أصل سبع ساعات عمل بينما إنتاج الموظف في ألمانيا ست ساعات ونصف من أصل سبع ساعات.

يرحم الله الشيخ كان يريدنا أمة متقدمة فعلاً فرفضنا رغبته وأصررنا على أن تكون آخر الأمم.

٩) علموا أطفالكم احترام الكبير وحفظ القرآن والحديث والبعد عن الدلال والتدليل

هذا هو المبدأ التاسع. مبدأ عظيم لا يقل عظمة عن بقية المبادئ التي آمن بها الشيخ ونادى بها وطبقها وعمل على متابعتها!!

يرحمك الله يا شيخ !! كيف كنت رائعاً في نظرياتك، وفي آرائك وتطبيقاتك، وفي أفعالك وتصرفاتك !!

رحمك الله يا شيخ !! وقد كنت للجميع الأب العاطف والطبيب الناجح، مثلما كنت لهم الشقيق الرحيم، والأم الحنون والصديق الصالح.

كان الشيخ يدرك من خلال هذا المبدأ أهمية الطفولة وخطورة إطلاق العنان لها بلا رقيب ولا حسيب، وكان يعلم علم اليقين أن رجال المستقبل هم أطفال اليوم وإن رجال اليوم هم أطفال الأمس، فإذا أحسنا التعامل مع الأطفال وعرفنا كيف نستثمر الطفولة في واقع الحال، حققنا آمالنا وآمال الأجيال.. أما إذا أهملناها، وأغفلنا دورنا معها وأغفلناها، فالنتيجة هي أن تدفع الأمة بسبب ذلك أثمانها، وسوف يبلغنا التاريخ بأخبار ذلك الخمول وأخبارها!!

كان الشيخ يركز على هذا المبدأ من خلال خطب الجمعة أو أثناء الدروس الإضافية في المسجد، أو عند حدوث اجتماع أو لقاء، أو حينما يزوره الأصدقاء والأصحاب وذوي الحاجات في مكتبه في المسجد.

وإذا رأى طفلاً مع أبيه سرعان ما يقدم له الهدايا والحلوى المتواجدة دائماً في غرفته

من أجل هذه المناسبات ليضفي على ضيوفه نوعاً من الاهتمام والعناية، وعلى الأطفال نوعاً من السرور والرعاية، ثم يسأل الطفل عن اسمه وعما يحفظ من القرآن والسنة. وغير ذلك من الأسئلة بحيث يتناسب كل سؤال مع عمر الطفل، ثم يؤكد للحاضرين أهمية أن يتعلم الطفل أخلاق الرجال، وأن يتعود احترام الكبار وتقديرهم بشكل مستمر!! وأن يبدأ والدهم بتحفيظهم القرآن والحديث، وأن يسهروا على ترتيبهم لأنهم رجال المستقبل، أما تركهم لأباء مهملين وأمهات غافلات فينشأوا نشأة رخوة تفتقر للرجولة فيضيعون إذا كبروا، وهم أمانة الله بين أيدي الوالدين والمجتمع !!

إن احترام الكبير سلوك لا تعرفه إلا الأمم النبيلة، والشعوب العريقة، فقد كان العرب سباقين إلى هذا السلوك المهذب، والفعل الكريم، فلا يعرف قدر الكبير إلا أهل المروءة و أصحاب الشهامة، ولذلك عندما جاء الإسلام أقر للعرب هذا السلوك، واعتبره واجباً وفرضاً، إذ ليس منا من لم يحترم كبيرنا ويعطف على صغيرنا حسب ما جاء في الأثر..!

لهذا كان الشيخ علي يركز على هذا السلوك ويطلب من الآخرين أن يعلموا أبناءهم احترام الكبير وتقديره، مهما كان الفرق الزمني بين شخص وآخر، وبالخصوص بين الصغار وكبار السن، وبين الشباب وأهل الحكمة من ذوي الأعمار الكبيرة حيث يزداد الاحترام لهم والتقدير لما يمتلكونه من خبرة وحكمة مما ينبغي للصغار أن يتعودوا على احترام الأكبر منهم سناً، فلا يلعب أو يلهو أو يقهقه أو يلغو أمام الكبار، ولا يتصرف تصرفاً منبوذاً أو غريباً في حضورهم خاصة، وإذا حدث أن قام الكبير بمعاقبة الأصغر أو إهانته أو ضربه فعلى الأصغر أن يتحمل ويصبر ويحل المشكلات بالكلمة الطيبة والحكمة لأنه ليس من الأخلاق أن ترد الكيل بالكيل للكبير، بل أن تُبدي له الاحترام والتقدير فيعود عند ذلك إلى رشده فيعتذر، وهذا مؤشر على أصالتك وحسن تقديرك للأمور.

كان الشيخ يريد منا أن نكون أمة عاقلة تحترم قيمها وتعلي من شمائلها، أمة تهابها الأمم

لأخلاقها وشيمها لا لشيء آخر، أمة يتعلم أبناؤها الفروسية وركوب الخيل والسباحة مثلما يتعلمون الصلاة و الصيام وغير ذلك من أحكام الإسلام مثلما يتعلمون احترام الكبير والعطف على الصغير وحفظ القرآن الكريم والثبات على أخلاق الدين.

١٠) ضع ساعتك بيدك اليمنى وابدأ أي عمل باليمين مقتدياً بالسنة

كان الشيخ يحب التيامن، ويفتتن بالتيامن وضرورة القيام بأي عمل باليد اليمنى حسب ما يطلبه الشرع الحكيم، وما تؤكد عليه السنة الشريفة، على اعتبار أن التيامن شعيرة من شعائر الدين تميز المسلم عن غيره من الناس، واليمين وأصحاب اليمين، مصطلح من القرآن كريم يؤكد الله فيه على أن الناس يوم القيامة أنواع، النوع الأول هم أصحاب اليمين الذين يعبدون الله حق العبادة، والذين يدخلون الجنة ويخلدون فيها أبداً حيث ليس هنالك وقت محدد لبقائهم فيها لأنه لازمن في الجنة، بل عمر دائم إلى ما شاء الله.

وكان الشيخ علي يتألم عندما يرى المسلمين عامة، بل وبعض المتدينين والمتعبدين لا يدركون هذا المعنى العظيم في كلمة اليمين، متأثرين بالأجانب، مقلدين للغربيين دون سبب فيضعون ساعة اليد في اليد اليسرى، وغير ذلك مما يتعارض مع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام الذي أكد على ضرورة أن يستخدم المسلم يده اليمنى في كل عمل خير، وأن يهتم بالجانب الأيمن وأن يبدأ الدخول بالأيمن فالأيمن وهكذا..

ولهذا لم يكن الشيخ يترك أحداً من أحبائه أو إخوانه أو تلامذته لا يستخدم التيامن إلا قام بتذكيره بذلك، وحتى ساعة اليد كان يضعها في اليد اليمنى، وكان يطلب من الجميع أن يضعوا ساعاتهم في أيديهم اليمنى لأن التيامن خير وبركة ولأنه بذلك يخالف اليهود ومن على شاكلتهم.

كان الشيخ دقيقاً في تطبيق السنة مؤكداً على أهميتها، مقتدياً و متأسياً بأفضل الرسل محمد عليه الصلاة والسلام.

١١) الإنسان مساحة من الخير ليس إلا

كان الشيخ يقيس الدعاة بميزان الخير، ويقيس المتدينين بمقياس الخير، فالمعيار الأساسي للإنسان ليس ماله ولا منصبه ولا عقيدته ولا مظهره ولا غير ذلك من زخارف الحياة الدنيا، إنما المعيار في مدى قيامه بالخير وممارسة الخير. فالإنسان في رأيه هو مساحة من الخير، كلما ازدادت هذه المساحة زاد الإنسان رفعة ومكانة، وظهرت إنسانيته الحقيقية التي هي أقرب للروحانية والملائكية. أما إذا نقصت مساحة الخير فإن مكانة الإنسان تنقص و تهبط حتى يتحول إلى إنسان أناني وشخصية غير طبيعية لا يعرف في الحياة إلا نفسه ولا يفكر إلا بمصلحته فهو بذلك أقرب للحيوان منه للإنسان، ويا ويل مجتمع تكثر فيه هذه النوعيات من الناس من أهل الأنانية والمصالح الشخصية.

وكلمة الخير لدى الشيخ هي مجمع فضائل ومجموعة قيم ومنظومة شمائل وملتقى شيم... وبمعنى آخر أن الخير منبع للمروءة والشهامة والغيرة والرجولة والكرم والجود، والعطاء والمنح، وبالتالي هي مصدر من مصادر التقوى، فالتقي رجلُ خير وكريم وشهم وجواد وصاحب مروءة.!!

وإذا كان الشيخ يدعو الناس لأن يكونوا خيرين بالمفهوم الذي يراه للعمل الخيري، والمعيار الذي يقيس فيه الناس في مسيرة الحياة، فإن أول شخص يدعوه إلى الالتزام بذلك الفهم وذاك المنهج هو نفسه.! وهو ذاته ليدربها أن تكون سباقة في فعل الخير، وأن يكون قوله و فعله متساويين، بل إن فعله ليسبق قوله.

بهذا الفهم بنى الشيخ فكره، وبهذا الالتزام والممارسة بنى شخصيته فكان خيراً بكل شيء وكان في كل يوم يزداد خيراً وتزداد مساحة الخير حتى أنه بالكاد يترك لنفسه و أهله شيء من وقته وجهده وماله.

نخلص من ذلك أنه عندما أحاول استرجاع ذكرياتي عن الشيخ علي القطان، أجد نفسي أمام رجل عصامي وداعية كبير وعالم في العلم والعمل، وصاحب مبادئ ونظريات،

وبالخصوص في مرحلة العطاء القصوى التي وصل إليها خلال هجرته إلى الكويت وخاصة بعد المرحلة التي زادت فيها خبرته، ونمت فيها ثقافته، ورافق شخصيات محترمة دينية واجتماعية في مختلف فصائل العمل الإسلامي، وخضع بإرادته إلى العديد من الدروس الفقهية، ولازم الحضور إلى الكثير من المؤتمرات والندوات العلمية، وانتقل إلى الخطابة والإمامة في مسجد اللهيب في ميدان حولي، فكانت تلك الفترة التي رافقته فيها من عام ١٩٨٤ حتى وفاته ٢٠٠٣/١/١١م (أي على مدى عشرين عاماً)، وأخص منها فترة ما قبل الغزو وما بعد التحرير والتي استضافني خلالها في غرفته في مسجد اللهيب مما جعلني أراه عن كثب، وأراقب جميع حركاته وتصرفاته تقريباً، فأحسست فعلاً، وبعد تجميع آلاف الملاحظات في ذهني وعقلي، أن الشيخ هو فعلاً عالم وعامل ومفكر، بل هو علامة، لكنه العالم المجهول، والقائد الذي يعمل كالجندي دون أضواء وبعيداً عن الإعلام والإعلان، وكنت أفرك عيني مراراً وأقول هل أنا مع الشيخ، هل أنا أنام وأصحو في مكتبه وغرفته، هل أنا مع المبادئ و الأفكار، ومع العلوم والمعارف و الأذكار، ومع الأقوال والأعمال والأفعال، هل أنا مع الرجل العمل، الرجل الفكر، الرجل المبدأ، الرجل الرمز، وها أنا اليوم أتذكر تلك المواقف والمبادئ التي كان يطبقها ويوصي الناس بها. مبادئ عالية، يحملها إلى الناس، لكنه يطبقها قبل أن يحملها ويرشد الناس إليها في كل وقت وفي كل زمان ومكان.

تلك مبادئ عامة وشاملة جمعت الدين وأخضعت له الدنيا، وكان الشيخ علي حاميها وكنت أنا العبد الفقير لله، شاهداً عليها وهو ينتقل بها من مكان إلى آخر ويدعو الناس إليها من مكان لآخر بقلبه الرحيم وموعظته الحسنة وكلمته الطيبة وحكمته التي استمدها من كتاب الله الكريم ومن سنة نبيه المبعوث رحمة للعالمين، وهذا يعني أن منهج الشيخ في الدعوة إلى الله لم يقف عند خدمة الناس والعمل على حل مشكلاتهم، والمساهمة العملية والجادة والشاملة في قضاء حوائجهم أفراداً وأسر، على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم، بل تعدى الأمر إلى مواقع أخرى عديدة من الحياة بحيث يمكن

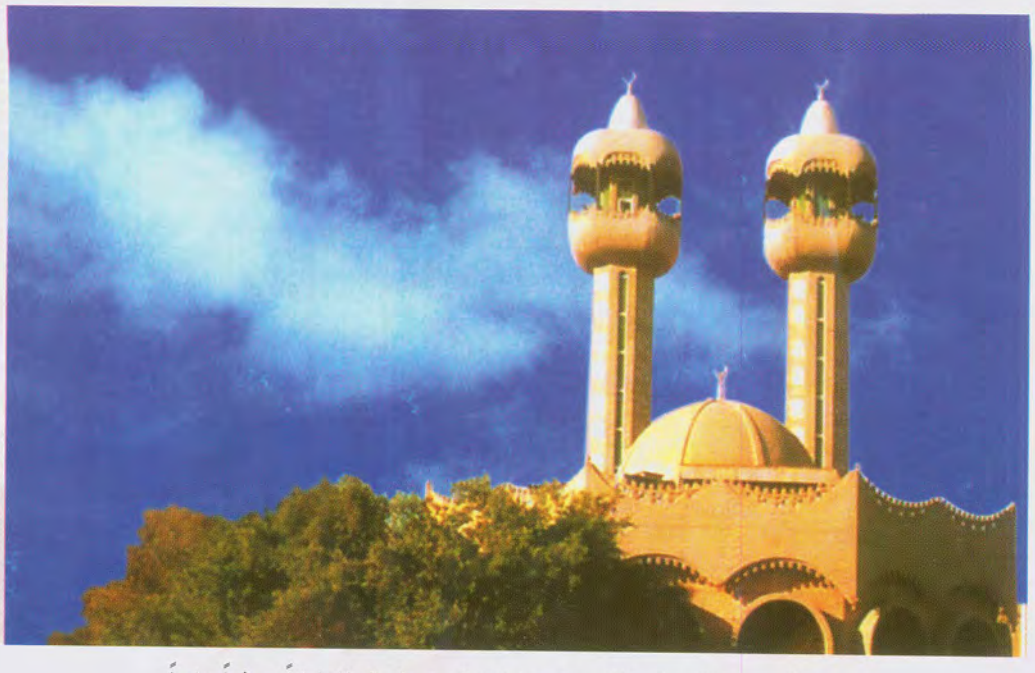

مسجد اللهيب بميدان حولي «الكويت» حيث كان الشيخ علي القطان إماماً وخطيباً وداعياً

وصف هذا المنهج بأنه منهج شامل بالدعوة إلى الله، وهذه الشمولية في الدعوة ليست أمراً بسيطاً، ولا عملاً سهلاً بل إنها تتطلب جهوداً كبيرة، وتضحيات لا يقدر عليها إلا أولو العزم من الرجال، ولا يستطيع الاستمرار فيها إلا أهل الشهامة وأصحاب المروءة و ذوو الهمة، وهذه سمات يعجز عن حملها الكثير من الناس.!!

هذه هي المبادئ التي كان الشيخ علي القطان يدعو إليها ويؤكد عليها مع كل إنسان وفي مواجهة أي شخص مهما كان، وهذه هي المقولات التي كان يصيغ فيها هذه المبادئ كي يسهل فهمها ويستسهل الناس إدراكها و تطبيقها، وهذه هي الأفكار الرائعة التي توجه الإنسان نحو معالي الأمور والتي كان يصر على البوح بها عند وقوع الخطأ أو حدوث النسيان !!

الفصل الرابع

مدرسة الشيخ على القطان في مهارات الحياة والتنمية البشرية

مهارات الحياة

أولاً: مفهوم التنمية البشرية وهندسة الحياة لدى الشيخ على القطان

ثانياً: نماذج من مهارات التنمية البشرية التي برع فيها الشيخ على القطان

١- الشيخ على القطان ومهارة إدارة الوقت.

٢- الشيخ على القطان ومهارة التعامل مع الجمهور.

٣- الشيخ على القطان ومهارة إدارة الذات.

٤- الشيخ على القطان ومهارة الثقة بالنفس.

٥- الشيخ على القطان ومهارة العلاقات العامة.

٦- الشيخ على القطان ومهارة إدارة المكان.

٧- الشيخ على القطان ومهارة التحكيم الودي في المنازعات وحل المشكلات.

مدخل:

في هذا الفصل سوف يطلع القارئ على موضوعات معاصرة مهمة يمكن لو أحسن تطبيقها أن ترجع عليه وعلى أبنائه وأهله وزملائه وأصدقائه وتلامذته بالنفع العميم، إنها موضوعات ترتبط بالتنمية البشرية وتفعيل وتنمية القدرات الذاتية والمواهب والمهارات التي يحتاجها الإنسان في واقع الحياة خلال علاقاته اليومية الضرورية.

يتضمن هذا الفصل مجالين أساسين، أولهما أن الشيخ على القطان مهندس حياة وصانع أفكار بالفعل لأن تقواه لله ومحبته لله هيأت له أساس هذه الصناعة وصدق الله في قوله ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (البقرة / الآية: ٢٨٢).

أما المجال الأساسي الثاني فيتمثل في موضوع يضم عددا من المهارات التي كان الشيخ على القطان يركز عليها دون أن يدري إنها من صميم علم التنمية البشرية المعاصر شكلاً والقديم جوهراً ومن هذه المهارات مهارة إدارة الوقت ومهارة التعامل مع الجمهور ومهارة إدارة الذات ومهارة الثقة بالنفس ومهارة العلاقات العامة ومهارة إدارة المكان ومهارة التحكيم الودي وحل المشكلات وهكذا تبدو واضحة شخصية الشيخ على القطان الإنسان والمدرب المعلم والمربي الماهر العالم والعامل بما يعلم، المحفز والمشجع الذي ربى أجيالاً على العفة والأخلاق ومحبة الخير والعمل الصالح.

أولاً: مفهوم التنمية البشرية وهندسة الحياة والأفكار لدى الشيخ علي القطان:

ابتداءً إذا طرحنا على أنفسنا السؤال التالي بماذا تتميز شخصية الشيخ على القطان؟ وما أهم الركائز التي تتسم بها تلك الشخصية منذ أن تفتح وعيه على الحياة إلى أن غادرها في ٢٠٠٣/١/١١م على امتداد عمر كريم تجاوز الثمانين عاماً ؟

والجواب أن من أهم الركائز شخصيته الفذة، إلى جانب صفاء عقيدته ونقاء سلوكه وعلو همته وصبره على خدمة الناس إدراكه لمهارات الحياة وهندسة الأفكار، وممارسته لتنمية قدراته الذاتية ومهاراته العملية في إدارة ذاته و إدارة الآخرين وفنون التعامل والاتصال واتخاذ القرار وحل المشكلات وغير ذلك من مفردات علم التنمية البشرية.

وعلى الرغم من أن الاهتمام بعلوم التنمية البشرية المتمثلة في التدريب على تنمية القدرات الذاتية وتفعيل المهارات العلمية والعملية والتي غالباً ما يطلق عليها مصطلح البرمجة العصبية أو مهارات الحياة أو هندسة الأفكار أو غير ذلك من التسميات قد جاء متأخراً في عالمنا العربي والإسلامي حيث لم تنتشر هذه العلوم المرتبطة بالتنمية البشرية إلا في التسعينات على مستوى دولة الكويت فإن الشيخ علي القطان كان قد مارس هذه العلوم قبل وجودها وعايشها قبل وصولها بل كأنه بذلك قد شارك في تأسيسها وفي انتشارها !!

ترى كيف استطاع الشيخ علي أن يمارس ويطبق هذه العلوم التي أصبحت من أهم علوم التدريب في المؤسسات الحكومية والأهلية على المستوى المحلي والدولي وأصبح لها رجالها في الكويت مثل د.صلاح الراشد، د.طارق سويدان، د.جاسم العمر، د.نجيب الرفاعي، د.خالد القصار، د.محمد الكندري، د.محمد القلاف، د.الشطي، والبارون والأيوب والخليفي وغيرهم كثيرون.

وكيف استطاع أن يحيي هذه العلوم في شخصه وفي أحبائه مجاناً، على الرغم من أن غيره قد استثمر هذه العلوم تجارياً وحقق أرباحاً هائلة بينما كانت تجارة الشيخ

علي مع الله، وهذه فعلاً التجارة الرابحة !.

من المؤكد أن الشيخ لم يؤلف كتاباً في علوم التنمية البشرية والبرمجة العصبية، ولم يكتب بحثاً في تنمية القدرات الذاتية ولم يلق محاضرة في تفعيل المهارات العلمية والعملية، ولم يشارك في ندوة بورقة عمل يدور موضوعها حول صقل المواهب المرتبطة بمهارات الحياة مثل مهارة التعامل مع الناس ومهارة اتخاذ القرار ومهارة إدارة الوقت ومهارة إدارة الذات ومهارة إدارة المستقبل..... وغير ذلك.

لكن الشيخ علي عايش هذه المهارات كلها وطبقها ودرسها بطريقة غير مباشرة، دون أن يكون صاحب مؤسسة تنموية أو أستاذ في جامعة عربية أو أجنبية حيث أن فهمه للإسلام وهو خير جامعة وأفضل مدرسة لتخريج مهندسي الحياة وأساتذة التنمية البشرية وخبراء المهارات والقدرات كان هو المفتاح

هذا الفهم الصحيح للإسلام وإدراك مضامينه بالشكل السليم، والعمل على تطبيق قواعده وأحكامه وأخلاقه وفق ما طبقه الرسول الكريم ﷺ وصحابته الميامين وخلفاؤه الراشدون هو الذي يمنح الإنسان عامة والداعية خاصة الشخصية القوية عقلاً وذهناً، المتميزة علماً وفكراً، القادرة بإذن الله على الابتكار وتوليد الأفكار، وإبداع الحلول الجديدة والمعاني الفريدة، وإذا بإيمانها بالله وحسن تطبيقها لشريعته تبتكر أفكاراً يسمونها اليوم علم التنمية البشرية، ويدعون أنهم مؤسسوها وما هم بمؤسسيها !!.

لقد قرأت كتباً عديدة في التنمية البشرية، وفي تفعيل مهارات الحياة، ولم أجد فيها ما يزيد عما كان يفعله ويقوله ويوحي به الشيخ، رغم أن هذه الكتب تدعي أن مبيعاتها تجاوزت المليون نسخة، ورغم أن بعض هذه الكتب ذات المبيعات العالية تمتلئ حشواً وتبني على واقعة أو واقعتين مئات الصفحات !!

ترى لو قام الشيخ بتأليف كتاب واحد بأسلوبه المختصر وأفكاره الواضحة وسلوكه ومشاهداته، فكم ستكون مبيعاته ؟ كم ستكون موارده وأرباحه ؟

فالشيخ في مجال التنمية البشرية انتقل فعلاً من مرحلة المدرب التاجر وهذا ما

ينطبق على معظم المدربين حيث التجارة والربح هو الهدف الأول، ليرتقي فعلاً إلى مرحلة المدرب الإنسان، وهذا ما ينطبق على القلة القليلة جداً من المشتغلين بالتدريب، يعتبر الشيخ علي القطان عميدهم وشيخهم وأستاذهم.

ثانياً: مهارات التنمية البشرية التي برع فيها الشيخ علي القطان

١) الشيخ علي القطان ومهارة إدارة الوقت :

أعتقد جازماً بأنه ليس هناك من شخص أحسن إدارة وقته بل أتقنها وتميز فيها في تاريخنا المعاصر مثل الشيخ وثلة قليلة من أمثاله وأقرانه وأساتذته وتلامذته. ترى كيف استطاع أن يتميز في مهارة إدارة الوقت، ويتفنن في تطبيقها، وهو في الوقت نفسه يعمل إماماً وخطيباً في مساجد وزارة الأوقاف بدولة الكويت، ولم يدخل سوق تجارة

التدريب مدرباً أو أستاذاً في مهارة إدارة الوقت في برامج تدريبية ومواسم ثقافية !

إن تميز الشيخ علي القطان في مهارة إدارة الوقت لم يكن تميزاً نظرياً بل انتقل بالنظرية إلى التطبيق وإذا به الأستاذ المتميز والتلميذ الماهر يجمع بين القول وبين العمل وإذا أجاد بالقول أجاد قلبه بالعمل وإذا أجاد بالعمل أجاد قلبه بالقول فكأن القول والعمل في منهجه قد استويا... وفي سلوكه وأخلاقه وأفكاره قد التقيا.

لم يتصنع الشيخ علي في إدارة الوقت ولم يدخل مجال الشرف الفكري إنما صارت مهارة إدارة الوقت جزءاً من حياته وشخصيته وسلوكه وطريقته فهو لا يعرف حركة ولا يؤدي تصرفاً إلا وكان وفق خطة مرسومة وهدف مطلوب.

هاتان هما ركيزتا إدارة الوقت: الهدف والغاية، ثم المنهج والخطة، يضاف إليها ما كان يؤكد عليه الشيخ على القطان وفق المبدأ القائل (لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد). فهكذا كان ينفذ جميع أعماله ومهامه في وقتها المحدد وفق تلك الخطة ولأجل ذلك الهدف !!

وتبدو مهارة إدارة الوقت عنده حيث كان يستثمر الوقت كله في المهام كلها فلا فراغ (فائضاً من الوقت) لديه أبداً بل إن الفائض لديه هو الأعمال والمهام بعد أن يملأ كل وقته في إنجازها فهو يبدأ يومه منذ قيام الليل حيث الناس تنام وهو طبعاً لا ينام إلا قليلاً فيصلي ركعات لله، ثم يدعو لوالديه وإخوانه في الله ومحبيه ومعلميه، وانتهاءً بكل مسلم في العالم، بل إنه لا ينسى أن يدعو لغير المسلمين بالهداية تطبيقاً لسنة رسول الله (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) حديث ونزولاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (الأنبياء/ الآية: ١٠٧).

فإذا انتهى وقت القيام وصلى ودعا وقرأ وسبح وفكر واعتبر جاء وقت ركعتي السُّنّة قبل الفجر ثم ينطلق إلى حرم المسجد فيؤدي صلاة تحية المسجد ثم يدخل مقصورته ليصلي ويسبح إلى أن تحين صلاة الجماعة فإذا انقضت، دعا وسبح بعدها ثم بدأ درس الفجر حتى ما بعد الشروق، ثم ذهب إلى مقصورته ليأخذ غفوة ثم يبدأ بتطبيق

خطته في خدمة الناس، فيستقبل فلاناً ويرسل فلاناً ويكتب تزكية لفلان، ثم يصلي الضحى ثم يرجع إلى خدمة الناس فإما أن يبقى في مقصورته يخدم الناس أو يضطر للخروج مع بعض المحتاجين لقضاء شؤونهم في الإدارات الحكومية أو المؤسسات الأهلية وهكذا إلى حين صلاة الظهر، حيث يصلي ما شاء الله ثم يدعو ويسبح ثم يصلي صلاة الجماعة، ثم يرجع إلى مقصورته ليقرأ أو يخدم الناس حتى الواحدة حيث يذهب إلى بيته ليتناول غداءه ثم ليأخذ شيئاً من القيلولة حيث كان يحثنا على القيلولة نزولاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قيلوا فإن الشياطين لا تقيل) (رواه البزار عن أنس).

وعندما ينهض للعصر ينهض بهمة ونشاط منطلقا إلى المسجد حيث يصلي ما شاء الله، ثم يؤدي صلاة الجماعة ثم يبدأ الشيخ في الدعاء ثم يبدأ درس العصر، ثم ينتهي الدرس ليبدأ بمراجعة القرآن الكريم، هو ومن معه، ثم لينطلق لقضاء حوائج الناس في مقصورته، أو ليقرأ الكتب والمراجع لتنمية معلوماته، لحين وقت المغرب، فإذا به يصلي ما شاء الله، ثم يؤدي صلاة الجماعة وينتهي بالتسبيح والدعاء، ثم يلقي درساً ثم يصلي ما شاء الله ثم يذهب إلى مقصورته أو ينطلق لحضور الدروس والندوات أو زيارة الفقراء أو الأقارب، أو المرضى وغير ذلك إلى أن يحين موعد النوم وهو لا يسهر مطلقا إلا لضرورة يقضي فيها حاجة إنسان أو إكرام ضيف ثم يذهب إلى سريره كالاً من عمله، لم يهدأ طوال نهاره فهو في عمله من صباحه إلى مسائه.

يرحمه الله كان وقته يحسب بالثواني لا يضيع منه شيء والناس اليوم تحسب وقتها بالساعات بل بالأيام والأسابيع والشهور فتضيع الأعمال وتمر الأيام والأسابيع والشهور.

٢) الشيخ علي القطان ومهارة التعامل مع الجمهور

مهارة التعامل مع الجمهور من أصعب المهارات وأعقدها لأن الشخص الذي يتعامل مع الجمهور إنما يتعامل مع قطاع عريض من الناس تختلف مشاربهم وتتعدد نوعياتهم وتتناقض اتجاهاتهم ومذاهبهم وتتعارض أراؤهم وأفكارهم مما يصعب معه التوفيق

بينهم من جانب وفهم ما يريدون وما يقصدون من جانب آخر، خصوصاً أن الإنسان رغم إيجابياته وما يمتلكه من طاقات مبدعة وخبرة هو في الوقت نفسه يمتلك من الطاقات السلبية والغرائز ما يعجز اللسان عن التعبير عنه، حيث أنه يغلب عليه نسيان الخير، ويغلب عليه النكران والغدر واللؤم وغير ذلك من صفات تواجه الإنسان المتعامل معه فإذا لم يكن الشخص المتعامل مع الجمهور على قدر كبير من الإدراك والدراية والفهم والعناية والرعاية فإن نتائج عدم الفهم ستنعكس حتماً عليه وقد يدفع ثمنها غالياً على يد من أحسن إليه، وصدق من قال : اتق شر من أحسنت إليه، وللشاعر العربي قول مشهور : إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا.

انطلاقاً من ذلك التمهيد فقد كان الشيخ علي القطان مدرباً ماهراً وأستاذاً متميزاً في التعامل مع الجمهور فكأنه عرف مفردات هذه المهارة، وأدرك أسرارها وفهم قواعدها وركائزها. وكذلك كلياتها وتفصيلاتها وكيفية التعامل مع كل إنسان على حدة، ومع كل مجموعة أو جماعة محددة ومع كل تيار سياسي أو اجتماعي أو ديني بشكل واضح ودقيق... وما ذلك على الشيخ علي القطان بعزيز، وهو ذلك الرجل الذي تربى على القرآن وعاش مع القرآن... ودعا إلى القرآن فكان القرآن حياته في كل لحظة من لحظات عمره ثم ساند ذلك باقتدائه بالرسول عليه الصلاة والسلام، وإذ به يتتبع خطوات سيد البشر كلمة وحركة فاكتسب بذلك خبرة مديدة وتجربة رشيدة وأفكاراً سديدة ونظرات مفيدة فكان بذلك ناجحاً في تعامله مع الجمهور، أكثر بألف مرة من المدربين الذين يحاضرون في مهارة التعامل مع الجمهور، أولئك الذين يكتبون ويؤلفون في فن التعامل مع الغير...

لقد أدرك الشيخ علي القطان أن أول خطوة للتعامل مع الغير أن تحسن التعامل مع نفسك وتدرك كيفية قيادة ذاتك، فإذا نجحت في ذلك خطوت الخطوة الكبرى، وغصت الغوص الأعمق في مهارة التعامل مع الناس لأنك بإدارة ذاتك قد حققت الثقة بالذات ووصلت إلى مستوى الثقة بالنفس، وإدراك مواطن القوة والضعف في قيادتك وفي إدارتك فتجتنب السلبيات وتوسع من دائرة الإيجابيات وبذلك تصبح مهيئاً للتعامل

مع الجمهور بشكل ناجح ومتميز. والخطوة الثانية أن يتفهم أن الناس مختلفي المشارب والاتجاهات وأن الناس يريدون من الإنسان حسن المعاملة وحسن التصرف وحسن الفهم متصلاً مع صوت الأحاسيس والمشاعر والمحبة وبذلك يستطيع الإنسان أن يكسب الناس إلى صفه، فالمحبة والشعور الطيب يجعل الناس في غاية السعادة عند إنشاء علاقات معهم فإذا أضفنا إلى ذلك التعرف على مشكلاتهم، وتقديم العون لهم فإن ذلك يعد القفزة النوعية للتعامل معهم.

كان الشيخ علي القطان محباً للناس رفيقاً بهم يتحسس مشكلاتهم ويسأل عن أحوالهم، يزور المريض منهم ويساعد الفقير، يحضر الدروس والندوات لمختلف المشارب والاتجاهات، يوجه ويرشد لا يعرف معهم كبراً ولا غروراً، ولا يقف منهم موقفاً فيه احتقار أو إسفاف، بل هو دائم التفكير بهم فكأن الناس كلهم هم أهله وأبناؤه، وبذلك استطاع الشيخ علي أن يتغلغل في قلوبهم ونفوسهم، وأن يحصل على محبتهم لأنه أدرك مهارة التعامل معهم وقبل ذلك أدرك سر الأسرار المتمثل بمحبة الله والاقتداء برسوله، ومن أحب الله ورسوله وعمل حسب سنة الله ورسوله، كان أفضل مدرب في التعامل مع الجمهور، بل حصل بالفعل على تأييد الجمهور ومحبته.

كما أن تميز الشيخ في مهارة التعامل مع الجمهور وإدارة الغير ينطلق من علم الفراسة هذا العلم الذي يحفظه الشيخ علي ويمارسه ويتمرس به، لأن له أصلاً في الدين حيث جاء في الأثر (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) وبالفعل فقد كان الشيخ ذا فراسة في تعامله مع الآخرين يكسب حبهم ويتميز في مجتمعهم وخدمتهم ويتغلغل في نفوسهم فيكشف خباياهم من خلال تصرفاتهم وحركاتهم، فكأنه الطبيب النفسي والطبيب البشري بل العالم والخبير في علم الإشارة والنظرة. كم من مرة يأتيه شخص يشكو له أمراً فيتركه الشيخ علي يتكلم على سجيته ولا يقاطعه في بداية الأمر، ثم ينصت له باهتمام ويستمع إليه بكل حواسه، وعندما ينتهي من الكلام يسأله الشيخ بعض الأسئلة مراقباً حركاته وإجاباته، وكأنه بذلك يريد أن يكشف مدى مصداقيته

في الكلام من خلال الإجابة المرافقة للحركة والإشارة. إن فن التعامل مع الجمهور من الفنون المهمة التي ينبغي لكل مسلم إدراكها وتعلمها، وقد كان الشيخ أستاذاً في هذا الفن خبيراً في تلك المهارة استثمرها في زيادة معرفته بالناس من أجل الناس ومن أجل الاستمرار في مساعدتهم وحل مشكلاتهم والتخفيف من همومهم، فسخر بذلك هذا الفن وتلك المهارة لمزيد من التكافل والتضامن في المجتمع.

٣ - الشيخ علي القطان ومهارة إدارة الذات :

تعتبر مهارة إدارة الذات من أهم مهارات التنمية البشرية وهندسة الحياة وتنظيم الأفكار والمعلومات وفق سياق منظم وترتيب متقن وأهداف محددة، وبرامج مرتبة يستطيع الإنسان من خلالها أن يحقق غرضه بأقل الخسائر التي قد تصل أحياناً إلى صفر بالمائة إن أتقن تلك المهارات إتقاناً لأجل تحقيقها وتنفيذها متخذاً كل الأسباب معتمداً قبل ذلك على الله إن كان مسلماً.

ومثلما برع الشيخ في مهارة إدارة الوقت خلال عمره الكريم الذي بلغ الثمانين عاماً فإنه أيضاً برع في مهارة إدارة الذات حيث أدرك منذ البداية أنه لانجاح للإنسان في حياته مع غيره في علاقاته جميعها إلا إذا نجح في إدارة ذاته كمهارة وفن.

و إدارة الذات تبدأ عند الشيخ بمعرفته بنفسه ومعرفته بخالق هذه النفس فمن لم يعرف نفسه وما فيها من إبداعات ربانية ما عرف شيئاً ومن لم يعرف خالق هذه النفس العظيمة المعقدة الناطقة المتكلمة ما عرف شيئا وبذلك تكون هذه الخطوة هي أول خطوة و أهم خطوة في إدارة الذات، وإلا كيف يمكن أن يُسير تلك الذات و يقودها، إلا إذا عرف حقيقة خالقها هذا الخالق العظيم الذي خلق تلك النفس العظيمة.

أما الخطوة الثانية من خطوات إدارة الذات لدى الشيخ فتبدأ في معرفته بموقع هذه النفس من الكون، والهدف الرئيس لوجودها في هذا الوجود، وبالتالي فإن معرفة الهدف والغاية من وجود النفس يفتح المجال للخطوة الثالثة القائمة على دور هذه النفس في الحياة فما دامت تلك النفس عظيمة الصنع ومن خالق عظيم وفي موقع الكون العظيم

فان دورها لا بد وأن يكون عظيماً، إنه ذلك الدور الذي يتطلب من الإنسان أن يستثمر كل إمكاناته العقلية والذهنية والفكرية والعملية وطاقاته الجسدية ومواهبه ومهاراته في سبيل تحقيقه على أكمل وجه وأفضل واجب، حتى ينال رضاء خالقه أولاً وأساساً، وحتى يكون قد أدرك سر الأمانة التي تليق به، والمكلف بحملها من قبل خالقه في هذه الحياة التي ستنتهي حتماً إلى حياة أكمل وأشمل وأدوم، وهكذا يكون الشيخ قد بلغ جميع الخطوات الأساسية لمهارة إدارة الذات، والتي دائماً ما تبدأ بقرارات سليمة وتنتهي بقرارات سليمة، فكل قرار يتخذه من خلال إدارة ذاته إنما هو قرار يقوم على خطوات معروفة تبدأ أيضاً بمعرفة الإنسان لقدراته ثم معرفته بأهدافه من القرار ثم معرفته بإمكاناته الفعلية ثم

ينتقل إلى مرحلة الاستشارة والدراسة الجادة للقرار ومدى ما يحقق من إيجابيات وما يحتاجه من وقت وغير ذلك ثم يتخذ قراره بالقول: نعم لقد قررت !!

إن مهارة إدارة الذات هي بالفعل المفتاح الرئيس لجميع المهارات وبالخصوص مهارة إدارة الغير لأنه من الصعب أن تدير غيرك حتى تنجح في إدارة ذاتك، وهكذا نجح الشيخ في إدارة غيره لأنه نجح في إدارة ذاته، فسيطر عليها وقادها نحو الأحسن والأفضل خدمة لموقعه في الكون ومرضاة لله فسخرها لخدمة الناس ومساعدة الفقراء وإرشاد التائهين والوقوف مع البؤساء والعاطلين وهكذا.

٤) الشيخ علي القطان ومهارة الثقة بالنفس:

الثقة بالنفس وما أدراك ما الثقة بالنفس ركيزة أساسية في بناء شخصية الإنسان ودافع قوي يدفعه نحو التقدم بخطوات ثابتة، وعزيمة راسخة، نحو المجد مستهدفاً تحقيق آماله وطموحاته الشخصية والأخلاقية والدينية والوطنية، في إطار من الشرع الحكيم والدين القويم.

وكلما كان الإنسان واثقاً من نفسه كانت عقيدته ثابتة، أما إذا وقع خلل في الثقة بالنفس وتراخى الإنسان أمام طلب المجد، ضعفت عقيدته، واهتزت يداه، وارتجف سلاحه وسقط وكانت النتيجة هي الهزيمة الكبرى في واقع الحياة وخسارة الدنيا والآخرة.

الثقة بالنفس لدى الشيخ علي القطان جزء من كيانه وامتداد لشخصيته وإيمانه، يستمدها من ثقته الأساسية بالله سبحانه وتعالى، لأن هذه الثقة بالله هي المصدر والمنبع وهي الركيزة والمرجع، وكلما كان الإنسان مؤمناً بالله واثقاً من محبته لله ومحبة الله له، كانت ثقته بنفسه قوية يواجه المصائب ويقاتل الكوارث ويحارب الهموم والضغوط حتى تراه منتصراً في كل حرب وفائزاً في كل معركة.

٥) الشيخ علي القطان ومهارة العلاقات العامة

العلاقات العامة فن من الفنون المهمة وعلم من العلوم التي يحتاجها الإنسان في حياته كي يضمن كسب الناس ومحبتهم له وتأييدهم وميلهم نحوه بشكل يستطيع من خلاله أن

يحقق أهدافه الإيجابية النافعة للناس والبشرية جميعاً.

والداعية لله أي داعية كم هو في مسيس الحاجة إلى فهم وإدراك هذا الفن الرفيع وهذه المهارة الرائعة مهارة العلاقات العامة التي ترتكز على حسن التفاهم مع الناس وحسن الاتصال بهم وترك الأثر الطيب في نفوسهم كي يستقبلوا ويقبلوا الأفكار التي يحملها الداعية إليهم وكي يحقق الداعية أهدافه وغاياته الشرعية في تغيير عقليات الناس الخاطئة وسلوكهم السيئ إلى عقلية صحيحة وسلوك حسن.

وقد كان الشيخ على القطان أستاذاً في تدريب نفسه والآخرين على مهارة العلاقات العامة فقد كان يدرك إدراكاً قوياً أن الناس يحبون الكلمة الطيبة وحسن تفهم مشكلاتهم والسعي إلى حاجاتهم وغير ذلك من التصرفات الإيجابية.

كان الشيخ - يرحمه الله - يفتح باب غرفته في المسجد ليلاً ونهاراً لكل إنسان محتاج من الباحثين عن حلول لمشكلاتهم وكان يجيد فن الاستماع ويتفهم المشكلة بدقة حتى يصل إلى إدراكها، وكان الشيخ علي القطان يحب الناس ويقدر ما يحملونه من هموم،

فيصبر على إحراجاتهم، وعلى تصرفاتهم، ويمنحهم من فكره واهتمامه وكلامه الطيب الشيء الكثير والنافع، حتى يخرجوا من غرفته، وهم سعداء مسرورين.

ومن الموضوعات الأساسية المرتبطة بالعلاقات العامة والتي كان الشيخ علي القطان يبدأ بها في ذاته ويوصي بها غيره، تفعيل مهارة الثقة بالنفس وتنمية القدرة الذاتية للمحافظة عليها قوية رائدة متميزة ما يلي :

- الإيمان القوي بالله وحسن الظن به، والثقة بهذا الخالق العظيم.
- معرفة موقعك في الكون وفي الحياة.
- تحديد أهدافك الكبرى والصغرى بشكل دقيق ومحدد ومرن.
- معرفة إمكاناتك الخاصة ومقدراتك الذاتية وما تمتلكه من مهارات علمية ومعنوية.
- الإحساس بأنك شخصية متميزة يجعلك أكثر قوة في مواجهة الناس فضلا عن العطف والحنان لكل إنسان.
- الاعتقاد أنه لا فشل في الحياة بل خطأ يمكن تحويله إلى نجاح.
- تدريب القدرات الذهنية والعقلية على التفكير السليم والابتكار والإبداع.
- قراءة الكتب المفيدة النافعة بدءاً من القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أي كتاب علمي نافع.
- مرافقة المتميزين ومجالسة الصالحين.
- الإكثار من حضور الدروس والندوات.
- الإكثار من الحوار والمناقشات الفكرية والعلمية.

إن العلاقات العامة فن ومهارة لا يجيدها إلا أمثال الشيخ الذي كان بالفعل رحمة للناس لأن الله سخره لهذا.

٦) الشيخ علي القطان وفن إدارة المكان :

إدارة المكان فن من الفنون المهمة ومهارة من أهم مهارات التنمية البشرية فمثلما يضيع الكثير من الناس أوقاتهم لأنهم لا يدركون معنى الوقت وقيمته فإن كثيراً من الناس

يضيعون المكان وما يمتلكونه في ذلك المكان لأنهم لا يعرفون كيف يصونون المكان أو يحافظون على الممتلكات في ذلك المكان.

لقد أدرك الشيخ بذكائه وتفعيله لقدراته الذاتية والعقلية وتنميته لمواهبه وما حباه الله من نعمة التفكير والنظر، أدرك أن للمكان قيمة وأن إدارة المكان كإدارة الوقت كإدارة النفس كإدارة العقل كإدارة الجمهور كإدارة المستقبل كل ذلك فن ومهارة تقوم على ركائز وخطوات محددة ودقيقة ينبغي اتباعها بإتقان لأن الله سبحانه وتعالى يحب العمل المتقن وهو أحب الأعمال إلى الله وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** » (صحيح الجامع الصغير).

انطلاقاً من ذلك عرف الشيخ كيف يستثمر غرفته في المسجد وهي غرفة صغيرة جداً لكنها بما يقدمه من خدمات للناس أصبحت كغرفة كبيرة بل قاعة ضخمة أشبه ما تكون بمقر رئاسة أركان أو مجلس وزراء أو برلمان. !!

من هذه الغرفة الصغيرة في المسجد يلقي دروساً أحياناً، ويستقبل ضيوفاً، ينامون فيها عند الضرورة ويقدم لهم كامل الخدمات ويحل مشكلات المتنازعين، ويستمع لشكاوى الفقراء والمساكين، ويقدم المساعدات العينية والنقدية، ويخزن المواد التموينية وما شابهها لتوزيعها عند اللزوم، يضاف إلى ذلك أن الغرفة مكتبة لقراءة الكتب، وخزانة تمتلئ بالحلوى من أجل الأطفال والضيوف، فلا يزوره أحد إلا ويكرمه بشيء مما يوجد لديه، فضلاً عن تحويل الغرفة إلى إفطار ليومي الاثنين والخميس له ولمن معه من الضيوف، وغير ذلك من الاستعمالات ككتابة التزكيات والمراسلات لأهل الخير لمساعدة الفقراء وتشغيل الشباب العاطل عن العمل.

فإذا أضفنا إلى ذلك إدارته لسيارته باعتبارها جزءاً من المكان فإن الإنسان ليجد عجباً في مهارة الشيخ علي في إدارة المكان فالسيارة مملوءة بالأغذية من الجمعيات التعاونية والشركات والتي يقوم يومياً بتوزيع بعضها على الأسر المحتاجة، مثلما يأخذ منها لأهله وأبنائه حتى يساويهم بالفقراء، فلا يتكبروا عن طعام أو غذاء أو ما شابه

ذلك، فضلاً عن قيامه بإيصال الفقراء والمحاجين إلى أهدافهم عند الضرورة أو مرافقتهم بسيارته إلى أهل الخير للحصول على مساعدة أو غير ذلك من تحركات في سيارته.

يرحمك الله يا شيخ علي، أدركت بإيمانك وعقلك قيمة المكان فتميزت في إداراته ونجحت في فنٍ يجهله الكثير من الناس.

٧) الشيخ علي القطان ومهارة القضاء والتحكيم الودي :

كان الشيخ إماماً وخطيباً وداعياً إلى الله، هذا ما يعرفه الناس عن هذا الرجل الجليل فقط، لكن الشيخ علي القطان كان بالفعل قاضياً بل قاضياً من نوع خاص، اجتمع في شخصيته قضاء الموضوع وقضاء التنفيذ، ومن الصعب جداً أن يقوم أي قاض بهاتين الوظيفتين لأن لكل منهما هموماً وأعمالاً يعجز عن القيام بها القاضي الواحد في المكان الواحد.

الشيخ علي القطان بإيمانه بالله وتقواه، ثم بذكائه وتفعيله لقدراته وإحساسه أنه مخلوق للعبادة ولمساعدة الناس ولحل مشكلات الناس وبأن مسؤوليته كبيرة أمام الله فقد صار بالفعل قاضيا للأحوال الشخصية والمالية وكذلك قاضياً للتنفيذ كيف ذلك؟ ومن رأى ذلك واستنتجه ؟ كاتب هذه السطور تلميذ المرحوم الشيخ ومرافقه زمناً طويلاً وبالخصوص في فترة من أهم فترات حياة الشيخ، حيث كثرت المنازعات والمشكلات خلال غزو العراق لدولة الكويت، وحيث أن المحاكم مغلقة والقضاء في إجازة إلى إشعار آخر فكانت غرفة الشيخ علي القطان خلال الغزو وما بعد التحرير تمتلئ بالناس المتخاصمين في قضايا زوجية وعائلية وقضايا مالية وحياتية وقضايا خلافات ومشاحنات وغير ذلك من القضايا التي كان من واجب الشيخ أن ينظر فيها، ويستمع للمتخاصمين بدقة ثم يستمع للشهود ثم يصدر حكمه بالتفريق أو بالتجميع، أو بدفع المال أو بالتعويض، أو غير ذلك من الأحكام اللازمة والضرورية وغالباً ما يرجع الناس المتخاصمين وغالباً من عنده فرحين مسرورين لأن نوايا الشيخ طيبة وأخلاقه عالية

يدعو الله ألف مرة أن يوحد الصفوف وأن يزيل النزاعات وأن يهزم الشيطان وهكذا يبدأ بالدعاء ثم بالاستماع للشهود إلى أن يتخذ القرار الصائب الذي يرضي الطرفين بإذن الله.

لكن يبقى سؤال ؟! إذا كان الشيخ أصدر أحكامه القضائية في منازعة فكيف يتم تنفيذها؟ والجواب أن التنفيذ غالباً ما يساهم فيه الشيخ وإذا صدر حكم بإلزام شخص بدفع مبلغ مالي لشخص آخر، وكان الشخص لا يملك إلا بعض المال يقوم الشيخ علي بمساعدة أهل الخير بإتمام المبلغ وتنفيذ الحكم وكأنه قاضي تنفيذ وإذا صدر قرار بمراضاة الزوجين أو التفريق بينهما وكانا لا يمتلكان وسيلة نقل، قام الشيخ بإيصال الزوجين إلى بيتهما بكل رعاية وعناية، أو قام بنقل الزوج إلى بيته أما الزوجة فيدفع لها قيمة إيصال سيارة أجرة لتصل إلى بيتها معززة مكرمة، أو يطلب مني إيصال الآخرين.

الفصل الخامس

الشيخ علي القطان وإحياء مدرسة العمل والتطبيق

العمل والتطبيق

أولاً: علم العمل لدى الشيخ علي القطان ومبادئه الذاتية

١- عالم عامل يصل كلال الليل بكلال النهار.

٢- شخصية عملية متميزة تثير تساؤلات وقدرة ذاتية في إحياء مدرسة العمل والتطبيق.

ثانياً: نظرياته في علم العمل والمبادرة الذاتية

١- نظريته في القيادة والجندية.

٢- نظريته في العزوج عند طلب المساعدة للغير.

٣- نظريته في إنقاذ الطعام واللباس المرتجع أو المخزن أو المهمل.

٤- نظريته في البديل الإسلامي للعادات الغربية.

مدخل:

يعتبر علم العمل هو العلم الأكثر أهمية رغم تفريط الناس فيه، وميلهم إلى النظرية والتنظير والترف الفكري والاكتفاء بالكلام والأقوال على حساب الأفعال.

لكن الشيخ علي القطان بما أعطاه الله من فكر ثاقب وذكاء خارق وتفكير واعٍ وقدرة على التأمل والمقارنة والتحليل والاستنتاج، استطاع أن يكتشف حقيقةً لا غبار عليها وهي أن الأساس في كل شيء بعد الله هو العمل، وأن العمل لا يكون عملاً صحيحاً إلا إذا تحول إلى علم له قواعد وأصول وتطبيقات، وبذلك يكون الشيخ قد نسف فكرتين فاسدتين الأولى: فكرة الاكتفاء بالعلم دون العمل، والثانية: فكرة العمل دون العلم، وانتقل بذلك إلى إحياء ما يسمى بعلم العمل، أي الاقتداء بمدرسة الإسلام، المدرسة التي سار عليها الأنبياء وتمثلت بشكل واضح في سلوك وسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لهذا خصصنا هذا الفصل للحديث عن علم العمل والنظريات التي ركز عليها الشيخ علي القطان في حياته وسيرته ودعوته إلى الله، فاشتمل هذا الفصل على ستة مجالات.

وسوف يستمتع القارئ الكريم في قراءة هذه الجوانب العديدة والمجالات المختلفة ليدرك أن شخصية الشيخ علي القطان شخصية متميزة بالفعل.

أولاً : علم العمل لدى الشيخ علي القطان والمبادرة الذاتية

١) عالم عامل يصل كلال الليل بكلال النهار

الرجال العاملون في كل أمة قليل ما هم...!

والرجال العاملون من ذوي الهمم العالية في كل أمة هم أقل...!

والرجال العاملون من ذوي الهمم العالية الذين يحبون عملهم ويستمرون في العمل حتى نهاية العمر هم أقل جداً..!!

والرجال العاملون من ذوي الهمم العالية المحبون عملهم المستمرون فيه حتى نهاية العمر المتقنون المخلصون المستحقون أن يكونوا أصحاب مدرسة معدودون على الأصابع، وعلى رأسهم الراحل علي أحمد القطان.

يُعتبر الشيخ في رأيي مؤسساً لمدرسة العمل في العصر الحديث أو بمعنى آخر فإن الشيخ يؤسس بعمله وفهمه لمعنى العمل وشمول عمله ونوعيته واستمراره منذ الصباح الباكر حتى آخر الليل يقضي حوائج الناس ويصلي للرحمن ويصلح بين الناس ويغيث الملهوف ويرافق الفقراء والعاطلين عن العمل، ويكتب التزكيات والتوصيات، ويزهد في طعامه وشرابه، ويقوم الليل ويقرأ القرآن ويحاضر في المؤتمرات ويُلقي الدروس، ويزور المريض ويحضر الأفراح والأتراح، ويشارك في حضور المنتديات والندوات في مختلف اللجان والجمعيات والدواوين ويوزع الأطعمة والألبسة ويصوم السنن والمستحبات، وهو من صلاة إلى صلاة ومن حركة إلى حركة ومن عمل إلى عمل ومن نصيحة إلى نصيحة وغير ذلك، يؤسس فعلاً مدرسة في علم العمل كادت تموت، ويعطي للعمل قيمته الفعلية التي جرد منها الكثير ممن يقولون أكثر مما يعملون، وممن يرغبون في الإكثار من حمل العلوم على حساب العمل... وممن يميلون إلى التنظير أكثر من التطبيق فكانت مدرسة الشيخ علي قد جاءت في وقتها المناسب كي ترد للعمل والممارسة والتطبيق معانيها الحقيقة وكي تعود إلينا بعد غياب طويل محبة العمل وخدمة الناس إحياء لسيرة سيد الأنبياء والرسل وسيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه

رب العزة والجلالة في نص القرآن الكريم بشكل لا ريب فيه ولا شك ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٧).

وخدمة الناس والوقوف على همومهم وتحسس مشكلاتهم بل والاستشعار بها قبل طلبها، وبالخصوص أن الطلب صعب والسؤال مذلة ، فضلاً عن التخفيف على أصحاب المشكلات والسعي إلى إيجاد حل أو بعض الحلول لها، وتجنيد العديد من الأحباب والتلاميذ والمريدين لإيصال أصحاب الحاجات إلى هدفهم فضلاً عن توثيق العلاقة مع أهل الخير والعظماء وكبار الشخصيات ومحبي الكرم والجود الإيثار والنجدة فضلاً عن كتابة التزكيات والتوصيات للتأكيد على أهمية الاستجابة لهذه الفئات الضعيفة والمنكوبة والمصابة بأموالها أو أبنائها أو صحتها، ثم المتابعة لهذا الأمر كله من بدايته إلى نهايته فضلاً عن الإصلاح العائلي والشخصي والجماعي والذي يتطلب من الهمة الشيء الكثير، ومن العلم والذكاء والتفكير والدراسات الأمر الكبير، ومن التعب والصبر والتألم والدعاء ما يعجز عنه الكثير والكثير، وغير ذلك من أشكال خدمة الناس على المستوى العمودي وعلى المستوى الأفقي.

أقول هذه الخدمة وبهذا الشكل لا يدركها إلا القليل بل ولا يستطيع أن يديرها إلا القليل، وهي الخدمة الشريفة العفيفة والتي لا يعطيها الله لكل إنسان إلا إذا اجتهد فعلاً وإلا إذا توكل فيها على الله كثيراً واعتمد عليه، لأنها فعلاً، تتطلب همة كبيرة وإرادة عظمى وثقة بالله واسعة لا تنتهي ولا تهتز، ولا تتغير ولا تبلى، وكذلك كانت شخصية الراحل علي القطان.

٢) شخصية عملية متميزة تثير التساؤلات وتبدأ بنفسها

كم من الناس تولد؟ وكم من الناس تموت؟ أجيال وراء أجيال، وأعمار تتلوها أعمار، ثم ينتهي العمر وكأنه لم يمر !!

الرابطة الإسلامية في الدانمارك Det Islamiske Forbund I Danmark

Muslim Association of Denmark

كوبنهاجن ٢٠٠٢/١٠/٠٧م ١٤٢٣/٠٧/٠٦هـ

سعادة الشيخ / عبد الله علي المطوع حفظه الله

سعادة الشيخ / أحمد بن الشيخ علي القطان وإخوته الكرام حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حكم المنية في البرية جار ... ماهذه الدنيا بدار قرار
بينا يُرى الإنسان فيها مخبراً ... حتى يُرى أثرا من الآثار

تلقيت ببالغ الأسى والحزن مع التسليم بقضاء الله وقدره نبأ وفاة العم الكريم فضيلة الشيخ علي القطان الذي عرفته منذ طفولتي مجتهداً في خدمة الإسلام والمسلمين، مكرساً ماله وجهده في الدعوة إلى الله رب العالمين، متمتعاً بتواضع كبير، وأدب وفير، وخلق رفيع، وزهد في الدنياوحطامها.

عبست له الدنيا فافتقر بعد غنى، وهاجر من وطنه فتحمل الضنك والضنى،ووقف شامخاً فما ضعفت له نفس، ولاقعدت به همة، ولاأغلق بابه في وجه قاصد، ولااستسلم يوماً للشدائد، بل واجهها بنفس مستسلمة لقضاء الله، وعزيمة مؤمنة تمضي به عاملاً في سبيل الله، مع واجبات عديدة كان يضطلع بها، ومسؤوليات كثيرة كان ينشط لها، لايقوى على حملها إلا كبار الرجال.

لقد فقدنا رجلا سما به عمله، وارتفع به فضله، وحلّق به نقاه ونبله، وعزاؤنا فيه ماخلفه من أبناء كرام رباهم على عينه، فنهلوا من أدبه وخلقه، وتشبعوا بروحه وتواضعه، ولنا فيهم السلوى من هذا المصاب.
تغمد الله الفقيد بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان.
إنّ لله ماأخذ، وله ما أعطى، وكل شئ عنده بأجل مسمى، وإنّا على فراقك ياأباأحمد لمحزونون.

وإنّا لله وإنا إليه راجعون

د. محمد فؤاد البرازي

رئيس الرابطة الإسلامية في الدانمارك

Det Islamiske Forbund I Danmark
Hejrevej 3, 2400 København NV. Danmark
Tlf: 45 - 35 81 36 55 Fax: 45- 35 81 80 44

أنفس وأجساد زودها خالقها بالروح كي تضيء وتستضيء، والكثير من الناس يمر على جسر الحياة ثم ينتهي فلا يستضيء ولا يضيء.

وهكذا جحافل الناس وجيوش البشر.

والقليل القليل من هؤلاء الناس من يغادر الدنيا، وهو ينتقل من نور إلى نور... يضيء حيث ولد، ويضيء حيث يمر، ويضيء حيث يأتي ويضيء حيث يذهب، ويضيء حيث يغادر الدنيا إلى الرفيق الأعلى، نعم يضيء صغيراً وكبيراً ويضيء فقيراً ويضئ غنياً.

وعلى الرغم من أن الله قد رزق كل إنسان وزوده بالقدرات العقلية الهائلة كي يميز من خلالها بين الخير والشر وكي يستثمر العمر في الخير لنفسه ولغيره.... إلا أن القليل من الناس من يعرف كيف يستثمر هذه الطاقة العقلية المبدعة والمبتكرة فيما يفيد نفسه والآخرين وفيما يعود بالنفع على أهله وبلده ودينه وأمته والإنسانية جميعاً.

نعم القليل من يعرف قيمة العقل، فلا تلهيه دنيا فانية وحياة ناعمة وأموال قائمة عن آخرة ثابتة ودائمة، لأنه بالضرورة الحتمية سيترك كل شيء من دنياه ولن يسمح الله للإنسان وهو محمول إلى قبره، أن يأخذ معه من الدنيا من شيء لا ولد ولا مال ولا غير ذلك من شئون الحياة.

وكان الشيخ علي القطان من هذا القليل النادر الذي عرف ببصيرته وإرادته وعقله وفكره، أن الدنيا زائلة، فأعطى للآخرة كل جهده مع عدم نسيان حق نفسه ومن تحت إشرافه، فضرب بذلك المثل في التعامل مع الدنيا والآخرة.

والعاقل العاقل من يفعل مثلما فعل الشيخ مقتدياً بالرسول صلى الله عليه وسلم متأسياً بالصالحين ومُدركاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ (سورة النساء/ الآية: ٦٩)، وبالفعل، كانت مصداقية شخصية الشيخ علي القطان مثيرة للجدل وتستقطب الاهتمام، وتجد نفسك من اللحظة الأولى وحين تقابله أو تراقبه، تشعر أنك أمام شخصية متميزة، عرفت كيف تستثمر جميع طاقاتها الذاتية الخيرة ومواهبها وإرادتها في خدمة آخرتها بشكل مدهش، وبالتالي في خدمة الآخرين من الضعاف وذوي الحاجة، وفي الدعوة إلى الله وفي إنقاذ الشباب من الانحراف وهداية الناس إلى الاستقامة والصلاح، ونحو ذلك مما هو بالفعل الطريق إلى خدمة الآخرة.

عجباً لهذه الشخصية !!

وعجباً لتلك الصفات التي تتمتع بها شخصيته ويتميز بها تكوينه، فكم من مرة وأنا أراه يصل كلال الليل بكلال النهار سواء في التعبد أو قضاء حاجات الناس، أو الإصلاح الاجتماعي أو إلقاء الدروس والمحاضرات، أو قراءة القرآن ومراجعته يومياً، أو حضور الندوات والمؤتمرات أو.. أو.. أو... أردد بيني وبين نفسي: أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟ أما آن لهذا المجاهد أن يستريح؟ أما آن لهذا الداعية أن يهدأ !!

ثانياً: نظرياته في علم العمل والمبادرة الذاتية

١) نظريته في القيادة والجندية

قائد وجندي في آن واحد

نعم أردد بيني وبين نفسي أما آن لهذا الفارس والقائد والجندي أن يترجل ويستريح ويهدأ ويترك لغيره أن يقوم بدوره؟!

وكان الجواب طبعاً لا لأن الشيخ علي القطان قرر منذ أن وعى معنى الحياة وأدرك سر العلاقة بينه وبين خالقه، قرر أن يتحقق من فعل الخير والدعوى إلى الله عملياً وتطبيقياً، وأن يمتهن هذا العمل الكريم المتمثل في خدمة الناس، وما أصعبها من مهنة على النفس وأن ينافس الآخرين في فعل الخيرات وأن يسابقهم وأن يرفض أن يسبقه أحد بذلك، وبالفعل قلما تجد شخصاً سبقه إليه أو ساواه أو

اقترب منه.

هذا العلو والسمو في فعل الخيرات جعل الشيخ قائداً خيرياً وقائداً دعوياً، وإن كان هو في ذاته لا يسعى للقيادة ولا يفكر بهذه الأمور التي يتنافس الناس عليها ويقتتل البشر للوصول إليها.

الشيخ علي قرب جبل الرحمة في عرفات

وإذا أردت أن تحصر حقائق القائد ومميزات القيادة ومواصفاتها، فلا تراجع المصادر والكتب، ولا تغص في البحث والدراسات، ولا تسأل المدربين والمتخصصين في تعليم فن القيادة، بل ارجع إلى الشيخ علي القطان وراقبه عندما كان يتحرك ويتحول ويتصرف، لتقول بكل جوارحك وقدراتك العقلية ومواهبك ذلك هو القائد وتلك هي القيادة.

وإذا كان من صفات القائد إيمانه القوي بالله وعقيدته الراسخة بالمبادئ العليا واقتران قوله بالعمل، وحسن التوكل على الله واليقين به، وحرصه على معالي الأمور وعلو الهمة وتأكيده على القيم والشيم والرجولة والفروسية وخدمة الآخرين، والتواضع والجود والكرم والتهذيب، والكثير من المعاني النبيلة والشمائل العالية، فإن ذلك كله يتجسد في الشيخ رحمه الله.

حقاً كان الشيخ قائداً لكنه أيضاً كان جندياً ينفذ أوامر الله بإخلاص ويتسابق في أي عمل قد يراه الناس أنه ليس من صفات القائد فيقوم به الشيخ علي باعتباره جندياً قوياً كان يحمل بيده أشياء إلى الآخرين دون أن يكلف بها أحداً وذلك في غالب الأحيان، وقد ذكرني ذلك بالشيخ البنا، وكذلك بالشيخ حلمي الكاشف المصري الجنسية والإمام

والخطيب بمسجد العثمان بحولي بدولة الكويت، حيث كان يعطيني مواد غذائية لتوزيعها على الأُسر المتعففة، وكان عمره يتجاوز السبعين وقت ذاك، ولما كنت استلم هذه المواد التي قد تزيد على ٢٠ كيلو غراماً وأريد أن أحملها إلى سيارتي خارج المسجد، يقول لي الشيخ الكاشف: لا..لا، أنا الذي أحملها، ثم يضعها على كتفيه وينطلق إلى سياراتي رافضاً بشدة أن يسمح لي بحملها، قائلاً : الأجر، الأجر ؛ الآخرة الآخرة.

وإذا كان القائد يسعى دائماً إلى تربية النفس وتهذيبها وترويضها حتى لا تنحرف ولا تتخاذل فقد كان الشيخ علي القطان دائم الترويض للنفس ودائم المراقبة لها، يجرها جراً إذا تكاسلت عن فعل الخيرات ومساعدة الناس وتربيتها على طاعة الله ونبذ المعصية وكراهية التخريب والتفريق والنميمة ويؤكد لها على الإكثار من الأذكار والدعاء والتسبيح ومحبة القرآن الكريم ودعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة والخروج في سبيل الله والإكثار من التهجد والصوم والقراءة مردداً دائماً المرء حيث يضع نفسه والعاقل من كتم إهانة نفسه، ورحم الله امرءاً جبّ الغيبة عن نفسه ورفع المروءة.

٢) نظرية العزة عند طلب المساعدة لمصلحة الغير

عندما تسعى في الخير من أجل الغير فأنت عزيز

كان المرحوم الشيخ علي القطان دقيق الملاحظة بعيد الرؤية يتمتع بحس مرهف وذكاء مفرط استطعت - أنا الكاتب لسيرته - أن أستشف ذلك كله من خلال علاقتي الخاصة به ومعايشتي إياه زمناً طويلاً.

هذه النظرية التي ابتكرها الشيخ علي القطان ليست وليدة تفكيره العقلي المبدع بإذن الله فحسب إنما هي وليدة المعايشة اليومية لهموم الناس ومشكلاتهم المستمرة والتي كان رحمه الله قد ألزم نفسه إلزاماً قاطعاً لا رجعة فيه بتبنيها والقيام بها لوجه الله سبحانه وتعالى حيث كان يستشعر شعوراً صادقاً بأنه موظف لهذه الخدمة موظف ذاتي، أي

أنه قد وظف نفسه بنفسه لخدمة الآخرين، أو أنه موظف رباني إلهي من خلال شعوره وإحساسه بأن الله سبحانه وتعالى قد وظفه لهذا العمل بناء على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**كلٌ ميسرٌ لما خلق له**» (أخرجه مسلم وأبو داوود والترمذي).

وذلك تطبيقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾ (سورة فصلت / الآية: ٣٣) حيث يرى الشيخ أنه يدعو إلى الله من خلال قيامة برعاية هؤلاء الفقراء والمحتاجين سواء كانوا أفراداً أو عائلات، فهو مخلوق لهم لأنه مخلوق لعبادة الله، وإن أعظم ما يحبه الله أن يرعى المسلم إخوانه الفقراء ويشتغل بشأنهم ويحل مشكلاتهم ويفتح لهم الأمل في حياة كريمة هم وأزواجهم وأولادهم وأحفادهم مما يفرض عليه أن يكون لديه إلى جانب هذه الإرادة والعزيمة سيولة مالية، أو عينية كي تكون هذه الأمور المادية عوناً لهؤلاء المحتاجين.

انطلاقاً من ذلك تقوم نظرية الشيخ على أساس أن يلجأ الشيخ إلى رجال الخير من أهل الكويت وغيرهم من المواطنين والمقيمين يستحثهم على فعل الخيرات ويطلب منهم المساعدات من الأموال النقدية والأشياء المعيشية اللازمة للتيسير على الفقراء والمحتاجين بإعطائهم المال كي يغطوا نفقات المعيشة الكثيرة من مصروفات يومية إلى جانب إيجار السكن وأقساط المدارس ورسوم الضمان الصحي وإقامات وغير ذلك مما تعجز الكثير من العائلات عن الوفاء به لضيق ذات اليد وانخفاض الدخل وضعف

الموارد وقلتها والطلب، وما أصعب الطلب على الإنسان.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أكد أن (اليد العليا خير من اليد السفلى) (أخرجه البخاري ومسلم)، لأن الطلب يجعل الإنسان في موقف الذل ويأتي للإنسان بالمهانة، ولهذا يصعب على الكثير من الفقراء والمساكين أن يمدوا أيديهم ويرون أن بقاءهم جائعين ومحتاجين أفضل من الطلب وذل السؤال..

أما الطلب لأجل الغير فهذا لا يضر الطالب بل هو بالفعل عزة لأن المرء لا يطلب لنفسه بل يطلب لغيره وحاجة غيره ولهذا كان الشيخ عندما يدخل على التجار وأهل الخير من الأغنياء والمتصدقين يدخل عزيزاً دون خوف أو ذل لأنه يطلب للآخرين الذين غلبت عليهم العفة والحياء فما استطاعوا أن يمدوا أيديهم إلى أحد.

نعم صدقت أيها الشيخ الجليل أن الإنسان عندما يسعى في الخير ويطلب المال من الأغنياء من أجل الغير فهو عزيز أما من يسعى في طلب المال أو الأشياء لنفسه فهو في موضع الذل حتى وان كان طلبه مشروعا.

نظرية رائعة أكدها الشيخ كي يشجع الناس على طلب المال لأجل الآخرين من الفقراء والمتعففين، ولا يخشون من صفة الذل إنما هم أعزاء ما داموا يسعون في سبيل الله لأجل أولئك الذين سقطوا في الفقر ووقعوا في الحاجة.

٣) نظريته في إنقاذ الغذاء واللباس والأثاث المرتجع والمخزن والمهمل

على الرغم من أن فكرة هذه النظرية الرائعة من حيث إطلاق مصطلح الإنقاذ ليست من ابتكار الشيخ علي القطان إنما هي من ابتكار مؤلف هذا الكتاب من خلال مرافقته للشيخ خلال الغزو الغاشم لدولة الكويت، إلا أن الشيخ بموافقته على المصطلح وممارسته لهذه الفكرة سابقاً وتبنيه لها وتشجيعه لنا بممارستها، بل والتوسع بها، وغير ذلك من أصول التحفيز والتشجيع ليعتبر هو مبتكرها وهو صاحبها وهو مالكها، حيث حققت هذه النظرية العجائب وغيرت الكثير من السلوكيات وتم توزيع الأطنان من المرتجعات

من الأغذية ومن اللباس والأثاث الأمر الذي يقدر بعشرات الآلاف من الدنانير وكل ذلك لوجه الله واحتساب مرضاته.

وتقوم نظرية الإنقاذ على أساس الاستفادة من أية مرتجعات غذائية سواء كانت غير منتهية التاريخ أو كانت منتهية الصلاحية لكنها لا تزال قابلة للاستهلاك ولم يمسها العطب أو التلف وإن كانت في النظرية الرسمية والحكومية والقانونية غير صالحة وتنطبق هذه الاستفادة حتى على الألبسة المستعملة أو الألبسة المخزنة التي مضت موضتها، وكذلك على الأثاث المستعمل وغير ذلك مما يزهد الناس به فيرمونه أو يتلفونه. إذاً إن نظرية الإنقاذ تعني الحفاظ على كثير من المواد والثروات التي يتم تبديدها وهدرها لأسباب تافهة وهي بالفعل ثروات كبيرة وضخمة نظرا لسببين : الأول أن الأنواع التي يرميها الناس من الأغذية والألبسة والأثاث وغير ذلك كثيرة جدا والكميات أكثر أما السبب الثاني فان هذا الهدر والإتلاف ليس محصوراً بشريحة معينة من الناس بل بمختلف الشرائح الاجتماعية غنيها وفقيرها صغيرها وكبيرها عمومها وجماهيريها على المستوى الرسمي أو المستوى الخاص.

ومن الطبيعي القول أنه ليس من السهولة الحصول على هذه المرتجعات من الأغذية والأطعمة وغيرها، سواء كانت الصعوبة مادية تشمل رفض المؤسسات والشركات إعطاء هذه المرتجعات من الأغذية خوفاً من القانون والرقابة، وسواء كانت الصعوبة تتمثل في رفض النفس للقيام بمثل هذا العمل والدوران على الناس وما يتطلبه الاتصال مع المسئولين عنها من معرفة سابقة، وبالخصوص أن عموم الناس تربط بين هذه الأمور وبين الكرامة فيعتبر أن الحصول على هذه المرتجعات وتوزيعها عمل يمس بكرامة الإنسان ويقلل من هيبته وشخصيته وغير ذلك من التوهمات.

والأغذية المرتجعة أو الأطعمة الزائدة الخاضعة للإنقاذ وكذلك الألبسة والأثاث ليست فقط موجودة في لجان الزكاة والمؤسسات أو عند الإدارات الحكومية بل وحتى عند الأسر والعائلات ومختلف أفراد المجتمع حيث توجد في البيوت أغذية مرتجعة كثيرة

مثل أرز أو طحين، أوألبسة قديمة أو أثاث مستعمل موجود في مخازن البيت أو الأطعمة العائلية أو أطعمة مخزنة أو مثلجة لم يعد صاحبها يحتاجها لأنه على سفر وغير ذلك من أمور يمكن للمرء أن يجمع منها الكثير الكثير. وبالفعل فقد استطاع الشيخ بمهارته وعلاقاته الشخصية مع لجنة الزكاة وغيرها وبوجودنا معه أن يصل إلى أطنان من الغذاء والأطعمة من خضار وفواكه وخبز وفطائر وبسكويت ولحوم وألبان وحليب وأجبان وزيتون وغير ذلك من أنواع الأغذية التي يتم جمعها وما أصعب ذلك ثم يتم فرزها ووضعها في أكياس مناسبة كي يتقبلها الآخرون ويرتضيها الفقراء أو الأقارب والأحباب، ثم يتم توزيعها على البيوت ثم الصعود إلى الطوابق العالية وطرق الأبواب والانتظار وما أصعب ذلك !؟.

فكرة الإنقاذ فكرة رائعة لو طبقها العالم العربي على نفسه لوفرت مليارات من الدولارات تذهب بالفعل هدراً في أمور كمالية وأغذية غير ضرورية مرتجعة منتهية الصلاحية لكنها مخزنة تخزيناً صحيحاً وغير ذلك.

كم من عائلة استفادت من هذه النظرية حيث - يومياً أو أسبوعياً - تصل إليها كميات من الخضار والفاكهة بأنواعها والخبز المصنوع من الحليب والبيض والفطائر والكاتوات والألبان والحليب واللحوم وغير ذلك، فتأكل وتدعو للشيخ علي القطان ومن حوله من الموظفين، وكم من شخص لا يملك أثاثاً استفاد من أثاث الإنقاذ، ويحتاج إلى سجاد وموكيت فحصل على طلبه، وله حاجة في ثلاجة قديمة وفرن غاز قديم وأدوات مطبخ وغير ذلك، فكان له ما أراد وهكذا آلاف الناس على مدى عشرين عاماً مع الشيخ علي القطان.

يا شيخ لا تزال صورتك الكريمة في ذهني وأنت تدخل المسجد فتقول إنقاذ يعني: استعد يا عادل حتى نفرز الأغذية ونوزعها معاً، فنردد معك ومع إخواننا حسام الجبالي وباسم والمهندس عدنان قربيصة والحناوي، والأخ الشهم محمد عبود العلي وغيرهم.. إنقاذ إنقاذ.

٤) نظريته في البديل الإسلامي للعادات الغربية

هذه النظرية تعتبر فلسفة قائمة بذاتها سواء على المستوى الاجتماعي أو المستوى الاقتصادي أو غير ذلك من مستويات الحياة وأنحائها المختلفة.

وصاحب هذه النظرية هو المرحوم الشيخ علي القطان لا يشاركه فيها أحد، ولا يضاهيه فيها أحد، سواء من علماء زماننا أو علماء الأزمنة التي سبقتنا، إذاً ليس في علمي أن أحداً من العلماء تكلم أو ابتكر أو أبدع هذه النظرية إلا الشيخ القطان مستمداً إياها من مصادر الإسلام الأصلية الكتاب والسنة.

وهكذا تكون هذه النظرية قد غابت عن الكثير من الناس سواء منهم العلماء أو الخبراء أو المتخصصون في علوم الحياة المتعددة، لكنها ولله الحمد لم تغب عن هذا الرجل الداعية الذي اتقى الله فعلاً فعلمه الله وبذلك ترك وراءه الأثر الكريم والعلم النافع والأعمال الحسنة.

فما قوة هذه النظرية ؟ وماذا نعني بالبديل الإسلامي؟ وما العوامل والأسباب التي دفعت الشيخ لابتكارها في زماننا هذا؟

إن المتتبع لتاريخنا المعاصر والحاضر أقصد حاضر الأمة العربية والإسلامية سوف يجد عجباً فهذه الأمة بدأت منذ مدة تتحلل من إسلامها رويداً رويداً، وبدأت تستقبل أنواعاً من السلوكيات وضروباً من الأخلاقيات ما أنزل الله بها من سلطان. وإذا كان الأمر مفروضاً في عهد الاستعمار الأوروبي الغاشم الذي سطا وسيطر على أمتنا العربية والإسلامية قروناً وعهوداً من الزمان، وأتى مع جيوشه العسكرية بجيوشه الفكرية الأخلاقية ينشر العادات الفاسدة وسلوكيات الغرب المنتشرة بين شباب الأمة وعائلاتها وأبنائها ورجالها ونسائها مستغلاً النفوس الضعيفة، مستثمراً الجهل وغياب الوعي وضعف الرقابة وتهاون الحكومة، ونسيان الدين وغياب العقيدة عن واقع الحياة، فإن الأمر بعد رحيل الاستعمار لم يعد مفروضاً بل هو اختياري، بمعنى أن القرار في عهد الاستعمار كان للمستعمر على الأعم والأغلب، أما بعد التخلص

د . محمد أمين قطان والشيخ علي والأستاذ محمد هدى قاطرجي والشيخ غازي التركي مع أربكان

من الاستعمار فالقرار قد أصبح بيد المسؤولين عن المجتمع سواء كانوا حكومات أو آباء أو أمهات أو غير ذلك من المشتركين في المسؤولية عن الأمة والمجتمع والدين والعقيدة والأسرة والمدرسة والفرد، تطبيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1] ، ماذا يعني هذا الكلام ؟

يعني: أن المجتمع الإسلامي منذ الاستقلال وبعد رحيل الاستعمار تساهل مسؤولوه في الرقابة على الأمة والأسرة والشباب وقصَّروا في تحصين الأبناء من شرور الغزو

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم .

الفكري والعادات الغربية والتقليد للأجنبي الغادر والتنافس في سلوكيات خارجة عن الملة والدين ولا تزيد المجتمع إلا ضعفاً ولا تمنحه إلا الازدراء والمكانة الهابطة بين الأمم الأجنبية السيئة من موضات رخيصة وأغانٍ هابطة وأفعال ساقطة حتى بدأ بعض شرائح المجتمع العربي والإسلامي يتفاخرون بأعياد الميلاد على الطريقة الأوروبية ويتنافسون في اللباس على الأسلوب الغربي ويتباهون بالكلام الأجنبي في علاقاتهم الاجتماعية ويجعلون على صدورهم وفي أيديهم السلاسل الفضية والذهبية فضلاً عن القمصان التي تحمل صورا لممثلين وراقصين ومطربين أجانب أو عرباً لا أخلاق لهم وغير ذلك من أفعال وعادات تنم عن سقوط الأسوة الحسنة والقدوة الرفيعة من القلوب والعقول وتؤدي رويداً رويداً إلى زعزعة العقيدة في الأفراد ومن المجتمع، وصدق من قال إذا ضعفت العقيدة في النفوس اهتزت الأيدي التي تحمل السلاح فإذا اهتزت تلك الأيدي سقط السلاح!!

هذا ما كان يخشاه الشيخ وهو يضع اللبنات الأولى لنظرية البديل الإسلامي!!

فقد كان الشيخ علي مرهف الحس قوي الملاحظة قوياً دقيق النظرة لا يمتلك عينين في رأسه مثل بقية الناس بل أربع عيون عينان في رأسه وهما العينان اللتان ينظر بهما، ثم عينان في عقله وهما العينان اللتان تمثلان البصيرة لديه !!

وكان بذلك يرى العوامل والأسباب ويجمع الوقائع والملاحظات ويدرس المعطيات والمستجدات ويحلل ويعلل ويقارن، ثم ينتقل إلى مرحلة التأمل والتفكير العميق مستنبطاً ومستنتجاً ومستقرئاً ثم في النهاية مكتشفاً ومبتكراً ومبدعاً نظرية البدائل الإسلامية التي تعني أن لكل سلوك منحرف سلوكاً مستقيماً، وأن لكل عادة غربية سيئة قادمة من خارج حدود الإسلام وديار العرب والمسلمين، هنالك عادة إسلامية مستخلصة من صحيح الإسلام بأخلاقه وفضائله وسلوكيات رجاله الثقافية وأبنائه المخلصين والأتقياء بدءاً بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ومروراً بالأنبياء على اختلافهم ثم الصحابة والخلفاء الراشدين ثم بالعلماء العاملين منذ بداية الخلق إلى يوم الدين.

ومن الأمثلة على نظرية البديل الإسلامي التي عمل على تطبيقها مسألة أعياد الميلاد، وهي في الحقيقة من القضايا الأساسية لأنها شر الأبواب والنوافذ لقدوم غيرها من العادات الفاسدة، وبمعنى آخر إن انتشار أعياد الميلاد في بلادنا العربية والإسلامية، وهي موضة أجنبية غربية سيئة قد بدأت بعض الأسر على استحياء في تبريرها متسائلين: هل من ضرر من اجتماع العائلة على حفل شاي وحلوى في عيد ميلاد الأب أو الأم أو الزوج أو الزوجة أو الابن أو البنت مع إيقاد الشموع ثم إطفائها؟

لكن طارحي هذا السؤال إما خبثاء أو أنهم أغبياء، لأن العادة المنحرفة الساقطة غالباً ما تدخل المجتمع وتتغلغل في الأسرة بشكل تبدو فيه أنه لا ضرر منها، ثم تبدأ بالتمادي والتغلغل حتى تنتشر كمياً ونوعياً، أفقياً وعمودياً، وعند ذلك تتحول إلى مشكلة ثم كارثة تستعصي على الحل، وبالخصوص عندما يتمسك فيها الكبير والصغير وأحياناً الحاكم والمحكوم، ثم يصبح من ضحاياها بعض المتدينين وعند ذلك تكون الطامة الكبرى، ويتبين أخيراً أن هذه العادة التي دخلت على المجتمع على استحياء هي أفعى ذات سموم وأجراس، وأخطبوط أمسك بحبال يديه الطويلة في كل جهة من جهات المجتمع، وفي كل زاوية من زوايا الأمة ثم دخل إلى الأسرة وجلس في صالات المنزل ونام في غرفة النوم وعشش في الأبناء والبنات، يسري مع الدماء في عروقهم ويغذي عقولهم ونفوسهم، لتصبح ممسوحة بالسلوك الأجنبي ضعيفة أمام الفكر الأجنبي، خائرة القوى واهنة ليست قادرة على حرب ولا تستطيع خوض معركة، فإذا خاضت حرباً انهزمت وإذا دخلت معركة هربت وسقطت وهذا هو ما يحدث اليوم في عالمنا العربي والإسلامي كنتيجة منطقية لغياب نظرية البديل الإسلامي التي اكتشفها الشيخ المرحوم علي القطان.

إذاً تبدأ عادة الاحتفال بعيد الميلاد لأحد أفراد الأسرة ثم تنتقل إلى جميع الأفراد والأصدقاء والزملاء والجيران.

وتبدأ العادة المنحرفة ببعض الحلوى ثم إطفاء الشموع ثم باختلاط الرجال والنساء

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الشهادة النهائية لمعهد الدراسات الإسلامية والشرعية

استحق هذه الشهادة الشيخ علي أحمد القطان بعد أن نجح بعون الله تعالى في امتحان السنة الرابعة النهائية المنعقد سنة ١٣٩١ هجرية. الموافق سنة ١٩٧١ ميلادية. وكان ترتيبه العشرين من مجموع الناجحين وعددهم ثمانية وثلاثون ونسأل الله أن ينفعه بها وأن يكون قدوة للناس بعلمه وخلقه. وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

وزير الأوقاف والشئون الإسلامية

مع الضيوف ثم يصبح الهرج والمرج، وهكذا تضيع الأخلاق وتتدهور القيم وتصبح أعياد الميلاد باسم السيد المسيح عليه السلام (والذي هو براء منها إلى يوم الدين) تصبح مفسدة للأسرة والمجتمع ويستغلها مجموعة من تجار القيم المنحرفة والسلوكيات الساقطة ليزداد الفساد في كل مكان وليتحول المجتمع إلى مجتمع مستهتر، يتنافس بالأشياء والألبسة والأطعمة والأشربة والانحدار والانحراف بدلاً من التنافس بالأخلاق والقيم العالية والفضائل الرفيعة.

إن البديل الإسلامي عند الشيخ علي القطان للتخلص من هذه العادة المشئومة، عادة عيد الميلاد للابن أو الابنة، أن يقوم الأب بالبحث عن ذكريات سابقة ليست مرتبطة بالميلاد (أي بميلاد الابن أو الابنة المحتفل بها) بل مرتبطة بذكريات إسلامية، مثلاً : الاحتفال بتاريخ اليوم الأول الذي بدأ فيه الابن بالصلاة، وبمعنى آخر لنقل إن الابن قد بدأ بالصلاة يوم ٢٠٠٣/٧/١، فإن على الأسرة أن تحتفل في هذا اليوم بذكرى أول

صلاة بدأها الابن، وتجلس العائلة على بعض الحلوى المصنعة بالبيت إن أمكن أو المشتراة بأسعار معقولة دون تبذير ولا مبالغة، وينشدون أناشيد إسلامية وأغانٍ دينية على إيمان، وعلى أخلاق وهذا بالفعل يتناسب مع الأسرة الطاهرة والعائلة الكريمة الأصيلة والمجتمع النظيف، والأبناء الراشدين العاقلين...

هذه هي الطريقة والشرف الرفيع السالم من الأذى الذي لا يعرف هرجاً ولا اختلاطاً ولا إسرافاً، بل هو يتفق مع الإسلام، ويمرح ويفرح بما مرح به وفرح له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبذلك تترسخ من خلال هذا البديل عادات حسنة وسلوكيات رفيعة تتفاعل مع نفسية الشاب المسلم والفتى المسلم وتختلط مع الدماء في عروقه وتنمو مع شخصيته فيعلو سلوكه ويرتقي فعله ويصير بالفعل إنساناً صالحاً ليس لأسرته فحسب بل لوطنه وللأمة والإنسانية جميعاً.

إن نظرية البديل الإسلامي لا تقف عند الاحتفال بذكرى بداية أول صلاة للابن أو الابنة بل وكذلك في كل عمل رفيع مثل الاحتفال بذكرى تميز الابن في إحدى سنوات دراسته أو أحد مواقفه الاجتماعية التي تنم عن كرم أو شجاعة أو جراءة أو غيرة أو غير ذلك من السجايا العالية والشمائل الكريمة النامية، كالهمة والاعتدال والتسامح والمحبة ومساعدة الآخرين وغير ذلك.

إن نظرية البديل الإسلامي نظرية رائعة ورائدة تحتاجها اليوم أمتنا العربية بعد أن تفشت فيها مظاهر الغرب وسلوكيات الأجانب وأخلاقيات أعداء الإسلام الواضحة والصريحة، والتي بدأت تقول هأنذا لأن الكثير من أصحاب التربية الضعيفة أخذ بها وتباهى بالقيام فيها بل ونقلها إلى غيره حتى عمت وطالت واستطالت..

نظرية البديل الإسلامي تعني إعادة الاعتبار لقيمنا الإسلامية التي بدأ معظمها يندثر تحت زحام العادات الفاسدة والسلوكيات الأجنبية المائعة، ليس فقط لدى الأسر المنحرفة البعيدة عن الدين بل تغلغلت حتى وصلت إلى بعض الأسر النظيفة الفقيرة أو

العادية سواء في الريف أو المدينة، بل وصل الأمر إلى مستوى بعض العائلات المتدينة، حيث أخذت تجمع بين الإسلام كدين لها وبين بعض العادات الغربية مثل أعياد الميلاد، فترى العائلة متحجبة بناتها، يحافظ أفرادها جميعهم على الصلاة بل إن بعضهم يدعو في سبيل الله وغير ذلك من سلوكيات الإسلام، فإذا جاء وقت ميلاد الابن أو البنت اجتمعت الأسرة وقرر الأب أو الأم بإلحاح من الابن القيام بالاحتفال بعيد الميلاد، وهكذا تبدأ العدوى من شخص إلى آخر وتنتشر السلوكيات الأجنبية داخل الأسر المتدينة أو نصف المتدينة حتى وصل الأمر إلى اشتراط شهر العسل عند الخطبة، واشتراط الأثاث الغربي والأمريكي، رغم الادعاء بمحاربة أمريكا، أو قاعة حفل الزواج في قاعات الفنادق الكبرى والوقوع في التبذير عدا عن تعاطي الدخان الأمريكي وخاصة لدى الكثير من أبناء العالم العربي والإسلامي، رجالاً ونساءً، وطلبة وطالبات، بل وأطفالاً وطفلات، وعدا عن اللهث على الوجبات الأمريكية والغربية مثل الكنتاكي والماكدونالدز والبتزا الإيطالية والأمريكية، حتى أغلقت المحلات العربية و زاد ثراء الشركات الأجنبية والغربية..

إن من أهم الفوائد المترتبة على تطبيق نظرية الشيخ علي القطان في البديل الإسلامي ما يلي:

١) محاربة العادات الأجنبية الضارة بالمجتمع.

٢) وضع حد للقدوة الفاسدة القادمة من الغرب.

٣) محاصرة الغزو الفكري بمختلف أنواعه وضروبه.

٤) تحصين الأمة الإسلامية عامة والأسرة خاصة من كل دخيل أجنبي فاسد منحرف.

٥) تعليم أبنائنا عادات بديلة جديدة حسنة وصالحة.

٦) تذكيرهم بأيام لهم نظيفة مثل يوم بدء الصلاة، يوم بدء الزكاة، يوم النجاح بتميز، يوم وقوفه موقفا مشرفاً..إلخ.

٧) القضاء على جميع أشكال التبذير والاختلاط والهرج الذي يصاحب العادات المنحرفة.

٨) إحياء أخلاقيات الإسلام وأدبه ونظافته.

٩) تقوية العقيدة والسلوك ونشر العادات الصالحة.

١٠) مرضاة الله تعالى غاية الغايات

١١) الحفاظ على الاقتصاد الوطني والقومي والإسلامي.

يرحمك الله أيها الشيخ الجليل وأنت الآن في جنات الخلدإن شاء الله. يرحمك الله وأنت تضع هذه الأفكار والسلوكيات، دون أن تدرك أنها نظرية قائمة بذاتها... نظرية في السلوك ونظرية في العقيدة، نظرية في التغير الاجتماعي والاقتصادي، والتنمية البشرية وبناء الأمم وصناعة الحضارات.

رحمك الله أيها الشيخ الجليل أيها العالم العامل.

كم نحن الآن في أمس الحاجة إلى العالم العامل... وليس إلى العالم فقط !!!

الفصل السادس

كلمات وقصائد في الثناء على سيرة الشيخ علي القطان ورسائل وقصائد بخط يده

كلمات وقصائد

أولاً: الكلمات

١) كلمة الشيخ عبد الله علي المطوع — رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي

٢)كلمة الشيخ سيد يوسف سيد هاشم الرفاعي — وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الأسبق والنائب السابق في مجلس الأمة والمفكر الإسلامي

٣) كلمة الشيخ نادر النوري — أمين سر جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية

٤) كلمة الشيخ محمد ياسر القضماني — عضو رابطة الأدب الإسلامي إمام وخطيب بمسجدخيطان

٥) كلمة الشيخ أحمد باقر الكندري — مدير لجنة زكاة العثمان

٦) كلمة الشيخ محمود عبد الباقي (أبو خطاب) — مسؤول الإعلام والعلاقات العامة بلجنة زكاة العثمان

٧) كلمة الشيخ خالد حسون — مفكر إسلامي ورجل أعمال وصديق قديم للشيخ

٨) كلمة الشيخ راشد الحقان والأستاذ محمد العصفور — جمعية الدعوة والتبليغ- صبحان - الكويت

٩) كلمة الأستاذ فوزي جبر — مدير عام مكتب شركة علي عبد الوهاب وشركاه

١٠) كلمة الشيخ عصام بن محمد أنور رجب — داعية إسلامي

١١) كلمة السيد أبي معاذ — مرافق للشيخ ومحفظ في مراكز القرآن الكريم بالسالمية

١٢) كلمة الدكتور عادل حسون الخنساء — مؤلف الكتاب

١٣) كلمة السيدة سمية أحمد القطان — حفيدة المرحوم

ثانياً: نماذج من رسائله الخاصة وقصائده، وقصائد قيلت في رثائه

١) رسالة إلى كريماته في سوريا يحثهن على الصبر والرضا.

٢) كلمة من السيد عبد الله الرويح، رئيس لجنة زكاة العثمان، موجهة إلى الشيخ علي أحمد القطان.

٣) رسالة تزكية للجنة زكاة العثمان.

٤) ملخص محاضرة للشيخ علي أحمد القطان منشورة في جريدة الرأي العام - الكويت.

٥) قصيدة «يبكيك منبرك الحزين» للشاعر محمد عبدالله القولي.

٦) قصيدة «سر يا علي لعليين في سكن» للشاعر محمد مرتع بن صهيب سويدان.

٧) قصيدة «ابنة البيان» من الشعر المنثور للأخت الحفيدة مريم حرب.

٨) قصيدة «الحياة» من الشعر المنثور للشيخ علي القطان.

٩) قصيدة «أختاه» من الشعر المنثور يخاطب فيها شقيقته.

مدخل:

في هذا الفصل سيطلع القارئ على عدد من الكتابات والأقوال والكلمات التي سطرتها نخبة من رجال الإسلام من ذوي الثقة والاستقامة والعمل الصالح والعلماء والفقهاء وغيرهم ممن كانوا يعرفون الشيخ علي القطان حق المعرفة ويرتبطون به في علاقات دينية وأخلاقية ودعوية وخيرية، ويشاركونه السفر إلى العمرة أو الحج أو غير ذلك..

من هؤلاء الرجال الشيخ عبد الله العلي المطوع والشيخ سيد يوسف الرفاعي والشيخ نادر النوري والشيخ أحمد باقر الكندري مدير لجنة زكاة العثمان والشيخ جاسم المهلهل الياسين والشيخ راشد الحقان رئيس جمعية التبليغ والدعوة، والشيخ خالد حسون والدكتور عبد المحسن الخرافي، والأستاذ فوزي جبر والأستاذ أبو معاذ والأستاذ محمد رشيد العويد، وآخرون وآخرون من رجال الخير وأهل الدين وأصحاب المبادئ العالية ورؤساء الجمعيات واللجان الدعوية والخيرية وغيرهم.....

وبذلك تكاد تكتمل الصورة الحقيقية لشخصية الشيخ الذي استطاع بفضل من الله أن يصنع من نفسه داعية يميل إلى التطبيق والشمولية وأن يربي أجيالاً على الخير.

أولاً : الكلمات

١) كلمة الشيخ عبد الله العلي المطوع

رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي والداعية الإسلامي المعروف - الكويت

إلى الفردوس الأعلى

في ٢٠٠٣/١/١١م غاب عنا عمنا الكريم، ورفيقنا في طريق الدعوة، المحب الودود، الشيخ علي أحمد القطان، ابن الإسلام، وخريج مدرسة النبوة، الذي شاء الله أن تكون ولادته في بلاد الشام عام ١٩٢٢م، في محافظة حماه المشهورة بتدينها ودفاعها عن حمى الدين، وأن تكون وفاته عام ٢٠٠٣م في الكويت، حيث قضى فيها ما يزيد على أربعين عاماً داعية لله، خادماً لعباده، لا يكل ولا يمل في السعي على ضعاف الناس، فكأنه مخلوق لهم، وهو صاحب الهمة والمروءة، متنقلاً من مكان إلى آخر، محافظاً على قراءة القرآن، وعقد الدروس، وإلقاء المحاضرات وغير ذلك من أعمال العبادة البر والإحسان والخير فكانت له مكانته في المجتمع الكويتي بل وجميع سكان الكويت من مواطنين ومقيمين.

رحمه الله، لقد كان اهتمامه بالضعفاء والفقراء وذوي الحاجات واضحاً حتى خلال مرضه بل وحتى عند احتضاره وهو يردد الشهادة ليلقى بها ربه وتسمو بها روحه.

عبد الله العلي المطوع

٢) كلمة السيد يوسف هاشم الرفاعي

وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الأسبق والنائب في أول مجلس أمة في الكويت سابقاً، والمفكر الإسلامي والداعية المعروف.

الكويت ١٩ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ، ٢٧ / ٢٠٠٥/٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأصلي على رسوله الكريم سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام.

وبعد، ،

لقد سرني أن الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور عادل حسون الخنساء، ألف كتاباً تناول فيه الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة للفقيد الغالي الراحل إلى رحمة الله ورضوانه الأخ والرفيق الحاج الشيخ علي بن أحمد القطان، الحموي مولداً، الكويتي إقامة وصهراً، وإني لأشكر الأخ المؤلف الدكتور عادل على هذه المبادرة الطيبة لأنها تشكل مظهر وفاء للمودة والأخوة لفقيد عزيز على الجميع، وكذلك فإن مناقب وصفات الصالحين كالمرحوم الشيخ علي فيها القدوة والأسوة الحسنة التي تحتاج الأجيال من الشباب التأسيس عليها في وقت ندُرت وقلت فيه النماذج والأمثلة الطيبة التي يُحتذى بها.

لقد فقدت - شخصياً - في الراحل الكريم ركناً من أركان مجلسنا وديوانيتنا في المنصورية، حيث كنت أتبارك به وأسعد، وكان يجلس على يميني في دروس الثلاثاء والخميس من كل أسبوع، كذلك سعدت به وبصحبته الطيبة في الثمانينات حيث كنا نقضي فترة الصيف في عمان في الأردن، وكنا

آنذاك وإياه نزور الصالحين والدعاة أمثال المرحوم الداعية المعروف الشيخ سعيد حوى النعيمي ووالده والعلماء العارفين بالله تعالى أصحاب مجالس الذكر من السادة الرفاعية والشاذلية وغيرهم من الوجهاء ورؤساء العشائر العربية في الأردن العزيز.

ولازالت تلك الصحبة والرفقة منطبعة في قلبي ونفسي، كما تأثرت كثيراً لوفاته وانتقاله إلى رحمة الله تعالى، حيث فقده الكثيرون من الخاصة والعامة لأنه كان قد حول مسجد اللهيب بشارع بغداد إلى مركز للدعوة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المنطقة وكذلك جعل المسجد خلية اجتماعية يستقبل فيها الزوار والزائرات من الأرامل والمحتاجات والمحتاجين على اختلاف الجنسيات. كذلك فقد كان ركناً نشيطاً في جماعة التبليغ، فلطالما خرج معهم للدعوة في سبيل الله وسهر الليالي ذوات العدد داخل البلاد وخارجها معهم.

ختاماً، جزى الله الخير أخانا الدكتور عادل على هذه المبادرة الكريمة وجمعنا وإياه والمرحوم الشيخ علي القطان في فسيح جناته في مقعد صدق عند مليك مقتدر. آمين..

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه بيده الفانية صديق المرحوم

يوسف السيد هاشم الرفاعي

٣) كلمة الشيخ نادر النوري

أمين سر جمعية عبدالله النوري الخيرية والداعية الإسلامي المعروف

شخصية ضن الزمان بمثلها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ، ،

الحديث عن الصالحين تزكو به النفوس وتطرب له الأرواح ويربو الإيمان بذكرهم، ومن طليعة أولئك الصالحين الأبرار المتقين الأخيار العبد الصالح الموفق للصالحات شيخنا الجليل أبو أحمد علي بن أحمد بن يوسف القطان الحموي، يرحمه الله رحمة واسعة وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

كان يرحمه الله نموذجاً رائعاً ومدرسة ناطقة متحركة لفعل الخير وبذل المعروف، فدأبه تأليف القلوب وحث النفوس على الخير، ومنهجه إصلاح ذات البين وحل المشكلات والمعضلات، وتحسس آلام المعوزين والمحتاجين، يقضي الدين عن المدينين ويكشف كرب المكروبين ويسعى بشدة ساقيه يرفع عنهم مؤونة التحفظ والخجل.

كم مرة رأيته وهو يمسك بيده محتاجاً مكروباً يسدد عنه ديونه، فكنت أكبر فيه هذه المروءة والشهامة ولا أملك إلا تقبيل رأسه الشريف إجلالاً لهذا الجواد المفضال.

تدمع عيناه حينما يسمع عن نكبة من النكبات ابتُلَي بها المسلمون، ويفيض قلبه رقة ورحمة على تردي أحوالهم، ولا يهدأ حتى يبلغ في سعيه الغاية ولو أخذت من فكره وراحته وصحته وجهده النهاية.

وأحب ما عندي أن أتبرك بدعائه الصالح، أطلب منه دائماً قراءة القرآن والدعاء في الماء ليتشافى به بعض المرضى، فوجدت فيها صدقاً بركة وخيراً كثيراً وربما طلبت منه أن يأتي ليرقي بعض المرضى الميؤوس من شفائهم فتكون لمساته وكلماته بلسماً شافياً بإذن الله.

لقد كان رحمه الله خطيباً بليغاً ومحدثاً سلساً مؤثراً يحرك النفوس ويثير المشاعر ويلهب الأحاسيس، ويحب جلساءه في مجلسه العامر في غرفته المتواضعة المليئة بالكتب والمراجع في مسجد اللهيب في ميدان حولي.

يقدم بين يديك ما عنده بسخاوة نفس وطيبة قلب، يطعمك ويسقيك ويشعرك بالمودة والمحبة والألفة، ومن أهم طباعه وسجاياه أنه لا ينسى أصحابه القدماء، من مرض منهم أو انقطع فتراه يحث على زيارته ويعوده في مرضه وانقطاعه، كأنما يسمع نبضات قلوبهم وما تعتلج به صدورهم وما تفيض به نفوسهم من هموم ومشكلات فيتحسسها كأنه هو الذي أصيب فيسعى لحلها ومعالجتها.

أسوته حقاً وصدقاً من كان يغيث الملهوف ويكسب المعدوم ويحمل الكَلَّ ويعين على نوائب الحق.

أما عفة نفسه وترفعه عن الدنايا وحطام الدنيا فحدث ولا حرج يجمع للمحتاجين الألوف والألوف وهو عفيف مألوف، وكان يرحمه الله يورث هذا الفضل والمعروف لبنيه الذين لا يزالون يترسمون خطا سلفهم الصالح.

إنها والله مصيبة أن يفقد الفقراء والمساكين هذه الشخصية الفريدة التي ضن الزمان بمثلها.

الشيخ نادر النوري

أمين سر جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية

٤) كلمة الشيخ محمد ياسر القضماني

(إمام وخطيب بمساجد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت- عضو لجنة الإفتاء الشرعية- عضو رابطة الأدب الإسلامية العالمية)

جنازة الشيخ علي القطان وعظة الموت

امض إلى ربك، فإنا على أثرك ماضون!

كلمات كان يقولها سيدنا أبو هريرة- رضي الله عنه- إذا رأى أحداً يُحمل في جنازة.

ذكرت هذا حين شيعنا اليوم أخانا الكبير الشيخ المبارك الداعية الدائب في الخيرات، القائم على الكثير من الوظائف الشرعية، والسنن النبوية، والآداب المرعيات، الفاضل المعمر في الإحسان أبا أحمد علي القطان- رحمة الله عليه.

امض إلى ربك، فإنا على أثرك ماضون!

نعم إي وربي، هل يخرج أحد منا عن هذا القانون، أو يشذ عن هذا الناموس!؟

سنموت جميعاً شئنا أو أبينا!

تعالوا كلنا نؤمن بهذا، ولكن هل أعددنا العدة، للنزول في هذه المنزلة الأولى من منازل الآخرة!؟ اليوم نفضنا أيدينا من تراب القبر، ثم عدنا إلى بيوتنا، فبأي حال عدنا!؟ لقد غلبت علينا شهواتنا، وركنا إلى كثير من غفلاتنا، وما عدنا نعتبر كثيراً بالموت!!

وكان الأعمش يقول: كنا نشهد الجنائز ولا نعرف من يعزى، لأن الحزن قد عم الناس كلهم. كانوا- أعزهم الله من أقوام عمروا آخرتهم- على ذكر من الآخرة.

وكان ثابت البناني يقول: كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متلفعاً باكياً.

واحسرتاه على أنفسنا كم من باكٍ بيننا!؟

أو أحسنا كل الإحسان في الأقوال والأعمال حتى ما نرى حاجة تدعونا للمحاسبة!؟

وإن رأينا باكياً- وقد عز البكاء في الجنائز- لا نرى باكياً على موتى القلوب! فيا عجباً نبكي على موتى الأبدان، ولا نبكي على موتى القلوب والأرواح وهو أفظع وأشنع!! وما موت القلوب إلا بشؤم الغفلة عن مراقبة علام القلوب، والركون إلى هذه الفتانة السحارة، والتبسط في متعها والعبُّ من شهواتها!

روى البزار مرفوعاً: ينادي مناد كل يوم دعوا الدنيا لأهلها، دعوا الدنيا لأهلها، دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهولا يشعر.

وروى الطبراني وغيره مرفوعاً :ومن مدَّ عينه إلى زينة المترفين كان مهيناً في ملكوت السموات. كم شغلتنا زينة المترفين، وبهرجة البطِرين، وشهوات المبذرين إخوان الشياطين، فإلى متى!؟

روى الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً: من أُشرب حب الدنيا التاط منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه، فالدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت فيأخذه، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه.

حنانيكم يا من ودعتم الشيخ علياً هذا اليوم، وخلفتموه في قبره، هل ذكرتم أنكم لا تنفكون عن هذا المصير، ولا تشردون عن هذا المسير!؟

لقد أودعناه في قبره الذي نسأل الله تعالى أن يمد له فيه مد بصره، ويجعله روضة من رياض الجنة، وأن يكرم فيه من روح وريحان الجنة إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

لقد نفض الشيخ علي القطان- رحمه الله- وراء ظهره كل الدنيا أمامكم حين نزل قبره، فلنحرص على ألا نشتغل إلا بما يبقى في الأجداث.

لقد شهد لك- ويا هنيئاً لك- كل من حضر، ومن تخلف عن التشييع بعذر- بالخير

والفضل والتوفيق فلتهنك شهادة هذه الجموع!

أولم يقل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : وجبت- أي الجنة- لمن أثنى عليها الناس خيراً، ووجبت- أي النار- لمن أثنوا عليها شراً. ثم قال: أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض!؟

جاء في مسلم والترمذي والنسائي مرفوعاً :ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه.

والله إنها لبشارة عظمى فما أدراكم إن صلى وشفع اليوم على الشيخ آلاف بحق!؟ وأنا ما رأيت زحاماً في مقبرة الكويت ما رأيته في هذا اليوم- رحمة الله عليه -.

لقد بكتك القلوب قبل العيون يا شيخ علي، ونسأل الله أن يؤمنك يوم الفزع الأكبر، وتتلقاك ملائكة الرحمن بالتسليم.

لقد جاوزت ثلاثاً - كما قال إبراهيم الزيات: رؤية ملك الموت، وذوق مرارة الموت، وأمنت سوء الخاتمة- فيما نحسب إن شاء الله.

فوا حسرتنا على ما فرطنا، يقيناً نحن! فهل نأمن سوء الخاتمة عياذاً بالله- نسأل الله أن يعاملنا بما هو أهله ولا يعاملنا بما نحن له أهل فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

آجرنا الله في مصيبتنا، وآجر أهل الشيخ وذويه وجيرانه، ونسأل الله أن يخلف لنا في عقبه، وأن يمتعنا بعلمائنا وصلحائنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويضاف إلى هذه الكلمة الطيبة ما كتبه الشيخ محمد ياسر القضماني في إحدى المجلات الكويتية بعنوان «وتجهز للحاق بنا».

«وتجهز للحاق بنا»

«ذهبت النبوة ولم تبقَ إلا المبشرات»

صدق المصطفى- عليه الصلاة والسلام- والمبشرات هي الرؤى الصالحة: يراها

الرجل أو ترى له!

حدثتني أخت طيبة وابنة رجل صالح قالت:

رأى والدي قبل وفاته بيومين الشيخ علياً القطان - يرحمه الله - وكان والدي صاحباً ومحباً له - أن الشيخ يقول له: تجهز فإنك ستلحق بنا بعد يومين! وقد فرح والدي بهذه الرؤيا وتعجب من بشارة الشيخ، وبعد يومين تتأكد البشارة برؤية أكرم الناس وأصدق الناس، رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له مؤكداً:

تجهز ستلحق بنا!! ويدخل على والدي في هذا اليوم صديق حميم له فيقول له والدي: أنا سأموت فلا تتأثروا!

يعجب الصديق فيتساءل قائلاً: ما لك أبا فلان أنت بخير، ونسأل الله أن يبارك في حياتك، وفي أولادك.

والدي: لا، لا، هذا كلام لا ينفع، فأنا مرتحل، فقد رأيت أخانا الشيخ علياً القطان - رحمة الله عليه- قبل يومين يبشرني بالقدوم عليهم بعد يومين، وهذا اليوم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرني بالقدوم عليهم، فما معنى كلامكم هذا؟!!

تقول لي ابنته الطيبة:

ويعتل والدي في اليوم نفسه فيسرع به صديقه إلى مشفى قريب، وهو ببعض الطريق يتعكر ويتغير فقلق عليه وأخذ يلقنه الشهادتين وإذا بأبي يكثر من الاستغفار وبعض الأذكار، وأخذ يثقل فسارع للشهادتين فقالها واضحة لا غمغمة فيها ولا تلجلج، وأتبعها بأخرى غير أنها ما تمت، إذ ثقلت الحروف وحم القضاء فمال برأسه على كتف صديقه، وأسلم روحه إلى بارئها وهو في الطريق قبل وصوله المشفى!

ومما زادنا عجباً من وفاة والدي- رحمه الله- أننا ونحن في الطريق إلى تجهيزه كنا نقرأ القرآن فرأيته يبتسم بكل وضوح، ما رأيك - شيخنا - بهذه الرؤيا التي رآها وبهذا الختام الذي ختم له!؟ قلت: هنيئاً لوالدكم، وأبشروا ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخذت كلمات هذه الأخت وقصة والدها ببشارة الصالح وسيد الصالحين مني كل مأخذ!

فحذار أن تظن أن مثل هذا يجري اعتباطاً، لا، لا! فهذا رجل درج على الخير، واستهلك في طريقه!

ولا يذهبن بنا الوهم أن هذا الختام الحسن، والعاقبة الحميدة لا يتأهل لهما إلا من اشتهر بكثرة صلاة أو صيام أو لزوم ورد معين، لا! لا! فكم تأهل له أناس كان دأبهم- بعد إقامة الفرائض ولزوم السنن النبوية- السعي في مصالح المسلمين، بالتنفيس عن المكروبين، ونجدة الملهوفين، والتخفيف عن المغمومين والمحزونين، وإيواء من لا مأوى له، وغيرها من الحاجات.

وهكذا كان حال صاحبنا الشيخ علي القطان- رحمة الله عليه- اشتهر بالسعي في مصالح الناس، هذا يحتاج إلى شفاعة، وهذا يحتاج إلى بيت، وهذا يحتاج إلى زوجة، وهذا يحتاج إلى دواء، وهكذا! هذا الختام عليه المعول في الآخرة، فهل نعلم خواتيمنا!؟ وبكم يشترى حسن الختام الذي عليه المعول في الآخرة، فهل نعلم خواتيمنا!؟ وبكم يشترى حسن الختام إذا دنا الانصرام، وزاد رشح الجبين، ومرت دقائق أو ثوان هي أثقل على الميت وجلسائه من الجبال، وأشق من حمل الجلاميد الراسيات!؟

أنا أقول لكم كم ثمنه:

أن تجعل قلبك ملكاً لواحد، لا يحب إلا ما يحب، ولا يكره إلا ما يكره، هذا الواحد هو الله رب العالمين! كثير على هذا الذي خلق قلبك- فيما لا يحصى من الخلائق- أن تسلمه له؟ ومن الذي سيسلم بإسلامه في العاجلة، ويسود في الآجلة إلا أنت!؟

ويحك! إنما أنت هذه المضغة فيا سعادتك بسعادتها، ويا شقاوتك بشقاوتها.

محمد ياسر القضماني

٥) كلمة الشيخ أحمد باقر الكندري،

مدير لجنة زكاة العثمان- الكويت، والداعية الإسلامي المعروف، والتلميذ الوفي للشيخ حسن أيوب، في مسجد العثمان بحولي سابقاً.

الشيخ علي القطان والأستاذ أحمد باقر الكندري مدير لجنة زكاة العثمان وإخوانه في الله

أنعم الله على الكويت بوجود عدد من الرجال العلماء والمخلصين والعاملين والدعاة، اختلطوا مع أبنائنا، ودعوا إلى الله مخلصين في أنحائها، وكان على رأس هؤلاء الدعاة المخلصين الشيخ علي أحمد القطان الذي هاجر من وطنه الأول سوريا إلى وطنه الثاني الكويت.

ولقد شاء الله أن تعلمت التجويد على يد الشيخ عام ١٩٧٥م في مسجد الرميثية، وكان معي الأخ العزيز عبد العزيز عبد الرحيم الكندري، وكذلك الأخ راشد الدمخي، والأخ إبراهيم عبد الرحيم الكندري وغيرهم من الشباب التواق للعلم والمعرفة.

الشيخ علي القطان متحدثاً في إحدى أمسيات ديوان الأستاذ باقر الكندري بالجابرية

وكنت أحاول حضور صلاة الجمعة في المسجد الذي يخطب فيه الشيخ، نظراً لما تحتويه خطبته من مواعظ وإرشادات وأفكار شرعية وعلمية، كما كنت أحضر معه في الفطور الجماعي الذي يلتزم به بعد صلاة الفجر من كل يوم جمعة، مثلما أحضر جميع الحفلات والأعراس

التي يقيمها في المسجد حيث كان يشجع الشباب على إقامة الحفل في المسجد بعيداً عن الفنادق، ففي المسجد تلقى كلمات دينية وإرشادات ثم تتم المباركة للمعرس ثم يتجمع الأحباب حول العشاء في إحدى جوانب المسجد، فتقوى بذلك روابط الأخوة والمحبة في الله، ويشعر الإنسان بأن للمسجد أدواراً كثيرة في التربية والتكوين والتنشئة الاجتماعية والأخلاقية والشرعية والعملية.

وكان الشيخ علي القطان يلتقي دائماً مع الشيخ حسن أيوب وبالخصوص في ديوانيتي منذ عام ١٩٧٠م، حيث استمر الشيخ في حضور دروس الديوانية وندواتها يرافقه عدد من الأخوة الكرام دون كلل أو ملل حتى قبيل دخوله المستشفى مما يدل على همته وشهامته ومحبته لطلب العلم.

لقد كان الشيخ علي القطان صورة رائعة من صور تربية النفس والتواضع وخدمة الناس وفعل الخيرات، يعمل ليل نهار من أجل إضفاء السرور على أسرة فقيرة أو شاب متعطل أو إنسان ألمت به كارثة.

لقد فقدنا في رحيل الشيخ، شيخاً جليلاً، وأستاذاً كبيراً، وعالماً عاملاً، وعزاؤنا أنه مع الرفيق الأعلى في عليين.

أحمد باقر الكندري

(أبو عبد الله)

الشيخ علي القطان في ديوان الأستاذ أحمد باقر الكندري بالجابرية بالكويت

٦) كلمة الشيخ محمود عبدالباقي (أبو خطاب)

مسؤول الإعلام والعلاقات العامة بلجنة زكاة العثمان - الكويت - والداعية والمصلح الاجتماعي.

الشيخ علي القطان تاريخ حافل بجلائل الأعمال

إن المتتبع لمسيرة المرحوم الشيخ علي القطان وأعماله الخيرية والدعوية يمكن أن يستنبط نتيجة هامة مفادها أن الشيخ علي القطان يمثل تاريخاً مجيداً ومليئاً بجلائل الأعمال وفضائل الأفعال. فقد عرفناه منذ أكثر من أربعين عاماً في لجنة زكاة العثمان وغيرها من اللجان يساهم ويشارك ويتعاون ويدعو إلى الله بكل بصيرة.

إن من حق الشيخ علي القطان - يرحمه الله - على أبنائه وتلاميذه ومحبيه- بعد أن طويت صحيفته ولاقى ربه جل وعلا- أن نستمسك بما كان يوصي به، ويحث على الاعتناء به، تلاوة وتجويداً وحفظاً، كما كان يوصي بالتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والتأسي به وبهديه وأخلاقه في شتى شؤون الحياة.

وحسناً فعل أبناؤه الكرام عندما قرروا تأسيس وإنشاء مسابقة رمضانية سنوية باسم الشيخ رحمه الله، في أفضل مواسم الطاعة والرحمة والمغفرة، في شهر القرآن والغفران... في شهر رمضان، لتكون بابا من أبواب الدلالة على الخير والتسابق فيه، والله تعالى يقول ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين**﴾(سورة آل عمران/آية: ١٣٣).

حيث كانت هذه المسابقة ذات فروع متعددة، ليس في حفظ القرآن والحديث فحسب، بل في حفظ وفهم القرآن الكريم، وفي نظم الشعر الذي منه حكمة، وفي القصة القصيرة الهادفة، وفي فن تقديم العروض على أجهزة الكمبيوتر الذي بات من الوسائل الدعوية الحديثة الناجحة، وأخيراً في المعلومات الإسلامية

والشرعية التي تشكل جزءاً من ثقافة المسلم في الحياة. ولا شك أن التسابق في كل ذلك، مما يدخل في باب التسابق إلى الجنة والمغفرة التي وعد الله بها عباده، إن ابتغى بذلك وجه الله تعالى.

وإنني وأنا أكتب هذه الكلمات المتواضعة أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم وشارك في إخراج هذا الكتاب سواء بالكلمة أو بالوقت أو بالجهد أو بالمال، دون ثواب يرجونه من أحد، سوى ثواب الله تعالى على جهدهم في إحياء ذكرى رجل صالح وداعية مؤثر ترك في نفوسهم كل خير، فأحبوا أن تستمر مسيرته من بعد مماته، إن الشيخ علي القطان رمز من رموز الخير، ومصباح من مصابيح الأمة، قضى حياته في مساعدة الناس وخدمة الإسلام، اللهم اغفر للشيخ علي القطان، واجعل مثواه في أعلى الجنان، وارحم موتانا وموتى المسلمين، واجعلنا في شهر رمضان من المقبولين الفائزين، اللهم آمين

محمود عبدالباقي (أبو خطاب)

الشيخ أحمد القطان (أبو عبد الله) يلقي درساً في مسجد اللهيب وإلى جانبه الشيخ علي القطان داعياً

٧) كلمة الشيخ خالد حسون «آل الخنساء»

مفكر إسلامي ورجل أعمال وصديق قديم للشيخ في منطقة السلمية بمحافظة حماة

الشيخ علي القطان حجة على الناس

منح الله الإنسان مكانة عالية في العالمين، وخلقه قبل ذلك في أحسن تقويم، وأنعم عليه بنعمة العقل والتفكير، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأنزل من أجله الشرائع وأكرمه بالأنبياء والرسل، وطلب منه مقابل هذه النعم وأمثالها، التي لا تعد ولا تحصى، طلباً واحداً يتمثل في التقوى والاستقامة والعمل الصالح بعيداً عن الوهن والأنانية والشرك والكفر والفساد والانحراف والفواحش ما ظهر منها وما بطن... ومجمل ذلك وخلاصته تعود بالنفع على الإنسان إذا أصلح نفسه واستقام.. لكن العجب العجاب أن يتنكب عن الطريق الصحيح، ويبيع جميع تلك النعم والكرامات العالية بثمن بخس، بل بأبخس الأشياء، فيختار الهبوط بدلاً من العلو، ويغوص في مستنقع الانحراف بدلاً من الصعود إلى قمة المجد. ينطبق ذلك على الناس بدرجات مختلفة فكلما ابتعد الإنسان عن منهج الله كلما هبط وسقط، وكلما ازداد قرباً من منهج الله كلما علا وارتفع، وبين كل درجة ودرجة درجات ولله في خلقه شؤون.

فأين الشيخ علي من هذه المسؤوليات وتلك الدرجات، وماذا اختار هذا الرجل الجليل الذي شاء الله أن يولد في مدينة حماة عام ١٩٢٢م، وأن يتوفاه الله في مدينة الكويت في ٨ ذو القعدة ١٤٢٣، ٢٠٠٣/١/١١م عن عمر يناهز ٨١ عاماً.

وهل استطاع الشيخ بفضل من الله ثم بجهوده الذاتية واتخاذه الأسباب أن يصل إلى مستوى يكون فيه حجة على الناس جميعاً في عصره؟

وما هي الركائز والمعادلات التي يمكن للمراقب والباحث التي يستشفها من

سلوكه وأخلاقه وتصرفاته ومواقفه الدائمة، والتي لا يمكن للكثير من الناس أن يبلغوها!؟

والجواب أن من المؤكد أن الشيخ علي القطان قد عايش عدداً من المعادلات إيماناً وفهماً وإدراكاً وتطبيقاً وشمولية واستمرارية بشكل يعجز الكثيرون عن اللحاق به...

وإذا كانت ظروف نشأته لم تكن تساعده على التميز بتلك المعادلات نظراً لتعرضه لليتم المبكر، وعدم استمراره في التعليم الحكومي حيث ترك المدرسة نهاية الصف الرابع ابتدائي، مشتغلاً بعد ذلك في التجارة، ومتزوجاً من زوجات أربع، ومهاجراً من بلده إلى الكويت واستقدامه الأسرة معه وغير ذلك من العوائق فكيف استطاع التميز أخيراً في فكره وقدراته حتى بات مؤسساً لمدرسة العمل في التاريخ المعاصر للصحوة الإسلامية، وحتى أصبح مصباحاً لمدرسة الإيثار وخدمة الناس، والسعي في حاجات الضعاف من الفقراء أفراداً وعائلات.

وإلى جانب عوائق الظروف هذه نشأة وتكويناً وهجرة، فإن ظروفاً أخرى تنضم إليها لتزيد من سوء الظروف التي تعرقل أعظم الأعمال، والتي تمنع الإنسان من النجاح والريادة، وتتمثل هذه الظروف الثانية في ضعف الإمكانات المادية وما شابهها، فالشيخ علي القطان لا يمتلك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وليس له من الأرصدة والحسابات المالية ما يساعده على العطاء، ولا يقع على رأس قبيلة كبيرة، ولا يحتل وظيفة قيادية عالية وغير ذلك من أسباب القوة ومسببات الإمكانات! لكنه مع ذلك قد سخر جميع إمكاناته في خدمة دينه، ولم يبخل أبداً بجهد ولا وقت ولا مال ولا جاه ولا حسب ولا نسب إلا جعله خدمة للدعوة، وجسراً لمساعدة الناس منذ بداية حياته وشبابه حتى شيخوخته ونهاية حياته.

إن من نعم الله على عالمنا المعاصر، على اختلاف دوله وبلدانه، أقاليمه وتكتلاته وانتماءاته واتجاهاته، ولادة الشيخ علي أحمد القطان في العقد الثاني من القرن العشرين، حيث كان له دور كبير في هداية الكثير من الناس، ومساعدة الكثير

الشيخ علي القطان رحمه الله

من المحتاجين مما يعني على المستوى الإنساني والعالمي أن الشيخ علي أحمد القطان قد ساهم بطريق مباشر وغير مباشر في خدمة الإنسانية، مخففاً من معاناتها، مقللاً من دوائر الانحراف فيها على اعتبار أن العالم ما هو إلا قرية صغيرة، وأن أهم ما يتميز به هو الترابط بحيث أن أي عمل إيجابي ينعكس حتماً على المصالح الأساسية للبشرية والمجتمع الإنساني.

ومن نعم الله على العالم العربي والإسلامي ورحمته بهما ولادة ووجود الشيخ علي القطان فيه كي يساهم فعلاً في النهضة الدينية والصحوة الإسلامية التي بدأت طلائعها منذ بدايات القرن العشرين وها نحن نشهد نتائجها باتساع نطاقها في كل مكان.

رحم الله الشيخ علي القطان، رفيق الدرب وصديق العمر، الذي لم يمت بروحه وفكره حيث ترك لنا نظريات في العمل الخيري، ومناهج في خدمة الدعوة والدين ومساعدة الآخرين فكان بذلك حجة على الناس.

خالد حسون «آل الخنساء»

٨) كلمة الشيخ راشد الحقان والأستاذ محمد العصفور

من جمعية الدعوة والتبليغ - مسجد صبحان - الكويت

رحم الله شيخنا الجليل علي أحمد القطان السوري الجنسية، الذي كان لا يفارقنا أسبوعياً في مسجد صبحان رغم مشاغله الكثيرة وأعماله العديدة في خدمة الدعوة والناس.

وقد كان رحمه الله يخرج معنا إلى الأحياء والضواحي في الكويت للدعوة والتبليغ، بل أنه شارك معنا في حضور الاجتماع الكبير في باكستان وبنغلادش رغم كبر عمره، ورغم تعبه ومسؤولياته.

يتميز الشيخ علي القطان بتواضع شديد ومحبة كبيرة للعبادة، والاقتداء بالسنة، وإغاثة الملهوف ومساعدة الضعفاء، وإصلاح ذات البين، فهو دائم العمل والجهد وقراءة القرآن، وحضور الدروس والإكثار من الصلاة والصوم.

رحم الله الفقيد وأسكنه عالي جناته، فقد كان دائم الحركة، دؤوباً على العبادة، محفزاً ومشجعاً على فعل الخيرات، صاحب همة ومروءة، لا يهدأ نهاره وليله، فكأن الله سبحانه وتعالى أعطاه قوة على قوة وأمده بالإرادة الحديدية التي من خلالها يؤدي عمله الذي لا ينقطع جهاداً بالله وخدمة لعباد الله.

الشيخ راشد الحقان والأستاذ محمد العصفور

٩) كلمة الأستاذ فوزي جبر

مدير مكتب المدير العام لشركة علي عبد الوهاب وشركاه، ورئيس لجنة المساعدات في الشركة والداعية الإسلامي المعروف.

في البداية أرجو الله لشيخنا الراحل الرحمة والمغفرة، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، فأنا أكُن له كل محبة واحترام وتقدير لهذا القلب الكبير والشيخ المربي ورفيق الدرب، الذي عرفته ورافقته من أكثر من خمسة وأربعين عاماً وذلك منذ معرفتنا بالمرحوم الحاج رسلان الخالد.

لقد كانت روح الشيخ علي القطان متعلقة بشباب المستقبل، حيث لا يتردد في التواجد مع الشباب وحثهم على فعل الخيرات، والاقتداء بالرجال، وكان - يرحمه الله - يعمل الخير دائماً فكأن عمل الخير في دمه خليط أصيل، زرعه في نفوس أبنائه حتى أن كل واحد منهم قادر بإذن الله تعالى على القيام بجزء يغطي فيه غياب والده.

رغم كبر سنه فما كان ليمنعه عن القيام بواجباته الدعوية، وخدمة إخوانه في كل وقت، وهذه الصفة تجعلني أكبر فيه الهمة والصبر على ما يلاقيه في هذا الطريق الطويل الشاق.

ومع كل ما يقوم به من أعمال لا ينسى طلب العلم والتزود بالعلم دوماً سواء في جلساته الصباحية والمسائية في مسجد اللهيب وسواء في الدواوين التي يزورها.

كان منذ بداية شبابه حتى نهاية الخمسينات وبعد صلاة الفجر يجلس ويراجع القرآن مع إخوانه في الله ثم ينطلق إلى سوق الخضر واللحوم فيشتري ويوزع في سبيل الله على العائلات الفقيرة العفيفة التي لا مورد لها ولا عائل، مرافقاً للشيخ رسلان الخالد.

يعمل بدوام كامل ليلاً نهاراً في التجارة الرابحة مع الله رب العالمين.

كنت أسعد بلقياه في مكتبي عندما يحضر إلى شركة علي عبد الوهاب ومعه كشوف بأسماء المحتاجين حيث نجلس معاً لتمديد المساعدة لكل أسرة حتى نصل إلى المبلغ النهائي الذي يعتمده (أبو بدر) بكل سهولة فيستلمه الشيخ علي القطان ويعمل على توزيعه، وهذا يكلفه عناء ومشقة لا يقدر عليها إلا أولو العزم من الرجال.

كان يساهم في التسهيل لكثير من الوفود الإسلامية التي تأتي في شهر رمضان المبارك لجمع التبرعات لفقراء المسلمين فيساعدها ويوجهها ويحسن ضيافتها لترجع إلى بلدها معززة مكرمة، وقد حمى الله الكويت بفضل هذه الأعمال الخيرة.

إن العلم ليعجز أن يسطر جميع أعمال هذا الرجل الخير، وقصصه المتجددة يومياً ومثابرته عليها دون كلل أو ملل، يعطينا من علو همته الدروس والعبر، فكان القدوة والمثال لكل عمل نبيل وكريم، وهو مؤشر على عظمة الأمة الإسلامية، وقوتها وانتصارها بإذن الله، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

رحم الله شيخنا الجليل أبو أحمد علي القطان وجمعنا وإياه مع النبيين والشهداء والصالحين يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

فوزي جبر

١٠) كلمة الأستاذ عصام بن محمد أنور رجب (داعية إسلامي)

الشيخ علي القطان إلى رحمة الله

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (آل عمران ١٨٥) صدق الله العظيم، الموت حق وكل منا سيأتيه قريباً أو بعد حين. تفجر الدمع في مآقي العيون، وعجز القلب عن كتمان الحزن المكنون إذ جاء الخبر برحيل حبيب آخر، وكم من حبيب قد رحل، ولكنه قضاء الله الذي لا محيص عنه ولا مفر.

ها هو شيخ فاضل يرحل عن عالمنا ملاقياً ربه عز وجل بعد أن أبلى بلاء حسناً في خدمة الإسلام والمسلمين. إن الشيخ الفاضل علي بن أحمد القطان يرحمه الله. من شهد دفنه عرف قيمة الشيخ ومدى حب الناس له، إذ كانت الجموع كمد البصر كلهم يريد الأجر ولم يأتوا إلا محبة في الشيخ ووفاء له، فترى الكبير والصغير والعالم والتاجر الشرقي والغربي اجتمعوا كلهم في المقبرة بعد أن كان الشيخ يجمعهم حوله في حلقات دروسه وقراءة القرآن الكريم على مدى عقود من الزمن مضت.

كم كان محباً للمسلمين، يقضي مصالحهم ويسمع شكواهم، ويشفع لهم لقضاء حوائجهم، لم أزره يوماً إلا ووجدت عنده من يسأله قضاء حاجته فيبادر إلى ذلك ببشاشة ورحابة صدر ودون تردد أو اعتذار عنه بمشاغله، فقد كان المسلمون هم شغله الشاغل.

كم من فقير لجأ إليه فأعانه على نوائب الدهر وشفع له عند من يرفع عنه الفقر، وكم من شاب سعى إليه طالباً منه أن يعينه على الزواج فيبحث له عن فتاة تناسبه ليزوجه لها، وكم من رجل أعانه على إيجاد وظيفة تناسبه.. جاوز السبعين من عمره ولكن كانت له همة الشباب في مقتبل العمر، لم يفتر عن صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع.

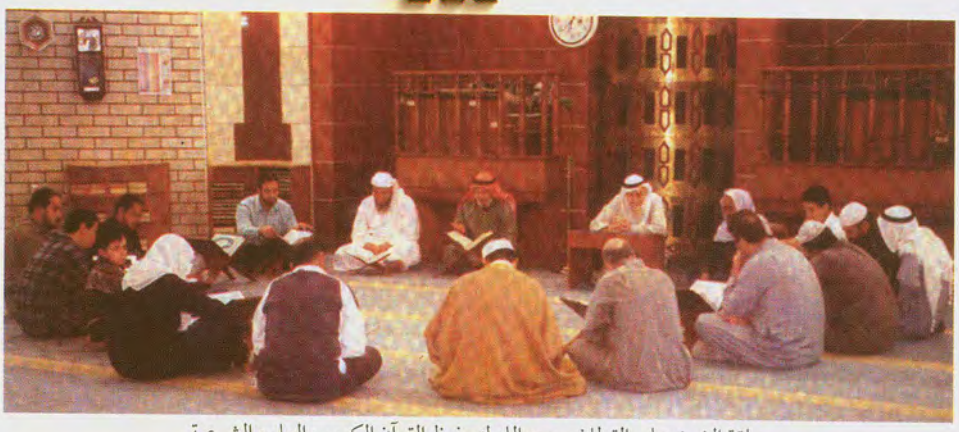

حلقة الشيخ علي القطان رحمه الله لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية

كان مواظباً على قراءة ربع حزب في صلاة الفجر، ومن واظب عنده على صلاة الفجر عرف ذلك، ومن جرب القراءة عليه رأى شدة عزيمته وصبره على الطاعة. رحمه الله برحمته الواسعة.

أنشأ حلقة لقراءة القرآن بعد صلاة الفجر منذ ثلاثين عاماً ولا تزال مستمرة إلى يومنا هذا، دأب على القراءة فيها المئات.

كان حريصاً على الصلاة في مسجده حتى في أيام إجازته إلا أن يكون مسافراً خارج الكويت، وله مواقف وقصص مشهودة لا يتسع المقام لذكرها، ولعل فيما ذكرناه كفاية.

لقد مات الشيخ، ولكن ستبقى ذكراه حية في قلوبنا، وسيبقى فضله الذي غمرنا به نصب أعيننا، وسيبقى أبناؤه الصالحون يدعون له بعد موته، وستبقى حلقته مستمرة بعد فقده، وهذا من فضل الله عز وجل عليه، غداً يموت الإنسان ولا ينقطع أجره بموته. ويفنى جسده وينقضي أجله ولكن يخلد ذكره.

والله إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنّا على فراقك يا شيخنا لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ..... إنا لله وإنا إليه لراجعون.

عصام بن محمد أنور رجب

١١) كلمة الأستاذ أبو معاذ،

مرافق الشيخ ومؤذن في مسجد اللهيب

ماذا أقول في رثاء شيخنا الكريم الذي كان بالفعل صورة صادقة للمسلم المخلص في دينه وعقيدته، وفي عمله وسيرته، حيث كان يرحمه الله وحسب رؤيتي له يومياً ومرافقتي له في المسجد، أنه يصل بكلال الليل كلال النهار في العبادة وقراءة القرآن، وخدمة الناس ومساعدة الضعفاء.

كان الشيخ علي القطان لا يهدأ من دعوة الناس إلى الخير، وتحفيزهم نحو الخير سواء كانوا كباراً أو صغاراً، لا تأخذه لومة لائم في قول الحق وفي الدعوة إلى الله.

وكان يرحمه الله يستقبل يومياً المحتاجين في مكتبه بالمسجد، سواء لمساعدتهم أو لكتابة التزكيات لهم، أو للإصلاح بينهم أو غير ذلك من الأعمال الإصلاحية التي تلم شمل وتجمع الناس نحو الخير.

رحمك الله يا شيخنا الجليل، فقد كنت لنا قدوة في كل عمل خير، وقد أعطاك الله الجرأة والشجاعة والصبر على الطاعة خلال الغزو. وها أنا أذكر الشهور العصيبة التي قضيناها معاً خلال الغزو، ونحن نسمع انفجارات القنابل وإطلاق النار وهجوم المخابرات وتفتيش المسجد، كما أذكر المجموعة الطيبة من الشباب الذين عاشوا معنا في المسجد في تلك المرحلة، وعلى رأسهم الأخ د.عادل حسون الخنساء، الذي أقام في المسجد لتنظيفه وحراسته طيلة فترة الغزو وما بعد التحرير.

رحمك الله يا شيخنا وأستاذنا وأسكنك فسيح جناته.

أبو معاذ

١٢) كلمة الدكتور عادل حسون الخنساء

أستاذ القانون بكلية الدراسات التجارية - بالكويت وخبير برنامج تنمية المهارات العلمية وتفعيل القدرات الذاتية والتفكير الإبتكاري في معهد النجاح الأهلي، وأستاذ البحث العلمي المنتدب بأكاديمية سعد العبدالله للعلوم الأمنية.

معهد تدريب الضباط والقيادات العليا والوسطى بوزارة الداخلية سابقاً - الكويت

الشيخ علي القطان ثالث ثلاثة

« ثلاثة من الرجال عرفتهم بهذه النوعية من زماننا »

شاء الله أن أعرف خلال حياتي الدعوية شخصياً الكثير من الدعاة إلى الله المعتدلين الذين يحملون لواء الدعوة بالكلمة الطيبة والتسامح والتعايش والمحبة، سواء في وطني الأصلي وسواء في الأوطان التي أقمت فيها مهاجراً بديني، وكان هؤلاء الدعاة جميعاً رغم ما في البشر من قصور، رجالاً مخلصين لا أزكي أحداً منهم على الله فهو الذي يعلم السر وأخفى، إنما الذي رأيته منهم أنهم يعملون لله ويبذلون الكثير من جهودهم وأوقاتهم وأموالهم في سبيل الله وإقامة الدين، ونشر العقيدة، لا تأخذهم في الله لومة لائم، ومنهم اكتسبت الشيء الكثير من تكويني و تفكيري سواء التقيتهم شخصياً وتتلمذت على أيديهم، وسواء ممن قرأت لهم من كتابات في مؤلفات أو مقالات أو أشرطة أو غير ذلك، فكان لهم فضل علي، ولهم أدعو دائماً في صلاتي وسجودي مثلما أدعو لوالدتي وإخوتي وإخواني في الله وأبنائي ومعلمي وزملائي وجميع المسلمين أحياء وأمواتاً وجميع المتدربين الذين شاء الله أن كنت مدرباً لهم سواء في دورات الترقية للقيادات

العليا والوسطى في أكاديمية سعد العبد الله للعلوم الأمنية بدولة الكويت وسواء في مختلف الوزارات أو المؤسسات الرسمية أو الأهلية، وكذلك جميع إخواني في الله في الجزائر والكويت، وكل بقعة من بقاع العالم في ألمانيا وفرنسا، في مصر وسوريا وفي كل مكان. إنه يقف على رأس هؤلاء الدعاة رغم عظمتهم وجلائل أعمالهم ثلاثة من أهل الهمة والمروءة رافقتهم في حياتي عن قرب واستقرأت سيرتهم وأفعالهم ولاحظت تصرفاتهم ومواقفهم فكانوا في نظري قمة في العطاء والبذل، قد سبقهم غيرهم بعلم، لكن قلما يسبقهم أحد ممن رأيت بعمل خيري، وكان ما يعزُّ على الناس بل وبعض الدعاة من جمع المال، واهتمام بالأهل والنفس يزهدون به، حتى إن أحدهم إذا جئت تسأله مساعدة استجاب، ويتفقدك قبل أن تطلب معونة، فكأن أحدهم قد وهب نفسه وماله لله، حتى إنهم أي هؤلاء الثلاثة لم يتركوا لأهلهم إلا القليل، فكان عطاؤهم لله في أموالهم وأوقاتهم، وجهودهم كثيراً وهؤلاء الثلاثة من بلاد الشام هم الشيخ رسلان خالد من منطقة السلمية بمحافظة حماة، والشيخ علي القطان من مدينة حماة، والشيخ خالد حسون (من آل الخنساء) المقيم في منطقة السلمية بمحافظة حماة.

لقد أخذ هؤلاء في مجال الجود والكرم والندى من سيرة الأنبياء وسيرة العرب الطائيين في التاريخ العربي وسيرة آل ابراهيم في الكويت، حيث عايشت شخصياً هذه الأسرة الكريمة فرأيت من جودهم الكثير، ولما تتبعت صفحات تاريخهم الحديث والمعاصر، وجدت عجباً إنفاقهم المال الكثير على العلم وبناء المدارس ونشر الكتب ومساعدة الأسر المتعففة، بل ومساعدة الحكومة عند حالة العجز في الميزانية العامة، وغير ذلك من مآثر تنم عن أصالة فائقة، حيث ترسخ فيهم الجود حتى باتوا مصدراً له مثل الشيخ محمد الصالح الإبراهيم الذي ساهم بمبلغ من ثروته في مساعدة أسر شهداء حرب أكتوبر ١٩٧٣م في مصر، والذي

الشيخ علي يلقي محاضرة في إحدى ديوانيات أحمد باقر الكندري بالجابرية

يمتلك المكتبة الخاصة والتي خصص لها فيلا قائمة بذاتها، وما يقدمه أيضاً من مساعدات للمحتاجين، وكذلك شقيقه الشيخ عبد اللطيف الإبراهيم، باني المساجد وأبنائه الكرام، فضلاً عن ابن أخيهم الشيخ عبدالرزاق إبراهيم الإبراهيم، صاحب الجود والكرم والمشاعر الطيبة تجاه الأسر المتعففة والأشخاص المنكوبين، وكذلك أشقاؤه المهندس الشيخ علي إبراهيم الإبراهيم، والدكتور الشيخ عادل إبراهيم الإبراهيم، والأستاذ الشيخ عدنان ابراهيم الإبراهيم وغيرهم من الأسر والعائلات الكريمة في دولة الكويت التي حبا الله أهلها بفعل الخيرات حكومة وشعباً حتى بات الخير سمة من سماتها.

ثلاثة صدقوا ما عاهدوا الله... اثنان قضيا نحبهما وهما الشيخ رسلان الخالد والشيخ علي القطان رحمهما الله.

الدكتور عادل حسون الخنساء

١٣) كلمة من حفيدته سمية أحمد القطان،

ابنة نجله الأكبر الشيخ أحمد علي القطان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ، ، ، ،

إليك أكتب كلماتي هذه... وأسطر سطوري هذه إليك يا جدي الغالي...

وأنا أعلم علم اليقين أنك لن تقرأها أو تراها، ولكن حتماً ستصلك معانيها وتعرف محتواها وما فيها وهذا لا أشك فيه...

تركتنا ورحلت عنا يا جدي.. تركتنا ونحن في أشد الحاجة إليك.. بحاجة إلى علمك فالجهل ممدود، بحاجة إلى تقواك بلا حدود، بحاجة إلى صلاحك فالعصيان موجود.

عزاؤنا في رحيلك... إن ما رحلت إليه خير مما رحلت عنه، وإن ما وجدته خير مما تركته إن شاء الله.

ثمانون عاماً وأنت تعارك دنيا وتعاركك، ثمانون عاماً تصارع أياماً وتصارعك، كم من المسرات مرت عليك وكم من المكروهات، كم من الأحزان شاهدت وكم من الأتراح عاصرت... ما أبكاك منها أكثر مما أضحكك، وما أحزنك فيها أكثر مما أفرحك.

ثمانون عاماً وأنت تملك قلباً كبيراً واسعاً كسعة علمك، ، أبيض كبياض لحيتك...

قلب وسع الكبير والصغير... والغني والفقير... والظالم والمظلوم... والمسكين والمرحوم... والمقطوع والموصول...

قلب وسع أربع عشرة بنتاً من فلذة كبدك مع أزواجهن وأولادهن وأحفادهن... مع أفراحهن وأحزانهن... مع مشاكلهن ومتاعبهن..

قلب كم نبض بحب الله وحب رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم....

قلب كم نبض بحب الخير والإحسان...

أما آن لهذا القلب أن يرتاح بعد ثمانين عاماً...

أما آن له أن يستقر عند خالقه ومولاه...

أما آن لهذا القلب أن يستلم الجائزة ويقطف الثمار... ثمار صبره وحبه وإحسانه، كم أحببتَ بناتك وأولادك! كم أكرمتهم وقمت بحقهم جميعاً وما قصرت فيهم أبداً! حتى أولادهم وأزواج أولادهم، وبناتهم وأولاد بناتهم وأحفادهم بعد ذلك!

زوجت أولادهم، ، وباركت أعراسهم، ، وبذلت لهم، ، وزرت بيوتهم، ، وعزمت ضيوفهم، ، وقدمت الهدايا لهم، ، ودعوت دعوة لهم..

من له القدرة أن يقوم بكل هذا..؟ من يستطيع أن يفعل كما فعلت يا جدي..؟!

ثمانون عاماً وهذا حالك ما تغيرت ولا تبدلت، كنت مثالاً يحتذى به، كنت نموذجاً يصعب تقليده...

أتعبتنا من بعدك يا جدي... نحن مهما حاولنا فلن نستطيع أن نصل إلى شيء مما كنت عليه.

نشأت وبينك وبين المساجد علاقة حب وود وتحنان، كان المسجد خير رفيق وخير أنيس.

أحببت المسجد بيت الرحمن أكثر من بيوتك رغم كثرتها، كم سيحن إليك مسجدك! ويذكرك منبرك، ويشتاق إليك محرابك، كم ستبكيك جدرانه وتذكرك حيطانه، وغرفتك ومكتبك إلى من تركتهم!

مكانك في صلاة الفجر شاغر، مكانك في حلقات القرآن الكريم فارغ.

سيحن لك ليل طويل كنت فيه من القائمين المتهجدين، ويشتاق لك نهار حار كنت فيه من الصائمين، ويتلهف عليك مسجد قضيت فيه معظم سنوات عمرك، معتكفاً ومصلياً وواعظاً وخطيباً وساعياً للخير.

كنا إذا ابتغينا زيارتك مع أزواجنا تركنا بيوتك واتجهنا إلى مسجدك، نصلي وراءك ثم نزورك في غرفتك الحبيبة لتجود علينا بما عندك من دعاء ورضاء وعطاء، لا نخرج من عندك إلا محملين بالهدايا أو الحلوى صغاراً كنا أو كباراً.

كيف سنزور مسجدك بعد الآن؟

من سيبكي على من؟ من سيعزي من؟

بقيت لنا أجمل ذكرى، نشم فيها رائحة الحبيب ونتلمس خطواته ونعيش ذكرياته، في كل ركن فيك وفي كل زاوية لك مع جدي أحلى ذكرى، فهنا درس ووعظ، وهنا صلى ودعا، وهناك صام واعتكف، وهناك أفطر وفطر.

وفي أيام العزاء حالنا عجيب وغريب، نبكي ونبتسم في آن واحد، نحزن ونفرح في آن واحد، نبكيك ونبكي فراقك... ودموعنا تحرق خدودنا من شدة حرارتها.

ونبتسم ونفرح على فعالك وما نسمعه عنك، كل من يدخل علينا معزياً، يتكلم لنا عن الشيخ الفاضل وما فعل معه وما قدم له. فهذا آواه بعد تشرد، وآخر زوجه بعد ضياع، وأخرى أصلح ما بينها وبين زوجها، وغيرهم سعى لهم بعمل وآخر بشقة وثانٍ بإقامة وثالث بمبلغ من المال يقضي به ديونه، ونسمع قصصاً عجيبة كنا نحسب أننا لن نسمعها إلا على عهد الصحابة والتابعين.

أعود لأخرج من أعماق القلب على فقدك يا أعز الناس، يا تاج الرأس.

أعود لأقول إننا فقدناك.

مكانك شاغر لم يملؤه أحد ولن يستطيع أن يملأه، تيتمت الأسرة من بعدك وصرنا أيتاماً، كما صار كل من نعرفه كذلك، ومما تعرفه أنت ولا تعرفه نحن، كما تيتم الجود والكرم وتيتم البر والإحسان.

سمية أحمد القطان

ثانياً : نماذج من رسائله الخاصة وقصائده وقصائد قيلت في رثائه

١) رسالة إلى كريماته في سوريا يحثهن على الصبر والرضا

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ابنتي البيان وأخواتها الأسماء والنعمة والهدى، فلذات كبدي وحبيبات قلبي ومعاني شعري ونثري، وأنيسات غربتي، وصفيّات مودتي وغاية أحلامي وثروتي في حياتي وبعد مماتي، وأمهات أحفادي وحفيداتي، رضي الله عليكن جميعاً، وعلى أولادكن وبناتكن، وجمعنا الله في الجنة كما جمعنا في حياتنا الدنيا، وما ذلك على الله بعزيز وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى الجميع من حولكم من الأولاد والأزواج والأقرباء والأرحام، سائلاً المولى عز وجل أن يعيدكم إلينا بأقرب وقت، للتنعم باللقاء ونشكر رب السماء الذي نصرنا على الأعداء، يا بناتي الصالحات لقد استجاب الله دعائي ولم يقطع رجائي، حيث دعوته منذ عشرين سنة منذ هاجرت إلى الكويت وتركتكم عند جدتكم أم علي رحمها الله، التي كانت تحنو عليكم وتربيكم وتعطف عليكم، ولقد ضحت في سبيل الله لتنشئكم بكل ما تملك في الحياة حتى لاقت ربها وهو راض عنها، لأنها تأمن عليكم من فتنة الحياة، وكان دعائي بهذه الكلمات: اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وترد بها الفتن عني وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتصلح بها ديني و تعصمني بها من كل سوء، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

واستجاب الله هذا الدعاء وجاء بكم جميعاً إلى الكويت، ولم شملنا وجعلنا في الرميثية والسالمية.

يا بناتي الحبيبات، كتبت أختكم البيان رسائل إلى والدها ووالدتها، وعبرت عن مشاعرها، فأبكت جميع من قرأ رسائلها حتى والذي سمعها، وتناولت القلم لأكتب لها وأخصها بالجواب، ولكنني لم أستطع أن أجزِئ قلبي حيث لا أملك إلا قلباً واحداً، وجميعكن تملكن هذا القلب وتسكن في سويدائه فكيف أقسمه بينكن وهو ضعيف لطيف، رقيق نظيف، شفاف يرى داخله من ظاهره، فلا يكاد يسمع بذكر واحدة منكن حتى تأتي صوركن مع أولادكن وبناتكن، وتخيم على هذا القلب الحنون، فيبكي لبعد المسافة، ويلتجئ مرة ثانية إلى خالقه فيخاطبه بالدعاء المأثور: اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي..... إلى آخر الدعاء.

ويستجيب الله لنا مرة أخرى كما عودنا في الشدائد والمصائب **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾**. (البقرة / آية: ١٨٦) فسخر الله لنا جيوش المسلمين

الشيخ علي في إحدى زياراته لبعض مدارس بنغلاديش الإسلامية حيث ساهم في تأسيسها

الموحدين من السعوديين والذين ناصروهم ومن جوارهم أبناء الخليج والسوريين والمصريين وحتى الدول الأخرى من الأصدقاء وغيرهم.. سخرهم الله لنصرة الكويت حتى ترجع حرة أبية وذلك كله ليجمع الله عائلة آل القطان مع أبيهم لأنه دعا مخلصاً وخالياً ففاضت عيناه واستجاب الله دعاءه، وما ذلك على الله بعزيز.

وأخلص الدعاء - والدكم علي القطان

٢) كلمة من السيد عبد الله الرويح

رئيس لجنة زكاة العثمان موجهة إلى الشيخ علي أحمد القطان. ١٩٩٦/٩/٢٨م

الأخ الفاضل / الشيخ علي القطان أبو أحمد المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ،

تحييكم لجنة زكاة العثمان بتحية الإسلام، ونسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء على تفضلكم بإيفاد أحد الأساتذة المتخصصين في علم التجويد للإشراف على حلقة تجويد وترتيل القرآن الكريم في مسجد الشايجي يومياً بعد صلاة الفجر، والدال على الخير كفاعله، ولكم مثل أجره إن شاء الله.

هذه بعض مآثركم التي تُشكرون عليها، ونحمد الله أن هيأ لنا علماء أفاضل مثلكم حيث يعتبر تشريفكم لنا في ديوانية اللجنة مساء كل سبت زاداً روحانياً يعيننا على التقرب إلى الله ونيل رضوانه، ولا نملك إلا أن نقول لكم جزاكم الله كل الخير وبارك الله فيكم وفي أهليكم وفي ذرياتكم وفي صحتكم وفي علمكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ،

رئيس لجنة زكاة مسجد العثمان

عبد الله عبد الرحمن الرويح

٣) رسالة تزكية للجنة زكاة العثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الأخوة المحترمين أعضاء لجنة زكاة العثمان حفظهم الله تعالى ووفقهم لما يحبه ويرضاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وجزاكم الله عن المسلمين خيراً

وبعد، ، ، ،

أحمد الله تعالى أن وفقني لأكون على علم بهذه اللجنة المباركة منذ نشأتها في أوائل السبعينات حيث كان فضيلة الشيخ حسن أيوب موجهاً لهذه اللجنة ومرشداً ينير الطريق الصحيح لإيصال الزكوات والصدقات إلى مستحقيها بالطرق الشرعية اللائقة دون إحراج ونشر أسماء وهي لا تزال تسير من حسن إلى أحسن والحمد لله، وإلى جانب هذا العمل المثمر كانت الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة عن طريق الدروس والمحاضرات والمواعظ التي كان يلقيها فضيلة الشيخ حسن أيوب ولقد أثمرت هذه الدعوة بأن بقيت قرابة ربع قرن منذ نشأتها حتى يومنا هذا والحمد لله رب العالمين وبه نستعين.

١٧/ جمادى الأولى ١٤١٧هـ

٣٠/ سبتمبر ١٩٩٦م

إمام وخطيب مسجد سليمان اللهيب

علي أحمد القطان

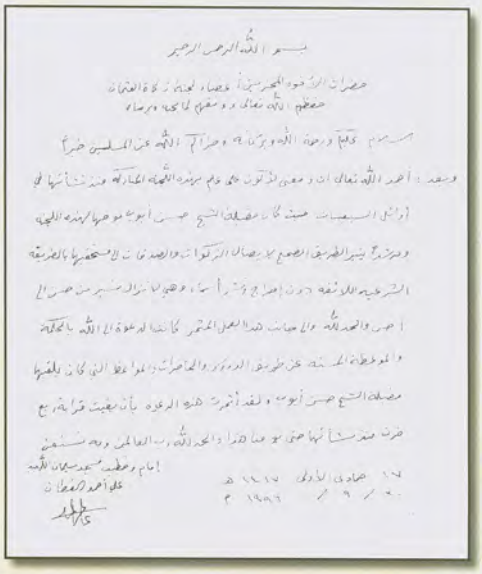

٥) قصيدة «يبكيك منبرك الحزين»

في رثاء الشيخ علي أحمد القطان يرحمه الله تعالى

للشاعر المعروف : محمد عبد الله القولي

ملك القلوب محبة وقبولا ... جعل الوداد إلى الفؤاد سبيلا
دمث الخليقة آلف ومؤلف ... سهل الطباع تخلقاً وأصولا
حلقات حفظ كتاب ربك لم تزل ... موصولة جيلاً يعلم جيلا
أ(علي) كنت لدى القلوب نزيلاً ... فأتى الكتاب فلم تنؤ تبتيلا
يبكيك منبرك الحزين وموضع ... شهد السجود مع الدموع طويلا
وتحن أوراد إليك مرددا ... قبل الشروق وتجود التنزيلا
أعمال برك قربة لمهيمن ... يجزيك عنها في العطاء جزيلا
إني لأحسب أنها مرضية ... وكما حسبتك في الصلاح شغولا
شهدت فرنسا حبه لبلاده ... لا يرتضي فوق التراب دخيلا
فيهب لا يثنيه عن عزم به ... خوف ولا يرضى الخنوع بديلا
وهو الوحيد لوالديه وإنما ... في البذل يمضي بل يراه قليلا
يسترخص الروح العزيزة خاطباً ... حور الشهادة ممهراً ترتيلا
كم لازم العلماء يرشف علمهم ... مستعذباً متأدباً بُهلولا
فالحامد (١) الشيخ الجليل مؤدب ... و(علي أحمد) يستزيد سؤولا
وهو الصدوق تجارة وتعاملاً ... و(حماة) تعرف فضله المبذولا
و(كويت) تشهد حفظه قرآنه ... وتعمقاً قد توج التحصيلا
هو طالب العلم الذي لا ينتهي ... من رشفه فيزيده تفضيلا
في أربعين من السنين مسيرة ... لله يدعو بكرة وأصيلا
في الناس يخطب وهو ثمَّ إمامهم ... يقضي الحوائج لا يشاء بديلا
نظراته نفاذة في رقة ... وتبسم مثل النسيم أصيلا
ولوجهه عند اللقاء تهلل ... وسماحة ويزيدك التقبيلا

---

(١) الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى كان أستاذاً ومعلماً للشيخ علي القطان

٦) « سر يا علي لعليين في سكن»

للشاعر: محمد مرتع بن صهيب سويدان

رثاء وإهداء ودعاء للفقيد الشيخ علي القطان- يرحمه الله- ألقاها الشاعر في يوم العزاء

يا جنة الفوز بالعلياء فالرغد ... أعطت بنيها وسام الخلد للأبد
فالحمد لله في الأولى وآخرة ... والحمد لله في السراء والضمد
ثم الصلاة على الهادي محمدنا ... والآل والصحب والأتباع الحفد
فوضت أمري إلى الرحمن مدرعا ... بالصدق والصبر والإيمان والجلد
يا نفس كفي فتلك الدرب قد سلكت ... يكفي العزاء بطه حين تعتقدي
قالت لي العين لست اليوم دامعة ... وحدي فتلك عيون الخلق وارمدي
صرحاً من النور تبقى اليوم ومضته ... بعد الرحيل عن الأحياء في البلد
سِر يا عليُ لعليين في سكن ... بإذن المهيمن في الجنات والرفد
فاكتب له رحمة واجعل معيته ... في الصالحين مع الأشهاد والنجد
أورده يا رب حوض المصطفى كرماً ... واسقه كأساً فلا يظمأ إلى الأبد
وأكرمه نزلاً وأوسع ربي مدخله ... واغسله بالثلج والماء والبرد
وافتح له فرجاً وارفع له درجاً ... أفسح له مد إبصار إلى الأمد
فاليوم محاريب وأروقة ... تبكي المساجد في الأحياء والصعد
بعد الصلاة بوقت الفجر مجلسه ... يا ليت شعري فهل للدرس معتمد؟!
فهو المرابط فنى العمر محتفلاً ... بالعلم والنص والقرآن والسند
يغدو مع الخلق في الحاجات مجتهداً ... لله يرجو ثواب الواحد الأحد
أكرم به عالماً أنعم به رجلاً ... أبصر به هيبة الأبطال كالأسد
يا روعة كملت يا صورة حسنت ... يا سيرة ختمت بالخير والبجد
منا عليك سلام الله ما صدحت ... تلك الحناجر بالتأذين والغرد
ودع أبا أحمد القطان مرتجياً ... كل الدعاء إلى الرحمن بالمدد

شعر /محمد مرتع سويدان

٧) قصيدة «ابنة البيان» من الشعر المنثور للأخت الحفيدة مريم حرب

قدر الله المحتوم، فأي فاجعة ... قد أصبتم بها يا آل القطان

أي مصيبة وبلاء عظيم ... قد أقره الرب الرحمن

أشجارنا حزينة وعيوننا باكية ... قلوبنا عزاؤها الإيمان

كان لليتيم خير أب ... وكان للضعيف خير إنسان

لمساعدة الغير والعطاء ... وبكل الإكرام والإحسان

جود وحب وود ... رقة وإحساس وحنان

كان كالنار على علم ... مشهور بكل زمان ومكان

أقول إنه جوهرة ثمينة ... لا بل هو درة الأكوان

أأصفه بالكنز الغالي أم هو ... أغلى من أي شيء كان

أربع عشرة زهرة تفوح بشذاه ... وله من البواسل ثمان

كل يصدح باسمه ويردد ... لبيك أبت والصوت رنان

ليت شعري وصفك بما يجب ... ليته عبر عما في القلب والوجدان

إلى رحمات الله جدي العزيز ... إلى ديار الخلد في أمن وأمان

اطمئني يا روح الغالي و ... استقري في أعالِ الجنان

لعمري إن الخطب عظيم ... أسأل الله لنا الصبر والسلوان

أبيات خطها القلم وحبرها ... الدموع وصاغتها ابنة البيان

شعر/ مريم حرب

٨) قصيدة «الحياة» من الشعر المنثور

للمرحوم الشيخ علي القطان

قم صلِ فرضك يا علي ... إن الصلاة لنا زكاة
أم البنين بذاتها ... جاءت تقول لي الحياة
هي في البلاد بعيدة ... أم الفداء بلدي حماة
أنا نائم نوم الغريب ... أنا غارق في ثبات
بيني وبين أحبتي ... ألفين عدة الكيلوات
أنا في الكويت ... حتماً مقيم للصلاة
ما تبتغي يا عين مني؟ ... صليت فرضي والسنات
قالت تطالبني علي ... والثغر يبسم والشفاة
رمضان حل بدارنا ... شهر جديد بالصلاة
وعلمت بعد بأنها ... جاءت تذكرني البنات
ولسان حالها يقتضي ... في عيدنا هل أنت آت؟
فأجبتها ببيانها ... إني رهين دريهمات
من أجل هذا تركتكم ... من أجلكم أنا في شتات
والله لن أنساكمو ... ما دمت في قيد الحياة
وإذا قضيت فموعدا ... للحوض نهر الكوثرات
قولي لوالدتي الحنون ... ربي مجيب الدعوات
يا أحمد نلت المنى ... طوعاً كريم الأمهات
يا فوز حبك باديا ... لاتبك نعم الصابرات
يا أمي قولي للهدى ... جنات عدن بات
كيف الضحى؟ ولعلها ... ترقى صفوف الناجحات
كيف البيان وأختاه ... إحسان؟ حتماً صائمات
محمود لا تنسى الأمين ... كن داعياً بعد الصلاة
قولي لأبنائي الجميع ... رحمات ربي مقسمات
قالت تودعني وقد ... هطلت دموع لامعات
لا تنسى أنت معيلنا ... ويداك نهر من فرات
قلت الإله وَليّكلم ... من مسلمين ومسلمات

الكويت في ٢٠ شوال ١٩٨٣م

٩) قصيدة «أختاه» من الشعر المنثور

للشيخ علي القطان يخاطب فيها شقيقته

أختاه يا بنت الكرام ونسلهم ... قولي لأمي فالجواب تأخرا
ما حال أولادي قد طال المدى ... لم يكتبوا لي اكتبي ماذا جرى؟
عشرون يوماً بانتظار بريدهم ... وأنا الذي من أجلهم أجفو الكرى
يا أحمد الهادي إليك وصيتي ... أكرم يتيم الأم تجز الكوثرا
أوصيك بالأسماء والنعمى لها ... مني الدعاء وحسبها كيما ترى
يا أم إيمان بدار عمومتي ... كيف الربوع وكيف شط الأنهرا
أنا في اشتياق للسفح والربى ... ولاعتماد المنى حبي سرى
إني بعيد عن ديار أحبتي ... والقلب مني هائم متحيراً
أصلح لزوجاتي ثلاث ... وثلاث أم لها الحرمات (مفقود)
يا رب والدتي أطل لي عمرها ... حتى أراها في حياتي وأسعدا
نحن بنو القطان نعشق أحمداً ... وشعارنا في الورى علم الهدى
محمود سميناك شيخ بلادنا ... احفظ كلام الله تبقى راشدا
يا مصطفى[1] يا ابن الكرام ونسلهم ... بشراك أني حافظ ذاك الصدا
يا عبد الرزاق كم جافيتنا ... أنسيت أني كنت نعم الوالدا
يا عبد الرحمن هل ذكرتنا ... بالأمسيات وتحت زخات الندا
يامي إني مهيم بحبكم ... أضحى بياني لاعتمادي (مفقود)
إحسان قولي للمنى إيمانكم ... صارت تمشي رغم أنف العدا
لا تحسبوا أني نسيت شقيقتي ... يعلم إن يدي قاصرة
قد كنت أفرح حين يرنو هاتفي ... فأقول من؟ فتقول إني نادرة
لبيك يا أختاه قولي واطلبي ... حتى أيسر ما لديك تعسرا
إني لأبحثُ في الليالي داعياً ... وغدا أبوه إلى الكويت مسافراً
وشقيقتاي الزهرتان كتبتا لي ... إن العيش بعدك يزدري

---

(١) مصطفى نبيل ابن الشيخ علي

الكويت في رمضان ١٣٨٦هـ ... المرحوم الشيخ علي القطان

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ عبد الله علي المطوع أبي بدر حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

يوجد في مسجدنا حلقتين لتحفيظ القرآن الكريم إحداهما للطلاب والأخرى للطالبات وحلقة القرآن للطلاب تضم قرابة العشرين حتى الثلاين طالباً وتكون هذه الحلقة في الصباح بعد الفجر للرجال وبعد العصر للشباب.

أما حلقة الطالبات فتضم قرابة الأربعين طالبة تشرف على هذه الحلقة المدرسة من دار القرآن أم إقبال وهي من سوريا حماه وتستعين ببعض المدرسات وفي العطلة الصيفية يزداد عدد الطلاب والطالبات ونحن نساعد هؤلاء الطلاب والطالبات باسم المكافآت بحسب احتياجاتهم فندفع لكل طالب بين الخمس دنانير والعشرة دنانير وكذلك الطالبات فندفع لهن بواسطة المدرسة أم إقبال خمسة دنانير فقط فيكون المجموع بحدود ٥٠٠ دينار / خمسمائة دينار تقريباً.

الشيخ علي يتناول إفطاره بعد صيام نافلة الاثنين والخميس من كل أسبوع

بسم الله الرحمن الرحيم

٥/١١

لحضرة الأخ عبد الله علي المطوع أبو بدر
حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

يوجد في مسجدنا حلقتين لتحفيظ القرآن الكريم
إحداهما للطلاب والأخرى للطالبات
وحلقة القرآن للطلاب تضم مرابة العشرين
من الشباب طالباً وتكون هذه الحلقة بعد صلاة الصباح
بعد الفجر للرجال وبعد العصر للشباب

أما حلقة الطالبات فتضم مرابة الأربعين طالبة
وتشرف على هذه الحلقة المدرسة من دار القرآن
أم إقبال وهي من سوريا صماه وسبعين بفضل المدرسة
وفي الحلقة الصبيحية يزداد عدد الطلاب والطالبات
ونحن نساعد هؤلاء الطلاب والطالبات باسم المحافظة
بحسب احتياجاتهم فندفع لكل طالب بين الحين والحين
والشهر دنانير وكذلك الطالبات ندفع لهن بواسطة
المدرسة أم إقبال فقط فيكون المجموع
لعدد ٥٠٠/ خمسمائة دينار تقريباً

لذلك نأمل منكم تأمين هذا المبلغ قبل سفرنا إن شاء الله
تعالى ونحن ندعو لكم بظاهر الغيب ٤ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ
٥/٧/٢٠٠٧م

خلاصة وخاتمة:

وهكذا أيها القارئ الكريم عشت معي ورافقتني في هذه السيرة المختصرة للشيخ الجليل علي أحمد القطان يرحمه الله وأعلى مقامه. وإنها والله لسيرة عطرة، يفرح لها قلب المؤمن ويتمنى الاقتداء بها في زمن قلت فيه معاني الإيثار والتضحية والزهد وخدمة الضعفاء، وغلبت فيه المصالح الخاصة وجمع المال، والاهتمام المادي بالنفس والأهل والولد فقط.

نعم إنها لسيرة عطرة تعبر عن علاقة روحية تربط بين مؤلفها وبين موضوع الرسالة وبطلها وهو الشيخ علي القطان.

لهذا جاءت السيرة أشبه بدراسة علمية أكاديمية ينال كاتبها شهادة الدكتوراه لأنه استطاع أن يكشف شخصية علمية اجتماعية فكرية موهوبة، وأن يحدد لها نظرياتها ومناهجها وأفكارها، ولا يمكن ذلك إلا لمن تربطه بالشيخ علي القطان روابط روحية ومحبة قوية وعلاقات وثيقة، ويحتل في نفس المؤلف مكانة خاصة قد تصل إلى مستوى الأبوة أو البنوة..!

وبالفعل لم يكن الشيخ علي القطان في رأيي المتواضع بالإنسان العادي، فقد كان يحتل بالنسبة لي خاصة - وربما يؤيدني الكثير ممن خالطه ورآني معه- كان يحتل مكانة الأب والوالد، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان.

نعم بالنسبة لي كنت أحس في داخلي أن الشيخ علي هو أب لي ووالد!! وأن أبناءه الكرام من آل القطان وأصهارهم ليسوا أقارب فحسب لي بل أخوة وأشقاء.

وكنت أتساءل ما سبب هذا الشعور تجاه أستاذي الشيخ علي؟! هل هو شعور نابع من أبوة لأنني كنت قد فقدت والدي وأنا صغير لا أتجاوز العاشرة، أم أنه شعور بنوة كنت أتوق فيها لأن أكون ابناً لهذا الشيخ الكريم الذي تجسد فيه الكثير من المعاني التي أحبها في والدي أو في أي والد لأي إنسان مخلوق في هذه الحياة، والتي وضع الله لنا فيها أهدافاً وحدد لنا فيها وظائف وأعمالاً.

في الحقيقة عندما أمعن النظر في تاريخ هذا الرجل وفي واقعه، وفي جهاده وفي تضحياته، في رعايته للناس الضعاف وخدمته للمحتاج، وعنايته للعفيف اليتيم، وإصراره على أن يصل نهاره بليله من أجل الآخرين، أشعر شعوراً صادقاً أن الشيخ علي هو أب لكل من فقد أباه وهو والد لمن ليس له والد، بل وبمعنى آخر أعمق وأشمل هو أب لكل شخص ووالد لكل إنسان، سواء فقد هذا الشخص أباه أم لم يفقده وسواء كان لذلك الشخص والد أم لم يكن له.

المسألة ليست فينا نحن، ممن نبحث أو نتمنى أن يكون لكل منا والد مثل الشيخ علي، إنما المسالة في الشيخ علي ذاته، في أخلاقه ومروءته، وطبيعته وفطرته، وإيمانه وحسن إسلامه، وعقيدته وأفكاره التي يرى من خلالها وبكل همة ومصداقية أن كل الناس أبناؤه وبالخصوص أولئك الذين فقدوا آباءهم أو خسروا لأي سبب من الأسباب والديهم في معركة الحياة وزحام الدنيا وغمرة المشاكل والمواجهات التي تحدث على صعيد الأسرة والمجتمع، وكنتيجة حتمية لقانون الموت الذي يأخذ في طريقه الكثير من الآباء.

كم كان يذكرني الشيخ علي وأنا أعايشه يومياً في مسجد اللهيب بميدان حولي - الكويت خلال الغزو الغاشم وما بعد التحرير، وقد ضمتنا معاً غرفة واحدة، وهي أشبه ببرلمان شعبي، ومركز لمحل الخلافات، ومخزن للتموين، وجمعية خيرية للمساعدات، فضلاً عن حركته الدائبة التي لا تهدأ، واهتمامه بالدروس والعلم المفيد وقراءة القرآن، وتوزيع فائض الأطعمة والألبسة، وإدخال السرور على قلوب الأطفال وتشغيل العاطلين عن العمل، أقول كم كان يذكرني الشيخ علي بهذه الأخلاقيات بأخي وشقيقي الحاج خالد حسون الذي كان صديقاً وفياً ومحباً للشيخ الحاج علي القطان، والذي كان لي بالفعل أكثر من والد بعد وفاة والدي حيث احتضن الحاج خالد إخوته وأخواته ووالدته وهو بعد صغير في المدرسة المتوسطة، حيث هجر الدراسة وتفرغ للعمل للإنفاق على هذه الأسرة الكبيرة (عشرة أشخاص) إلى جانب الفقراء والمساكين ذوي الحاجات وإقامة

الدروس والمحاضرات، وقراءة الكتب والاطلاع، ومساعدة الناس دون كلل أو ملل، مثله كان يفعل الحاج رسلان الخالد.

نعم، كان يذكرني الشيخ علي القطان، الذي كنت أشعر بأنه والد لي وأب، وكذلك الشقيق الأكبر الذي كان أيضاً والد لي و أب....

هذه هي رابطتي الروحية مع الشيخ علي القطان أبوة أم بنوة، إنها بالفعل أبوة وإنها بالفعل بنوة في آن واحد.

فإليك أيها القارئ سيرة الشيخ علي أحمد القطان، عش معها وعايشها، وحاول أن تقتدي بها وأن تزرعها في أبنائك وأقاربك و محبيك و زملائك و إخوانك وتلامذتك، فهي سيرة خير وبركة تحملك، ومن معك بإذن الله إلى شاطئ الأمان.

وبالله التوفيق

المؤلف الدكتور عادل حسون الخنساء

الكويت - حولي- صيف ٢٠٠٥م

إلى شيخي الجليل رحمه الله تعالى

حين وصلتني رسالة د. عادل الخنساء عادت بي الذاكرة سنوات حين كنا صغاراً في المرحلة الثانوية وكنا من مرتادي مسجد ابن سلامة في منطقة الرميثية وقتها كان الشيخ علي القطان - رحمة الله عليه - إماماً وخطيباً للمسجد. فنشأت بيننا علاقة حميمة ودعوة أساسها الاحترام والتقدير للشيخ الجليل.. فتتلمذنا على يده وتعلمنا منه الكثير فكان يعطينا دروساً في تجويد القرآن الكريم، ودروساً أخرى في شرح الأربعين النووية.. وكنا لا نمل مجالسته والاستماع إليه.. فكان - رحمه الله - مثال العابد الواعظ والأب الحاني على أولاده فكان يغذينا بالأخلاق وحسن المعاملة والكثير الكثير..

أيام جميلة ومواقف لا تنسى للشيخ الجليل وعلى الرغم من كبر سنه فقد كان يجتهد في حفظ القرآن الكريم فأعطانا درساً عملياً بأن تلقي العلم والاستزادة منه لا حد له.

لا أستطيع أن أوفي الشيخ الجليل حقه فقد كان معلماً وواعظاً وعابداً.. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به في الصالحين.

رئيس جمعية المعلمين الكويتية

عبد الله إسماعيل الكندري

وداعاً أيها الشيخ الجليل

فضيلة الشيخ علي أحمد القطان - يرحمه الله تعالى - من مواليد مدينة حماة في وسط سورية، وقد عرف - يرحمه الله تعالى - منذ بداية شبابه بنشاطه الإسلامي، وحبه للعلماء ومداومته على حضور مجالسهم، والمواظبة على دروسهم وحلقاتهم، إلى جانب علاقته القوية بشباب الدعوة، وأبناء الحركة الإسلامية على اختلاف مشاربهم وتنوع مدارسهم وأنشطتهم، مع حرص شديد على المشاركة في الأعمال الخيرية وجمعيات النفع العام.

وشيخنا (أبو أحمد) - رحمه الله تعالى - وإن لم يتخرج من كلية جامعية، ولم يلتزم الدراسة في مدرسة شرعية إلا أنه تعرف منذ بداية حياته على الشيخ العلامة محمد سليم المراد، الجد الأكبر لأسرة العلم والعلماء الشهيرة في حماة والمعروفة باسم «آل الشيخ سليم» والتي احتفظت بمنصب الفتوى أو أمانة الفتوى حتى استشهاد آخر مفت من هذه العائلة الكريمة، كما أخذ العلم من بعده عن ولده الشيخ أحمد المراد.

ولئن كانت المدرسة الأولى التي نهل منها هي المدرسة المذهبية التقليدية، فقد تتلمذ بعد ذلك واستفاد الكثير من زعيم المدرسة السلفية فضيلة الشيخ سعيد الجابي وطريقته

في مخاطبة الناس، والدخول عليهم ومباشرة الدعوة معهم وإسداء النصيحة لهم لا في المسجد فقط، بل في كل مكان حتى الأسواق والمقاهي والمجالس العامة. ويبقى بعد هذا أن أكثر أخذه وجل تعلمه كان في مجالسته للعالم العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد في دروسه اليومية التي ألقاها، ومجالسه التي عقدها في كل من جامع السلطان، والجامع الجديد، وجامع الأحدب.

وقد استفاد من فضيلته - رحمهما الله تعالى - إلى جانب العلوم الشرعية والمعارف الدينية، الجرأة في الحق، والحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والالتزام بالسنة، والعناية بالشباب والناشئة، والبعد عن تجريح الأفراد والجماعات، والاهتمام بالضعفاء من أصحاب الحاجات، وتقدير أهل المروءات.

وبعد هذا الاستعداد المبارك، والنشأة الطيبة، والتربية الدينية الصالحة فإنه شارك في معارك تحرير سوريا من المستعمرين الفرنسيين، مع إخوانه الثوار في مدينة حماة وضواحيها. وكانت له مشاركات في الحركة الكشفية، إلى جانب تعاونه مع جمعية «الأنصار» ذات التوجه السلفي، وكذلك جمعية «النهضة الإسلامية»، تلك الجمعية الخيرية المباركة التي استطاعت أن تقضي على ظاهرة التسول في المدينة في سنوات وجيزة، كما عالجت حاجة الفقراء والأيتام والأرامل والعجزة والمعوقين بطرق ناجحة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ العمل الخيري المنظم.

وتشهد له مساجد الكويت بعد استقراره بها، وعمله إماماً وخطيباً في وزارة الأوقاف بتفانيه في العمل وإخلاصه وصدقه، فكم من شباب وأطفال وطلبة علم درسوا وتعلموا في الحلقات العلمية والجلسات القرآنية التي كان يديرها في مسجد ابن سلامة في الرميثية، ومسجد الشيخة بدرية في السالمية، وأخيراً في مسجد اللهيب في السالمية (ميدان حولي) الذي لم ينقطع عنه حتى إبان مرضه الأخير الذي توفي به، وكان يستضيف العلماء من أهل الاختصاص والدعاة من أهل الخبرة لتعليم الشباب العقيدة والسيرة والتفسير والفقه، فكان المسجد الذي يحل فيه أشبه بمدرسة شرعية، ولم ينقطع

قط عن حلقة القرآن اليومية ما بين صلاة الفجر وصلاة الضحى، إلى جانب حرصه الشديد على تعليم رواد المسجد وتعويدهم ومتابعتهم على الالتزام بالسنن والإكثار من النوافل، والمحافظة على أدعية وأذكار اليوم والليلة، وتلاوة الورد القرآني اليومي لما في ذلك من البركة ودواعي التوفيق والفلاح والنجاح.

وقد اكتسب - يرحمه الله تعالى - بهذا العمل الدؤوب والعطاء المتواصل والمتجدد مكانة مرموقة وجاهاً رفيعاً عند الكثير من الخيرين من أهل الكويت وأصحاب المكانة والقرار، ولما لم يكن من أصحاب المال والسلطان فإنه كان يتصدق بهذا الجاه على من لا جاه له- كما علّمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكنت تراه رغم كبر سنه، وابيضاض لحيته، وانحناء ظهره، برفقة ضعفاء ومساكين وذوي حاجات في أروقة الوزارات، وفي صالات كثيرة من المؤسسات والهيئات، يسعى لقضاء حاجاتهم وتيسير أمورهم.

يقول الشيخ أحمد غيث - حفظه الله تعالى - المدير المساعد لإدارة المساجد سابقاً: «ما جاءني - يرحمه الله تعالى - مرة رغم كثرة مجيئه وتردده علي طالباً حاجة لنفسه، أو لأمر يخصه، وإنما كان دائم التردد من أجل الآخرين، وبخاصة ممن لا جاه له، ولا وجاهة عند الناس».

لقد انتقل إلى رحمة الله تعالى وترك الكثيرين ممن كانوا يجدون فيه الأب الرحيم، والأخ الكبير، والسند بعد الله تعالى، كما ترك من قبله أخوه في الله، ورفيق دربه في شبابه وشيبته في سوريا والكويت الحاج رسلان الخالد طائفة من الأيتام والأرامل والمتعففين ممن لا يعلمهم إلا الله تعالى.

وأما عن نشاطه مع جماعة التبليغ ورحلاته وخروجه مع دعاتها فهو علم من أعلامها لم يترك منطقة في الكويت إلا زارها، ولا حياً إلا وله فيه أصحاب وإخوان وتلاميذ، اشتد عودهم أسابيع بل شهوراً وهو مشغول بالدعوة، قائم بأمر التبليغ والإرشاد.

وجهوده في موضوع بناء المساجد أو القيام بتجديدها أو توسيعها أو صيانتها في بقاع

العالم الإسلامي، فهي باب تضيق الصفحات عن استيعابه، سواء في سوريا قبل مغادرته أو في الكويت بعد مجيئه إليها. ولعل من المناسب هنا أن نذكر أحد أصدقائه المشهورين في النشاط في هذا المجال وهو الحاج بكور - رحمه الله تعالى - الذي أفنى عمره المديد في بناء المساجد وصيانتها وبخاصة في القرى النائية والنواحي المنقطعة في الريف السوري وبخاصة في محافظتي حمص وحماة اللتين لم يترك فيهما تجمعاً سكنياً مهما صغر إلا زينه بمسجد يرفع فيه الآذان وتقام فيه الصلاة لأنهما شعار الدين وعماده.

ولعل في ذاكرة العم الفاضل أبي بدر عبد الله العلي العبد الوهاب المطوع - رحمه الله تعالى - عشرات الصور، بل قل المئات التي لم ينسها عن الحاج علي القطان وهو يطرق بابه أو يدخل عليه مكتبه أو يفجؤه في مسجده بعد صلاة الفجر وبرفقته مندوبون عن لجان بناء المساجد في كثير من بقاع العالم الإسلامي.

أولئك أحبابي فجئني بمثلهم ❖❖ إذا جمعتنا يا جرير المجامع

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في مستقر رحمته وعلى حوض نبيه صلى الله عليه وسلم.

اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق
الشريعة الإسلامية
(طارق علي عدي) الكويت

ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين

الحمد لله الذي يستدل على وجوده ببدائع ماله من الأفعال المتنزه في ذاته وصفاته عن النظائر والأمثال!

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً. إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا لا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾. (الأعراف ١٢٦)

أما بعد،

حينما يريد الإنسان أن يكتب في سيرة أخ له عزيز وهو أغلى الغوالي على قلبه إنه ليحتار وتتشتت عنده الأفكار من أين يبدأ في سيرة رجل يعتبر مختاراً وسيداً للكثير من بني عصره الأخيار، ومن أراد أن يكتب يجد أن الكلمات تتسابق وتتزاحم أيها يبدأ بها الكلام لتشكل أجمل الجمل المفيدة في سيرة سماحة شيخ فاضل صاحب همة وعقيدة فأكتب ماذا أكتب وأقول ماذا أقول؟ وأي شيء في سيرة أخ عظيم والذي لم تلدني أمه ولم تلده أمي ولكن مقامه عندي أكبر من كل بني أمي؟ وأسأل نفسي هل حقاً أنا وقلمي أستطيع أن أعطي سماحته بما يستحق من التكريم والإجلال من أمهات الكلام في سيرته الطيبة من خلال هذه الأسطر المحدودة؟ فإنني مهما كتبت ودونت لا أستطيع أن أعطيه حقه من كثرة الكم الهائل الذي أغدقه علي وعلى أسرتي طيلة معرفتي به وأنا حائر من أين أبدأ لأن بحور فضائله كثيرة ومتعددة وعلى ابنتي (إيمان) التي كانت صماء بكماء منذ الولادة، وتكلمت فيما بعد وسمعت من فضل الله ومن ثم بمساعدة سماحة أخي العزيز (أبي أحمد) بعد أن كانت ابنتي جسداً وروحاً حتى أصبحت تقرأ وتكتب حيث كان قد أدخلها بمجهوده الكبير في معاهد الكويت الخاصة والتي كانت ممنوعة من دخولها وسعيه الحثيث كل يوم على جميع الأصعدة هو وأخي في الله الأستاذ نادر النوري - بارك الله - فيه وهل لي أن أنتهي بالكتابة في شخص أخذ موقعه الكبير في نفسي ونفوس أفراد أسرتي وبث الأمل في طريق حياتي الصعبة واجتمعت حدوده في كل فؤادي؟ فإن سماحة شيخي الفاضل أقرب ما يكون بالنسبة له ولمجتمعه الإسلامي كبيت عيال أو كراعي ورعية فإنه كان يشعر بالآخرين من فقراء المسلمين لم يكن لهم من منقذ سواه حتى استظهر ذلك جل وقته دون أن يمل من كثرة سائليه من ضعفاء المسلمين حتى يجد الحلول لمشكلاتهم الاجتماعية والمادية والصحية، وهو يقول هل من مزيد؟. وبينما أنا والأفكار تراودني والحب يؤججني لسماحة هذا الشيخ البار ومن مجرى عطائه بتلمس هموم المسلمين دون كلل أو ملل لتصغر كل الكلمات في نظري لدى

سرد سيرته العطرة، وما أعرفه عن أخي (أبي أحمد) صاحب الهمة والشهامة أنه كان يستدين من أجل التفريج على المكروبين من إخوانه المسلمين، نعم إنه كان كبستان يفوح منه العطر ومنارة يضيء لتلامذته الدرب على مسار سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فتحية عطرة لسماحة هذا الشيخ الفاضل في قبره الذي كان يرشد الضالين ويهدي الحائرين. حقاً إنه لرجل بأمة، فالحمد لله والشكر لله تعالى أن قدر لي بأن يتفضل علي هذا الشيخ الأشم ويقربني إليه وأكون أخاً له؛ حيث اقتبست من إخوته الكثير من الحكم والأهداف النبيلة منها الروحية والأخلاقية والاجتماعية على طريق الشريعة الإسلامية والسنة الطاهرة المحمدية، وإنني لا أستطيع أن أعرض ما يجول في خاطري ومناي وذاكرتي حول فضائل هذا الشيخ الكريم في هذه المجالسة السريعة ولمحدودية الصفحات بناءاً على طلب الأخ الأستاذ المؤلف لسيرة حياة شيخنا العظيم لكثرة المحبين المساهمين في رثاء شيخ المشايخ أبي التسامح والتواضع والمحبة الغزيرة لإخوانه المسلمين ورفع المعاناة عن كاهلهم بكل ما أوتيه من قوة، وأقول كما قال الشاعر:

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم

فكيف وأنت يا شيخنا الكبير بمثابة الأب لفقراء المسلمين، وأمضيت جل حياتك في مناصرة ومساعدة ضعفائهم على اختلاف ألوانهم وألسنتهم من عجمهم وعربهم. فهنيئاً لك يا سيدي الفاضل بصحيفة أعمالك الإنسانية والدينية المليئة بالحسنات الكثيرة فلا يسعني إلا أن أقول هنيئاً مسكنك بجوار ربك إن شاء الله، وهنيئاً لك ببقاء صحيفة أعمالك مفتوحة حيث تركت من خلفك الذرية الصالحة والتي تسير على نهجك الطاهر، وهنيئاً لك بعلمك الذي ورثته وتعليم الآخرين بنصائحك لهم بإرشادهم إلى الدراسة في دور القرآن الكريم في الكويت، وإن ثوابك لذلك ليتنامى إلى يوم القيامة إن شاء الله حيث قال جل من قائل: **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾** «النساء الآية ١٢٤».

وإذا أحب الله يوماً عبداً ألقى عليه محبة الناس، فحقاً يا سيدي الفاضل إن هناك علامات في حياتك تتسم بنواح كثيرة من فضائل يستوحيها الخاطر، حيث كنت أستاذاً في توضيح الشريعة وتثبيتها في نفوس مستمعيك في حلقات الذكر بطريقة سهلة ورقيقة وكنا نستنبط من دروسك أيضاً المعاني القرآنية والآلاء الحكيمة والوسطية في العبادات نعم إنك يا سيدي ستكون نقطة مضيئة في حياتنا الدينية والاجتماعية والمعرفية وتستحق على ما قمت به من خدمات جليلة لدينك ومحبيك كل التقدير والثناء والترحم على روحك الطاهرة، وأرجو المولى العلي القدير بأن يسكنك فسيح جناته في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقيين والشهداء، اللهم ربي آمين.

وأخيراً أتمنى على سيدي سعادة الدكتور المؤلف بأن لا يلغي شيئاً مما ذكرت في سيرة أخي (أبي أحمد) لأنه أخي حقاً حيث قيل «ربَّ أخ لك لم تلده أمك» وأنا هو إن شاء الله.

فالخاتمة أقول:

حييت من رجل تعاظم أمره ❖❖❖ حتى كأنّ الشمس تشرق من ثناياه.

أخو الفقيد/ إبراهيم محمد أبو فارس (أبو مدحت)

عمان - الأردن

الداعية الحكيم

إلى أخي في الله فضيلة الأخ الحبيب الحاج علي القطان الحموي السوري الموقر، آنسه الله في مقره الجديد آمين.

أخي الفاضل (أبا أحمد) سلام الله عليك ورضوانه وغفرانه ورحمته وبركاته، أما بعد:

فارقتنا يا أخي وجميع إخوانك بلا وداع ولا إنذار، ونحن جميعاً في أشد الشوق إليك، وبأشد الحاجة إلى أسلوبك الدعوي الحكيم وإرشاداتك المؤثرة، واهتماماتك

الشاملة بأمتك.

وقد وعدتني - يا أخي - بزيارتك لي بالمدينة المنورة مع الكرام الفضلاء أصهارك وأنجالك ومنّيت النفس ومازلت أنتظر، وكانت المفاجأة الأليمة في رسالة نجلك الكريم الشيخ أحمد الذي أخبرني برحيلك عنا وعدم عودتك إلينا. فبكيت وبكيت وبكيت، واشتد حزني عليك وعلى نفسي، وكذلك محبيك ومجتمعك الذين حرموا من دررك في النصح والتوجيه والإرشاد وما من إخلاص عالم مسلم عامل ملتزم مثالي في كل مجالات الحياة والمعاملات، مثالي في دعوته في سمو أخلاقه في تعامله مع كل الناس في اهتمامه بأمر المسلمين في الصبر في الحلم في الرد على السيئة بالحسنة. لقد شدهنا الحزن نحن أحباؤك واعتصر قلوبنا الألم على فراق الأخ المسلم المثالي والعالم المحسن الذي كان يحمل آلام أمته يعالج الأمور بحكمة الإسلام، وعبقرية الصفوة من الرجال، ومن الذي لم يحزن على فراقك يا أخي (أبا أحمد) من عرف شخصيتك المثالية وعاملك في العالم، وقبلنا عذرك برحيلك المفاجئ يا أخي (أبا أحمد) فقد لبيت أمر ربك سبحانه وأنت المسلم المؤمن الطائع.

وثق يا أخي أننا نحن إخوانك في الله في أقطار إسلامية كثيرة سنبقى أوفياء لك حتى ساعة اللحاق بك ضارعين إلى الله أن يجعل روحك الطاهرة في الفردوس الأعلى ومثواك وأن يجمعنا بك في مستقر رحمته مع أخلائنا في الله ومع عباده الذين حملوا مخلصين لواء دعوته وأن يمنحنا جميعاً وأنجالكم وأهلكم ومحبيكم الصبر الجميل على فراقك.

وليس لنا جميعا نحن محبوك - يا أخي (أبا أحمد) - حيال هذا المصاب الجلل إلا التأسي برسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فنقول يا أخانا الحبيب يا (أبا أحمد) إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا على فراقك لمحزنون. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا سبحانه، ولن ننسى ما حيينا يا أخي (أبا أحمد) حقك علينا وتأثير سمو أخلاقكم الإسلامية المثالية في نفوسنا جميعاً ولن ننسى من بعدك حق كل من يعز عليك

وثق أيها الأخ الحبيب أننا سنحمل رايتك الإسلامية من بعدك، تلك الراية العظيمة التي عشت ومت من أجلها.

وإلى اللقاء بمشيئة الله سبحانه يا أخي (أبا أحمد) في المكان الذي أعده الإله الكريم العظيم للمتحابين في جلاله، نستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أخوك المحب في الله

عبد الباقي محمد الشريقي

سوري من اللاذقية

١ رمضان ١٤٢٤هـ - المدينة المنورة - ص.ب ١٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة مختصرة عن حياة الوالد يرحمه الله تعالى

ولد الشيخ علي أحمد القطان في مدينة حماة سنة ١٩٢٢م، ونشأ نشأة دينية في بيت والده حيث علمه والده ركوب الخيل والشجاعة والكرم، فكان يركب الحصان والفرس ويقوم بشؤون تنظيفها وإطعامها وترتيب أمورها منذ نعومة أظفاره ودرس في مدرسة ابتدائية حتى الصف الرابع، وكان يدخل المساجد ويواظب على صلاة الجماعة ويستمع لدروس العلماء ومنهم الشيخ سعيد الجابي - رحمه الله تعالى - وهو خال الشيخ محمد الحامد - يرحمه الله - وفي سنة ١٩٤٥م حمل البندقية وقاتل مع الثوار ضد الفرنسيين الذين كانوا في بلاد الشام وتزوج وعمره ٢٢ سنة وأنجب من زوجاته الأربعة ثمانية أبناء وأربع عشرة بنتاً وكلهن تزوجن.

ومنذ شبابه كان يجالس العلماء ووجهاء البلد يسمع منهم ويحضر دروسهم في دواوينهم وخاصة كبار السن.

واشتغل بالتجارة في بداية أمره وكان له دكان في سوق الطويل بحماة قرب سوق الصاغة يبيع فيها الغزل والمنسوجات القطنية من مناشف وصايات وجلابيب وكلها من منسوجات وطنية كان يستوردها من مدينة حلب، وكان يحث رفاقه وأصدقاءه على شراء البضائع الوطنية التي تنتجها البلاد الإسلامية والعربية بدلاً من السلع الأجنبية حتى شجع التجار من أمثاله أن يحصروا بضائعهم على المنتجات الوطنية المحلية، وخاصة من بضائع الغزل والمنسوجات القطنية والصوفية، واشتغل كذلك بتجارة القطن والحبوب واستفاد منها كثيراً ، فكان يتعامل مع تجار كبار من أهل حماة وحمص وحلب، وخلال هذه الفترة من حياته كانت تمر لديه معاملات تجارية شائكة تحتاج إلى استفتاء أو مخرج شرعي فكان يسأل عنها بعض العلماء الذين يمرون أمام دكانه فيسلمون عليه وهو يرحب بهم ويطلب منهم الجلوس ليستفيد من حكمتهم وعلمهم وآرائهم ويسألهم عن قضايا البيوع والمعاملات التجارية، وكان والدي - يرحمه الله تعالى - مولعاً بقصص العرب وأشعارهم وأحوالهم فكان في أيام الربيع ينصب (شادراً) خيمة كبيرة في بر (باب طرابلس) بحماة، وكانت في الخمسينات يحضر عنده في هذه الخيمة مساء كل يوم بعض وجهاء البلد من علماء وأعيان وكرام أهل البلد يتحاورون ويتناقشون في شؤون الدين والأدب وقصص الحكماء وقصائد الشعر، فكانت هذه الخيمة يتجمع فيها الأغنياء والفقراء والكبار والصغار ويقدم لهم الضيافة المطلوبة.

وفي أوائل الستينات ضاقت أحواله المادية وخسر في تجارته وأصبح مديوناً فاضطر للسفر إلى الكويت للعمل عسى أن يجد سبيلاً يعيل أسرته الكبيرة فدخل الكويت سنة ١٩٦٦م ليعمل في التجارة ولكن الله أراد له أن يسلك مسلكاً آخر فحوله إلى رسالة الدعوة فتعين إماماً وخطيباً في مسجد «المقوع» وهي منطقة في طريق المطار القديم.

وفي سنة ١٩٦٧م دخل معهد الإمامة والخطابة دارساً تعلم علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة والتاريخ الإسلامي وتخرج منه سنة ١٩٧١م ثم أكمل دراسته في معهد دار القرآن الكريم التابع لوزارة الأوقاف وأتم حفظ القرآن كاملاً فيه سنة

١٩٧٥م وكانت له غرفة صغيرة قرب محراب المسجد يجلس فيها معظم أوقاته يقرأ القرآن الكريم ويسجل بعض ملحوظاته الخاصة به، وكانت له أوراق خاصة بأسماء المحتاجين من أيتام وأرامل ومطلقات، فكان يتفقدهم شهرياً ويساعدهم ويجمع لهم أموالاً من المحسنين كما لا يمر عليه يوم إلا ويأتي إليه من يطلبه في حاجة، هذا شاب يريد أن يتوظف فيسعى له ويمشي معه حتى يجد له عملاً، وهذا رجل يحتاج إلى شفاعة ليحسن وضعه المادي فيمشي معه ويقضي له حاجته، وهذه امرأة لديها أطفال أيتام وتحتاج إلى مساعدتها في سد أقساط مدارس أولادها فيجمع لها من بعض المحسنين ويساعدها، وهذا رجل على خلاف مع زوجته حتى وصل به الأمر ليطلق زوجته فيجلس الوالد ليصلح بينهما ويأمرهما بتقوى الله والابتعاد عن وساوس الشيطان ويتم الصلح بينهما .. وهكذا كل يوم يكون في طاعة الله يمشي بالجنازة أو يعود مريضاً أو يزور رحماً أو يحضر مجلس علم أو دورة أو محاضرة فيملأ معظم أوقاته بمجالس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علماً بأن لديه أولاداً وبنات وزوجات وكلهم بحاجة إلى من يتفقدهم ويلبي حاجاتهم فنجده يجلس في أحد البيوت أو في المسجد وهو يتصل هاتفياً يومياً بزوجاته وأولاده وبناته يسأل عن هذا الولد ويسأل عن هذه البنت وأحوالهم وأخبارهم ليطمئن عليهم، ولا يترك مناسبة إلا ويحتفل فيها يدعو الأصحاب والأقارب والأرحام والأصدقاء أغنياء وفقراء في تلك المناسبة مثل «وليمة الحجاج» العائدين من الحج يحتفل بهم، «وليمة العرس» لأحد الأولاد أو لأحد رواد المسجد، «وليمة التعيين بالوظيفة» أو وليمة «رجوع الصحة والعافية» لأحد المرضى، وهكذا لا تمر مناسبة إلا دعا الأصدقاء والأرحام وجعل لها وليمة في المسجد، فكان - يرحمه الله - يحب اجتماع الناس من أقارب وأرحام وأصدقاء، ولا ينسى أن يذكرهم بأمور الآخرة وسلوكيات السنة والأخلاق الحميدة واجتناب العادات السيئة، وكان من صفاته التواضع فيرفق بالمسكين ويسلم على الضعيف، ويواسي المريض، ويعطف على المحتاج ويقضي حاجة الملهوف، وفي مناسبة عيد الفطر والأضحى يوزع العيديات على كل من رأى من

أطفال المسجد وصغار الشباب من الأرحام والأقارب والجيران والأصدقاء، بالإضافة إلى أولاده وأحفاده وبناته وأولادهم الذين يفوق عددهم المائة وأربعين ولداً كلهم يأخذون العيديات منه.

ومن صفاته أنه يحافظ على صلوات النوافل، مثل صلاة الضحى، وصلاة الحاجة، وصلاة سنة الوضوء، وصلاة تحية المسجد، وصيام الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام البيض وكان يفطر في المسجد عندما يكون صائماً على لبن وزيت ويتسحر على بعض تمرات وهو في سن الشيخوخة.

ومن صفاته أنه كان يحرص على أداء صلاة الجماعة وخاصة صلاة الفجر، وكان يجلس بعد الصلاة في حلقة يقرأ القرآن ويستمع منهم ويصحح قراءاتهم وتلاوتهم، وهذه الحلقة القرآنية يومياً منذ تعيينه إماماً، أي منذ سنة ١٩٦٦ إلى وقت دخوله المستشفى في مرضه الأخير سنة ٢٠٠٣ حيث توفي يوم ٢٠٠٣/١/١١م.

ولده أحمد رامي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة حب ووفاء وعرفان لشيخ فاضل وإمام جليل وداعية إسلامي كبير

إن الرجال أصحاب الدين القويم والعلم الوفير والأخلاق الفاضلة والهمم العالية لا يتركون الدنيا ويرحلون عنها حتى يتركوا بصماتهم المضيئة وذكراهم الطيبة، وسيرتهم العطرة، وعلمهم النافع إرثاً وخلفاً لهم لينفعوا الناس من علمهم ودروسهم ويمنحوهم العبر والتوجيه والنصح والإرشاد ولتضيء لهم المسار والخطى لدنياهم وآخرتهم وذلك بعد كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، وها نحن أمام شيخ فاضل وإمام جليل، وداعية إسلامي كبير فهو رجل من هؤلاء الرجال العظام قد غاب عنا ورحل إلى الرفيق الأعلى فترك لنا ذكراه الطيبة وسيرته العطرة التي ستبقى حية في القلوب والضمير والوجدان، بل في

سلوكنا وتصرفاتنا وحياتنا طال العمر أم قصر، إلا أن فضيلة الشيخ علي بن أحمد القطان - رحمه الله وأكرم نزله وأسكنه فسيح جناته - أما كلمة الحب فقد أحببته شيخاً عالماً وأستاذاً جليلاً ومربياً فاضلاً وداعياً إسلامياً ومصلحاً اجتماعياً وإماماً عالماً كبيراً، وأحببته أخاً عزيزاً وصديقاً وفياً صدوقاً، بل وأحببته والداً حنوناً كريماً. أما كلمة الوفاء فوفائي له عظيم ترجمته بحياتي اليومية باتباعي بل وتتبع الخطى لدروسه ونهجه ومواعظه وإرشاداته وتعاليمه ونصائحه ووصاياه حيث كان خير الواعظ والمرشد والشيخ الإمام.

أما كلمة العرفان بفضله فأختصرها على سبيل المثال لا الحصر إفساحاً لكتابة المئات من تلاميذه ومحبيه كان للشيخ الفضل الكبير علي بعد فضل الله سبحانه وتعالى بأن شجعني وآزرني في الدراسة في دار القرآن الكريم فنقلني نقلة كبيرة من مسلم عادي إلى إمام وخطيب متبرع في مسجد الإمام الشافعي في عمان (الأردن)، وكان لحلقة الشيخ علي القرآنية المباركة الفضل الكبير والتأثير العظيم في نفسي وقلبي لحب كتاب الله ا لكريم وإجادته تلاوة وتجويداً وتفسيراً.

زرع الشيخ علي في قلبي ونفسي حب دروس العلم والعلماء وتوقيرهم والسعي لخدمتهم والتعلم منهم، وذلك باصطحابه لي لمجالس العلم والعلماء وديوانيات العلم والخير والمعرفة كان للشيخ علي الفضل الكبير بأن أدخل في قلبي ونفسي حب الدعوة ورجالها وحب الخروج في سبيل الله وحضور الدروس والبيانات الدينية في مسجد صبحان مساء كل خميس.

تعلمت من الشيخ حب فضائل الأعمال والأخلاق وحب البذل والعطاء وكثرة أعمال الخير وكثرة أعمال التقرب إلى الله - عز وجل - بالعبادات الخالصة لوجهه الكريم وعلى هدي سنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وكثرة أعمال التطوع والنوافل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله والسعي الدائب والدائم لعمل الأعمال الصالحة المتعددة الوجوه وكل ذلك كان من حلقته القرآنية المباركة وحضور خطبه ودروسه

وصحبته الطيبة، والأهم من ذلك ما تعلمته من صفاته العظيمة فهو الشيخ والإمام العابد التقي النقي الورع الذاكر العارف في الله الأحفظ الصوام القوام الكريم الجواد المعطاء الداعية لله تعالى المصلح الاجتماعي الكبير الزاهد

الشيخ علي مع أحد الوعاظ المصريين وإلى جانبه الحاج رسلان

المتواضع الذي يملك ويعف وكان - يرحمه الله - جل وقته إما في عبادة وطاعة أو في قضاء حوائج المسلمين وإصلاح ذات البين بينهم أو في مساعدة المحتاجين والفقراء والمرضى أو في رفع العناء عن الأيتام والأرامل فما غاب يوماً عن نجدة ابن سبيل مضطر أو الفزعة لغارم أو مسكين متلهف للمؤازرة والمواساة أو السعي والتسهيل والمساعدة المادية للتوفيق في زواج الشباب والشابات المسلمين الملتزمين ورغم كل هذه المشاغل لم تثنه عن تربية وتنشئة الأبناء والأحفاد فتخرج منهم العلماء والأئمة والدعاة، وملاحظة أخيرة فكان لذكاء الشيخ علي المفرط يجعل كل واحد من مريديه وتلاميذه يحس أنه الأقرب لقلبه الكبير عذراً - شيخي الفاضل - لما ذكرته عنك وأنا أعلم أنك لا تحب المدح والظهور ولكن (إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه)[1].

رحم الله شيخنا الفاضل وإمامنا الجليل وأعلى منزلته وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

تلميذك المحب - أخوك في الله

سامي محمد الجمال (أبو طلال) - مختار منطقة الجبيهة - عمان - الأردن

---

(١) رواه الطبراني والحاكم بسند ضعيف

مساعداتهم وصلت إلى الفقراء أينما كانوا

علي القطان: الكويتيون جبلوا على دعم العمل الخيري

أكد الداعية الإسلامي الشيخ علي القطان أن المجتمع الكويتي جُبل على دعم العمل الخيري والانفاق والإحسان. موضحاً أن هذه الصدقات وصلت إلى أقطار بعيدة انطلاقاً من حرص الكويتيين على دعم الفقراء والمحتاجين أينما كانوا.

مساعداتهم وصلت إلى الفقراء أينما كانوا

علي القطان: الكويتيون جبلوا على دعم العمل الخيري

أكد الداعية الإسلامي الشيخ علي القطان أن «المجتمع الكويتي جبل على دعم العمل الخيري والانفاق والإحسان» موضحا أن هذه الصدقات وصلت الى أقطار بعيدة انطلاقا من حرص الكويتيين على دعم الفقراء والمحتاجين أينما كانوا».

وأشار الشيخ القطان الى ان «الإسلام وضع نظاما متكاملا للانفاق في سبيل الله باعتباره عملا تكافليا يرجع نفعه الى الفرد والأسرة والمجتمع والبشرية جمعاء» بإذن الله.

وأضاف في محاضرة ألقاها في لجنة زكاة العثمان بعنوان «الإنفاق والبر في سبيل الله» أن المجتمع الإسلامي يقوم على التضامن والتكافل يسعى غنيهم الى فقيرهم، ويساعد قويهم ضعيفهم، وهكذا تبدو مؤشرات التعاون والتكافل وتتعزز معاني الأخوة والعطف ووشائج القربى الروحية. مؤكداً أن الله فرض على المسلمين زكاة أموالهم إذا حال عليها الحول وهذه تعود على الفقراء والمسلمين حيث حدد الله سبحانه وتعالى كيفية صرف المبالغ للفقراء والمساكين والعاملين عليها وابن السبيل والمؤلفة قلوبهم.

وأفاد الشيخ القطان أن الإسلام جعل إلى جانب الزكاة نوعاً آخر من التكافل يتمثل في الصدقات إذ يتصدق المرء بجزء من ماله إلى الفقراء والمساكين ما يعزز معاني الأخوة الإسلامية ويضاف إلى ذلك نظام الهبات والتبرعات والكفارات وغير ذلك من الأمور التكافلية التي تقوي معاني التعاون بين المسلمين. مشيراً إلى أن «المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»،

وهكذا هو المجتمع المسلم المؤمن.

وتحدث عن مواقف الصحابة في العمل الخيري والإنفاق والبر والإحسان وقال: كانوا يتسابقون ليلاً ونهاراً من أجل المزيد من الإنفاق، حتى أن عمر - رضي الله عنه - كان يقول: «ما تسابقت أنا وأبو بكر إلى شيء إلا سبقني إليه، فأنا جئت بنصف مالي إلى رسول الله، وهو قد جاء بكل ماله». وهذا دليل على تنافس الصحابة في البذل والعطاء والجود والكرم.

وأشاد الشيخ القطان بالعمل الخيري والإنفاق والإحسان في المجتمع الكويتي المسلم، وأكد أن الناس تتدافع نحو البذل والعطاء، حتى أن الكثير من الأسر والفقراء، والكثير من الأسر والفقراء، والكثير من المستوصفات والمدارس والآباء والمراكز الإسلامية والأيتام وغير ذلك من الأعمال الخيرية يغطي نفقاتها الكويتيون من خلال زكواتهم وصدقاتهم وتبرعاتهم وغير ذلك من أعمال الخير والبر والإحسان.

ودعا إلى الإكثار من فعل الخير والبر والإنفاق والإلتزام بأخلاق الإسلام، والاقتداء بأفعال الرسول والراشدين والصحابة لأنه ما نقص مال من صدقة، ولأن الصدقة تطهر مال الإنسان، وتعلي همته وتزيد من إخلاصه وفعله وتجعل له مكانة عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة. مشدداً على أن الله يحب المتصدقين والمؤمنين والأتقياء الصالحين.

جريدة «الرأي العام»

السلام عليك يوم ولدت ويوم مُتَّ ويوم تُبْعَثُ حياً

المحب تلميذك البار

د. دعاء الخنساء

رثاء الشيخ علي أحمد القطان يرحمه الله تعالى
الإمام والخطيب لجامع سليمان اللهيب - الكويت

كنتَ مفكراً لخدمة العلوم ... كنتَ مساعداً لطلبة العلوم
كنتَ مؤسساً لمدرسة الجمهور ... كنتَ مساعداً طول الحياة
كنتَ محققاً ومدققاً في العلوم ... كنتَ خطيباً لجامع اللهيب
كنتَ متصفاً بجميل الشيم ... كنتَ مكرماً بأحسن الكرم
كنتَ عدلاً ومحسناً للمخاصم ... كنتَ مصرفاً في كل الهمم
كنتَ رقيباً ورفيقاً للعالم ... كنتَ أعين الأعيان للمعلم
كنتَ هدى ومرشداً للمسلم ... كنتَ دواء وشفاء للسقم
كنتَ مصححاً ومبرياً للكلوم ... كنتَ مرتفعاً ومتسلياً للهموم
كنتَ مجدداً لهذا الزمان ... كنتَ شيخاً للعرب والعجم
كان وجهك البدر في الأقران ... كالبدر في كواكب السبحان
يتضرع أهل المدرسة عند الرحمن ... أن تغمَّده بإحسان وغفران

لياقت علي

عن جميع الأساتذة الأجلاء والطلبة الأحباء

من المدرسة الجمهورية الإسلامية للبنين والبنات

في شيتاغونغ - بنغلاديش

كلمة شيخنا الفاضل حسين العلي في الشيخ علي القطان - رحمه الله:

ضحى الأربعاء ١٤٢٣/١٢/٤هـ
٢٠٠٣/٢/٥م

لا شك أن الشيخ علياً - رحمه الله - من أهل القبول؛ وذلك لكثرة ما سمعت من ثناء الناس عليه في مناسبات شتى، فقبيل وفاته بيوم سمعت بعض أهل العلم يتحدث عنه، وكنّا في مجلس يضم بعض أئمة المساجد، وكان موضوع حديثه عن الشيخ - رحمه الله - أنه كان بالإضافة إلى تقاه وورعه كان يسعى ليلاً ونهاراً في مصالح الناس، وقضاء حوائجهم. والعجيب أن جميع من في المجلس كانوا يُصدِّقون هذا الكلام ويؤيدونه، ومما حصل لي معه مع قلَّة الاختلاط به أنه طلب مني أن أدعو لبعض أولاده، وقد حصل له مكروه فدعوت الله له، وبعد فترة أنقذ الله ولده مما هو فيه، وهنَّأت الشيخ بذلك، فقال لي: ادع له مرة أخرى، فقلت له: ألم ينجه الله من ذلك المكروه؟ قال: بلى، ولكن لا يستغنى عن دعائك!.

ومما يدل على أنه من أهل القبول كثرة مشيعيه وازدحامهم على جنازته والصلاة عليه، وتعزية أقاربه، مع أن البعض منهم لم يكن قد رأى الشيخ، ولكن سمعوا عنه، ووجَّه الله قلوبهم إليه.

ومما يؤثر عن الإمام أحمد - رحمة الله عليه - «موعدنا يوم الجنائز»، وقد سمعت ممن يعمل في المقابر يقول: ما رأيت أكثر عدداً شيَّع جنازة كما شُيِّع الشيخ علي، مع قدمي في وظيفة تجهيز الموتى، ولا حتى من الوجهاء والأمراء.

شكر واعتراف بالفضل !!

من لم يشكر الناس لم يشكر الله !

الفهـــــرس

الإطار المنهجي للكتاب ١٧

الفصـــل الأول: السيـــرة الذاتيـــة للشيـــخ علـــي أحمـــد القطـــان ٢٧

الفصـــل الثاني: منهج الشيخ علي القطان في الإصلاح الاجتماعي والدعـوة إلى الله ٤٩

الفصـــل الثالث: مبادئ الشيخ علي القطان وأفكاره المستمدة من عقيدة ثابتة وإيمان راسخ ٧٧

الفصـــل الرابع: مدرسـة الشيـخ علي القطـان في مهارات الحيـاة والتنميـة البشـرية ١٢١

الفصـــل الخـامس: الشيـــخ علـي القطـان وإحيـــاء مدرســـة العمـــل والتطبيـق ١٣٩

الفصـــل الســـادس: كلمات وقصائد في الثناء على سيرة الشيخ على القطان وقصائد ورسائل بخط يده ١٦١

أولاً: الكلمـــــــات

١) كلمة الشيخ عبد الله علي المطوع — رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي

٢) كلمة الشيخ سيد يوسف سيد هاشم الرفاعي — وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الأسبق والنائب السابق في مجلس الأمة والمفكر الإسلامي

٣) كلمة الشيخ نادر النوري — أمين سر جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية

٤) كلمة الشيخ محمد ياسر القضماني — عضو رابطة الأدب الإسلامي إمام وخطيب بمسجدخيطان

٥) كلمة الشيخ أحمد باقر الكندري — مدير لجنة زكاة العثمان

٦) كلمة الشيخ محمود عبد الباقي (أبو خطاب) — مسؤول الإعلام والعلاقات العامة بلجنة زكاة العثمان

٧) كلمة الشيخ خالد حسون — مفكر إسلامي ورجل أعمال وصديق قديم للشيخ

٨) كلمة الشيخ راشد الحقان والأستاذ محمد العصفور — جمعية الدعوة والتبليغ- صبحان - الكويت

٩) كلمة الأستاذ فوزي جبر — مدير عام مكتب شركة علي عبد الوهاب وشركاه

١٠) كلمة الشيخ عصام بن محمد أنور رجب — داعية إسلامي

١١) كلمة السيد أبي معاذ — مرافق للشيخ ومحفظ في مراكز القرآن الكريم بالسالمية

١٢) كلمة الدكتور عادل حسون الخنساء — مؤلف الكتاب

١٣) كلمة السيدة سمية أحمد القطان — حفيدة المرحوم

ثانياً: الرسائل والقصائد

١) رسالة إلى كريماته في سوريا يحثهن على الصبر والرضا.

٢) كلمة من السيد عبد الله الرويح، رئيس لجنة زكاة العثمان، موجهة إلى الشيخ علي أحمد القطان.

٣) رسالة تزكية للجنة زكاة العثمان.

٤) ملخص محاضرة للشيخ علي أحمد القطان منشورة في جريدة الرأي العام - الكويت.

٥) قصيدة «يبكيك منبرك الحزين» للشاعر محمد عبدالله القولي.

٦) قصيدة «سر يا علي لعليين في سكن» للشاعر محمد مرتع بن صهيب سويدان.

٧) قصيدة «ابنة البيان» من الشعر المنثور للأخت الحفيدة مريم حرب.

٨) قصيدة «الحياة» من الشعر المنثور للشيخ علي القطان.

٩) قصيدة «أختاه» من الشعر المنثور يخاطب فيها شقيقته.

خلاصة وخاتمة ٢٠٤

سيرة

الشيخ علي أحمد القطان

تأليف: د. عادل الخنساء

د. عادل الخنساء

- دكتوراه السلك الثالث في القانون الدولي بدرجة امتياز.
- دبلوم الدراسات العليا في النظم الإدارية والسياسية.
- ليسانس الحقوق
- ليسانس التاريخ.
- دبلوم اللغة العربية وآدابها.
- محاضر سابق في الجامعة ومعاهد الإدارة - الجزائر.
- مدير أبحاث مساعد في الهيئة الإسلامية العالمية سابقاً - الكويت.
- محام - مدير الشؤون القانونية لدى مكتب المحامي مبارك المطوع.
- عضو اجتماع خبراء التعاون العرب المنعقد في المعهد العربي للتخطيط.

سيرة عطرة لواحد من الذين تركوا بصماتهم واضحة في حياة الناس ففاح أريجها، وعم خيرها وذاع صيتها لتأخذ مكاناً مرموقاً فوق السحاب.

إنه الشيخ علي أحمد القطان الذي تبوأ مكانة عظيمة في القلوب الصافية فأضحت بعد وفاته سطوراً كتبها لنا الدكتور عادل الخنساء الذي وافته المنية في ١١ / ١ / ٢٠٠٣ وبدعم من جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية فبات هذا الكتاب شاهداً على وفاء الصالحين وولايتهم بعضهم بعضاً.

نسأل الله للجميع الرحمة والمغفرة والمنزلة العالية على ماقدموه من خدمات دعوية جليلة.

إنه ولي ذلك والقادر عليه

جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية

الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة

توزيع

دار اقرأ للنشر والتوزيع

شراؤك للكتاب دعم للعمل الخيري